

## صخرة الحب

رواية صخرة الحب تجمع بين صفحاتها المشاعر الإنسانية المتضاربة والصراع الرهيب بين الحب والواجب والكرامة الإنسانية.

كما ترينا صوراً من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وعواقب الظلم الوحشية.

إن الصراع بين هذه المشاعر كلها كثيراً ما يؤدي إلى مصائب وويلات لم تخطر على بال بشر، خاصة إذا كان الضحايا لا حول لهم ولا قوة في ردّ ما رسمه لهم القدر من مصير.

لكن الحب بلسم كل الجراح ودواء القلوب المعذبة، وحده يبقى العلاج الناجع لمسح آثار هذه الآلام.

عند صخرة الحب بدأت الرواية وعندها تكون النهاية السعيدة بعد طول انتظار.

دار البحار

## الفصل الأول

### قصر الحب

ليست الحكايات أو الحوادث المؤثرة من مبتكرات القرائح والادمغة ومخترعات الكتاب بل هي مستخرجة من اقلام المجتمع الانساني على اختلاف انواعه فلاندعي اننا استنبطنا حوادث هذه القصة فانما هي مأخوذة من سفر الحياة ومآساتها .

وهي تبدأ في بريطانيا الفرنسية تلك البقعة الطيبة التي زخرقتها يد الطبيعة فشوهتها يد التمدن الحديث ، وكانت بلاد النزهة ومسارح الابصار فاصبحت بلاد مجد ومطامح الافكار ورجال المكر والسياسة .

في آخر الحدود الفرنسية لسان يمتد في البحر على مسافة ثلاثين كيلو متراً وقد شيد في آخر هذا اللسان قصر شاهق يشرف على المحيط العظيم فهو يشبه في الليل المنارة تهدي السفن بل هو شبه حارس على ذلك البحر الحضم يرد صدمات امواجه ويدفع غاراتها على الارض ، هذا القصر اسمه «صخرة مورجايت» وهو قد بني منذ ثمانين عاماً ولا يزال ثابتاً راسخاً لفخامة بنائه ومتانة دعائمه ، فهو غريب في بنائه غريب في عزله غريب

في اختلاف المناظر المهدقة به من جميع جهاته فهي تجمع بين  
الانتعاش والرهبة والارتياح والجلال ، فانك إذا نظرت إلى  
الأمام لا ترى غير أمواج هائلة مائتقاً نلطم الصخور وترتد عنها  
يزيد الغضب والذين المدحور وإذا التفت إلى اليمين رأيت قفراً  
سبباً مجرد لا ينتهي إلى آخره مدى الابصار وإذا تطلعت إلى  
اليسار تجلت لك صخور شاهقة تمتد إلى مدى بعيد على الشاطئ  
كانها قلاع شيدتها الطبيعة لرد كيد المعتدين . وإذا تطلعت إلى  
الوراء انبسطت لك الأرض بأجل مناظرها فظهرت لك الأشجار  
الباسقة والحقول الغنمية تحترقها مياه النهر فتثبت فيها الحياة وفي  
نفس الناظر إليها حب الحياة .

هذا هو قصر صخرة مورجابت وهذه هي المناظر المهدقة به  
ولا شك أن بانية إنما كان من قرصان البحر فاختار له هذا  
الموضع أو أنه من الاغنياء أهل الشموذ وهو الأرجح فقد ذكر  
عن تاريخه أنه كان يقع فيه في أواخر القرن الماضي أسرة نسيمة  
تدعى أسرة فيتراي لم يكن قد بقي منها غير اخوين تزوج أحدهما  
فلاحة من تلك البلاد وبقي الآخر عازباً فكانا يعيشان على اتم  
وفاق وقد انتظما عن الناس فأصبعا شبه النساك إلى أن ثارت  
الحرب بين فرنسا وانكلترا فهاج في صدرها حب الوطنية  
فاشتريا عدة سفن بما كسبه من بيع اراضيها وجماها أفريقيا من  
أهل الحماسة فجعلوا يفيرون بتلك السفن على السفن التجارية  
الانكليزية ويسلبون كل ما يجدهونه فيها فلبثا على ذلك منذ بدء  
الحرب إلى سقوط الامبراطورية الأولى بحيث نال شهرة واسعة في

البحرية الفرنسية وثروة عظيمة بما كانا يفتان من الاسلاب  
ولكنها لم يظفرا بتلك الثروة عفواً فان أحد الاخوين قطعت  
يده في تلك الغارات وقبعت الآخر بفقد احدى عيبيه .

وفي سنة ١٨٦٩ كان الاخوان قد ناما نومة الأبد من عهد  
طويل ولكن نسلها لم ينقطع بومتها فقد ولد لاحدهما غلام وهو  
الآن الكونت مالونيان فيتراي صاحب صخرة مورجابت  
وورث تلك الاسرة الشهيرة .

وكان هذا الكونت في بدء حوادث هذه الرواية شاباً جميلاً  
يبلغ السابعة والثلاثين من العمر وهو قائد دارعة في البحرية  
الفرنسية وقد نال وسام الشرف مكافأة له عن خدماته في حمة  
الكسيك .

وكان من كبار الاغنياء يبلغ مقدار ايراده السنوي نحو نصف  
مليون فرنك ولكنه رغم ثراه كان شديد التعلق بخدمة بلاده  
بحيث لم يحظر له مرة أن يقتدى بأمثاله من الاغنياء وينصرف  
إلى عيش العرف والنتهم بما ورثه من الآباء .

ولكن للفرمان سلطاناً جائراً على القلوب ولا سيما الشريفة  
فانه لقي مرة في منزل مجاور لمنزله فتاة ادهشته بمجالها وقتن بها  
لاول نظرة وكانت هذه الفتاة تدعى هيلانة دي فيلد وهي ابنة  
ضابط في فرقة الفرسان مات عنها وهو في عنفوان الشباب دون  
أن يخلف لها ثروة بحيث اضطرت أن تعيش بصفة فتاة شرف  
في قصر المركيزة جانيت ابان قريبة الكونت مالونيان .

وكان عمرها سبعة عشر عاماً حين دخلت إلى قصر المركيزة

كي يرى الكونت تلك الحسنة التي أخذت بجامع قلبه .  
اما الفتاة فلم تكن تقابله بشيء من هذا الحب ولكنه لم  
ينتبه إلى عدم اكترائها فان الحب اعشى بصيرته .

ولم تكن غير ايام حق تداخلت المركيزة في امرها وحملتها  
على الازعان والرضى بزواج الكونت غيرة عليها واية فتاة يحق  
لها أن ترفض ثروة تهبط اليها من السماء تبعث عنها منذ عهد  
الرشاد فبدأت بالرضى ثم بالميل ثم بالحب فعقد القران ودعيت  
الكونتس وتقع العاشقان يانها منذ ان الحب الصادق دون أن  
يلد لها مولود يفسر معنى الزواج .

إلى أن صدر الامر إلى الكونت أن يسافر بدارعته فودع  
امراته ارق وداع وسافر وهو لا يعلم متى يعود وطال غيابه  
خسة عشر شهراً .

ففي آخر نوفمبر من سنة ١٨٦٩ كان رجل ملتقى برداء  
عسكري يركب القطار المسافر من مرسيليا إلى باريس وكان  
وحده ليس معه غير حقيبة سفر تحمل باليد حق إذا وصل إلى  
باريس ركب مركبة وامر سائقها أن يذهب به إلى شارع  
هو كان عمرة ١٧٠ وكان هذا الرجل الكونت مانويليان .

وكان يود أن تطير به المركبة لشدة شوقه إلى امرأته ومع  
ذلك فإنه لم يخبرها بقدمه ، ليس لأنه يريد أن يباغتها بقدمه  
الفجائي فقد كان واثقاً من حبها لا يخامر قلبه شيء من الريب

بل لأنه كان يريد أن يزيد سرورها بمفاجأة اللقاء فإنه كان يقرأ  
رسائله اليه فيجد الحب ماثلاً بين سطورها بل أنه كان يجد  
الامتنان بادياً في عباراتها فإنها كانت تبسط له ما تلقاه من القبلة  
والتمتع والرفاء وتنسب الفضل اليه في كل ذلك الهناء .

اما هو فقد كان يضع صررتها امامه ويكتب لها في كل يوم  
رسالة مسهبة يضمنها كل ما يكره قلبه من الحب الذي خرج به  
عن طور الغرام إلى طور العبادة وكان صادقاً في كل ما يقوله  
فانه لم يحب امرأة سواها من قبل ولا من بعد حتى إذا وصل إلى  
منزله طرق بابها بيد ترخف ففتحت له خادمة تبلغ الاربعين من  
العمر وقد تراجمت حين رآته وقالت : سيدي الكونت ؟!

قال : نعم أنا هو فما يدعوك إلى الانذهال ؟

— لا شيء .. انما .. — انما لم يكن احد ينتظري .

— هو ذلك يا سيدي — والكونتس ؟ ..

وقد كانت هذه الخادمة دخلت في خدمته منذ زواجه فلم  
تكن تكثرت لشيء مما يجري حولها ولا تبالي إلا بمصلحتها  
الشخصية .

فلما دخل الكونت إلى المنزل ورأى السكون سائداً فيه  
وسأل الخادمة عن الكونتس اجابته بلسان يضطرب قائلة :

لو ابلتها سيدي الكونت خبر قدمه من قبل لكان احسن

علا ..

فقطب الكونت حاجبيه وقال : لماذا ؟

— لأن سيدي مسافراً — مسافراً منذ متى ؟

- منذ ثلاثة اسابيع - اسافرت وحدها ؟  
- كلا بل مع وصيفتها حنة ، وصيفتها المختارة .  
وقد قالت هذا القول بلهجة تدل على انها تريد بها شريكها  
فتجهم وجه الكونت وبدأت تظهر عليه علائم قرب الغضب  
فقال .

- وابن بقية الخدم ؟  
- أنهم لا يزالون في الخدمة يا سيدي غير أنهم متفرقون  
الآن لعدم وجود الامبياد في المنزل .  
- إذن لا يوجد غيرك الآن ؟  
- هو ذلك - حسناً فاتبيني .

وقد دخل إلى القاعة الكبرى ووقف هنيهة يتأمل امرأته  
وقد رسمها مصور حاذق بالحجم الطبيعي فكانت تبسم بذلك  
الرسم ابتسام سويدها كأنه ابتسام مقتضب .  
ويعد أن تمن الكونت بها هنيهة وهو مضطرب القلب  
لهذا السفر الذي لم يدرك سره نظر إلى الخادمة فجأة فباغتتها  
وهي تبسم ابتسام الهازئين فكان ذلك كافياً لاثارة المواجس  
والظنون في قلبه وقال لها :

- انك تعلمين دون شك ماذا يحدث هنا فاخبريني بما جرى  
فبسطت الخادمة يديها وقلبت شفتها اشارة الى انها لا تعلم شيئاً  
فقال لها ، اني اخجل أن اسالك ولكني لم اعد املك نفسي لشدة  
اضطرابي فان لسفر الكونتس سر خفي وقد يكون سرأ شائناً  
ولكن لا بد لي من الوقوف عليه .

قالت ، أن سيدي الكونتس قد سألت في الوزارة قبل  
سفرها عن سيدي الكونت فعلمت انه لا يعود قريباً ولا سبيل  
إلى الظنون فقد تكون كتبت لك عن سفرها ولم تصل اليك  
رسالتها .

- كلا لا اريد مثل هذه الاعذار بل أريد أن تقولي الحقيقة  
مهما كانت ، ولما رأها سكتت ووقفت وقفة المتردد قال لها :  
اني اشترى منك هذا شراء ولا في احب الا يجاز قهل يكفيك  
عشرة آلاف فرنك ؟

فاحمر وجه الخادمة احمرار فرح لا خجل فانها تبسع امها  
وأبها بهذا الثمن ولكنها ابتسمت وقالت :  
أن سيدي الكونت يحاول اغرائني والذي اراه أنه خير له  
أن ينتظر و ..

- وماذا ؟ - وأن يجهل .  
فشعر الكونت كأن خنجراً قد أعمد في صدره فقال لها  
بلهجة القانطين ، اتمي اعترافك فلم يبق سبيل إلى التردد لأنني  
فهمت .

والحقيقة أنه لم يكن احد يعلم تفصيل ما جرى فكانت  
الخادمة تقول اقوال لا تدل على امر جلي ولكنها مبنية على  
الظنون والدلائل بحيث يستدل السامع من اقوالها انه لا بد أن  
تكون الكونتس ناهجة غير المنهج للقويم من ذلك قولها أن  
الكونتس ظهرت عليها علائم الكتابة فجأة منذ بضعة اشهر  
فحبست نفسها في المنزل لا ترور ولا تزار حتى انها تمنع من دعوة

المركيبة وهي المحسنة اليها المشهورة بحنوها عليها . وإذا الطبيب عادها مرة في البدء ثم امتنعت عن استشارته ولم تكن تحاو الامع وصيقتها حنه .

فقال لها الكونت وهو يرحف غضباً ، أذن أنت تعتقدين أن للكونتس عشيقاً ؟

فلم تجبه الخادمة فقال :

ثم تعتقدين أنها سافرت لاختفاء نتيجية زلتها ؟

قالت : لا اعلم شيئاً اكيداً يا سيدي .

— من هو هذا العشيق ؟

— لا أعرف اسمه هذا على افتراض انه موجود .

— بل أنت تكذبين .

— ما الذي يدعوني إلى الكذب فقد دقمت لي ثمناً غالباً كي لا اكنمك شيئاً بما اعلم .

— اذن قل لي من هذا العشيق ؟

— ثق يا سيدي انه لا يوجد هنا من يعرف اسمه .

— حتى أنت . — حتى انا .

— حسناً فسأعطيك ما وعدتك به فقول لي اين هي الكونتس الآن .

— لا اعلم بالتدقيق .

— إلى أين ترسل رسائلها ؟

— لقد عهدت إلى البواب بإرسالها إليها .

فنظر الكونت اليها محققاً وقال لها أن هذا البواب من

اصحابك وهو الذي ادخلك في خدمتنا ولا بد أن يكون اخبرك بكل الامر .

فأطرقت الخادمة برأسها إلى الارض وقد ايقنت أن اقوالها ستكون السبب في حدوث نكبة ولكنها لم تعد تستطيع للكتمان بعد اندفاعها فقالت له : أن رسائل سيدي تذهب إلى برست المجاورة لقصر الغرام وسيدي مقيمة في هذا القصر .

قال : حسناً فان القطار يسافر بعد ساعة ولا يزال الوقت متسعاً فاعلمي الآن انك أنت وحدك التي رأيتني واني مسافر فاعتمدي على وعدي بل خذي .

وقد اعطاها حوالة بقيمة عشرة آلاف فرنك وقال لها :

احذري أن تذكرني كلمة واحدة لاحد .

ثم التفت بردائه العسكري ونظر نظرة قنوط إلى صورة امرأته وانصرف .

الم يتضح لك من الاختبار ومن درس هذا الحيوان الناطق الذي يدعونه بالإنسان أن الإنسان مطبوع على الشر وأن أهل السلامة والخير يكونون من قبيل النذور فان هذه الخادمة قد لحت عن سر الزوجة تليحاً يفتني عن التصريح ولولا خوفها من بوادر غضبه لمتكت سترها وبحثت له بكل ما تعلمه من سرها غير انها اكتفت بما اشارت اليه اذ كان به كل الكفاية وتركته وقد خرج خروج المجانين فهزت كتفيها وهي تقول :

ليقبل بها ما يشاء فقد قبضت المال .

غير أنها كانت صادقة حين قالت لها انها تجهل اسم العشيقي اذ لم يكن في القصر من يعرفه ولكنها كانت واثقة من ان الكونتس قد سافرت لاختفاء زلتها .

وكانت صادقة في هذا الظن ايضاً فان الكونتس لم تذهب إلى قصر الغرام الا لهذا الغرض ولم تصحب معها غير خادمتها لانها هي وحدها التي كانت واقفة على حقيقة سرها فمزمت على أن تقع هناك بعيدة عن الناس إلى أن تكد وتمهد بالمولود إلى من يربيه ثم تعود إلى باريس .

وقد سألت في الوزارة البحرية عن ميعاد عودة زوجها فقيل لها انه لا يعود قبل شهر وهذا الوقت يكفيها فسافرت إلى مورجانب وهناك وضعت طفلة فلم يساعدها في ولادتها غير خادمتها ثم عهدت الخادمة بالطفلة إلى مرضع في قرية مجاورة واقامت الكونتس لتتظر انتهاء مدة النفاس كي تعود .

ففي اليوم السابع من ولادتها وهو اليوم الثاني لقدوم زوجها ارسلت خادمتها إلى برست كي تأتيها بالرسائل واقامت وحدها في ذلك القصر المعتزل لتتظر بسلام عودة الخادمة .

وقبها هي على ذلك سمعت وقع خطوات في الردهة فقالت :  
- اهنا أنت يا حنة ؟  
فلم يجيبها احد .  
وبعد هنيهة قرع الباب قرعاً خفيفاً ثم فتح فصاحت الكونتس قائلة : اهنا انت ؟

وقد دخل شاب رشيق وعانقها فلم تدافع بل انبته قائلة :  
انك وعدتني أن تسافر فلم تفعل الم يكفيك ما اورثتني من العناء الملك تريد قضيتي ؟

فكان جوابه على هذا التعنيف انه اخذ يدها وجعل يقبلها وكان هذا الفتي في الخامسة والعشرين من عمره رشيق القوام رخيم المنطق براق العينين وقد كان لابساً ملابس العامة وهو في الحقيقة من الضباط وفي صدره علامة وسام الشرف وهو يدعى أودي دي فيلد .

اني اردت أن أراك مرة ايضاً قبل سفري مع فرقتي إلى بلاد السنغال وقد اتيت ليلة امس فطردتني  
- طردتك ؟

- نعم وقد وجبت علي طاعتك فامتلأت وبرحت القصر دون أن يراني احد وعولت على ان اطيعك الطاعة التامة غير اني لم استطع أن اسافر هذا السفر البعيد دون أن اودعك فمن يعلم متى نلتقي ؟

- كلا اتنا لا نلتقي بعد الآن .  
- اهكذا تريدن ؟ - بل هكذا يجب .  
- سأكره نفسي على الامتثال ولكن ذلك لا يكون سهلاً كما توهمين فاني حين افكر انك زوجة هذا الرجل ..  
فقاطمته قائلة : اني كنت ضعيفة حين تزوجته ولكن كنت اشد ضعفاً حين خنته .  
- وانا طالما خطر لي ان اخاصمه تذرعا لمبارزته فاني لا

افتكر انك له حتى ينلي دمي في عروقي فقد عشنا عدة اعوام  
في منزل واحد وامى التي ربك ورايتك تمنين امام عيني نحو  
الزهرة وأنت اجمل أثراك فهمت بك كالمعلمين وكنا كلانا فقيرين  
فالمخرط في سلك الجندي على رجاء أن اقدم فيها وأن اعدلك  
خير مستقبل فلما بلغت ما اردت بعد ان خاطرت بحياتي مائة  
مرة عزمتم على الرجوع اليك والرجاء ملء قلبي فاذا بك قد  
تزوجت بل انهم باعوك بيعاً من رجل غنى .

- أودي !؟

- نعم وقد حل اليأس في قلبي محل الرجاء وعولت على  
الانتحار ثم عدت إلى فرنسا فعلمت انك وحدك وكتبت اليك  
كهي اراك وأي امر لا اقدم عليه في سبيل الحصول عليك .

- حتى النداة ؟

- الحسين اني لم اكن صادقاً حين انذرتك بانى  
اقتل نفسي واقتلك ومن انباك لا اقدم غداً على تنفيذ  
نصف هذا الوعد .

- جنون !

- كلا ما هو بجنون الحسين اني استطيع فراقك ولا  
سباً بعد ولادة هذه الطفلة التي وصلتنا بصلة لا تزول .  
فوضعت يدها على كتف عشيقها وقالت اصغ الي يا  
أودي فانا قد احببتك ايضاً كما احببتني ولكن حي وجبك كلانا  
مختلفين فاني ما احببتك غير حسب اخاء وأنا مدينة لأملك بحميل  
التربية فلما تواعدتني بالانتحار ذكرت امك واشفتك عليها فكان

ما كان وأنت تذكر لي الموت والانتحار على اني طالما اشتيتم  
الموت بعد أن دنست شرفي واقمت على صمم يشيب له الولدان  
وإذا كنت اريد الحياة الآن فلاجل هذه الطفلة التي احبها لجله  
جوارحي نعم اني ما نجوت من الفضيحة إلا باعجوبة وقد اسأت  
الي اساءة لا تقتفر فلماذا تريد أن تسيء الي ايضاً اذهب إلى  
حيث تدعوك واجبات الوطن ونل بحسامك ما يجب ان تتاله  
من المجد اما انا فدعني اعيش لهذا الرجل الذي خنته وهو من  
المحسنين الي وكفاني عذاباً اني سأعيش بقية عمري بالكذب  
وتقريع الضمير وكل ذلك من اجلك . على اني لا احقد عليك يا  
وديع واحبك حسب اخ ولكن بشرط ان يكون لك نفس  
شجاعتى فاذا قدر لي الله النجاة من هذا الخطر الذي يتهددني  
فكل ما اطلبه اليك ان ترجع عن رجائك المقم فقد كفاني  
زلة واحدة في حياتي وسيكون آخر زلاتي باذن الله

- انك ان لم تحبينني لما كنت تقولين مثل هذه الأقوال .  
- إذا كنت قد احببتك ساعة فقد قتل الهم هذا الحب  
ولم يبق لك في قلبي غير العطف وحسب الاخاء . اما ان  
تواعدني بالانتحار فليس هذا شجاعه بل هو كل الجبن وكفى ان  
تذكر ان لك بنتاً قد تحتاج اليك في مستقبل الحياة فاذهب  
يا أودي وانظر إلى مستقبلك الزاهر فاني سأكتب اليك بالسر  
عن بنتنا وآخر ما أسألك اياه هو ان تشفق علي وعلى نفسك  
وعلى بنتنا فمن يعلم ما خبأته لنا الأيام .

ثم غطت وجهها بيدها وقد انهمرت الدموع من عينيها فمسح



اللقى دموعها بشفتيه وقال : لا شك انك ملاك بصورة انسان

- انطيني ؟ - نعم .

- اتقسم ؟ - اقسام بالشرف .

ثم ركع امامها وجعل ينظر اليها نظرة العاشق المفتون .  
وقبها على ذلك دفعت الكونتس بنف ووقفت تنظر إلى  
الباب نظرات ملؤها الذعر وقد فتح فجأة .

### العاشق والزوج

عندما فتح الباب ظهر على عتبة الكونت مالونيان زوج  
تلك المنكودة ونظر نظرة مريمة إلى امرأته وعشيقها فابتسم  
ابتسامة احتقار وقال لللقى : اظنك تدعى أودي دي فيلد .

قال : هو ذاك .

- وقد رأيتك مرة في بلاد المكسيك وسافرت مرة في

دارعتي .

- هذا أكيد أيضاً .

- ولكنني لم اكن ارجو أن تكون هنا .

- اني رهين أمرك ولكن إذا شئت اوضحت لك .

- اية فائدة من ان توضح لي امرأ اعله ؟

ثم مشى إلى الباب فافقه وعاد إلى امرأته فقال لها :

اذن لقد خنتني ؟

فاطرقت براسها إلى الارض إذ لم تطق تحمل نظراته

فقال لها :

- ما شأن هذا الرجل عندك في هذه الساعة ؟

- مالونيان ، لا تكثر الظنون فساخبرك بكل امري .

- اية فائدة من قول الاكاذيب لا يحدر بك قولها وماذا

عساك تحتلقين بل اية فائدة من الاعتراف بالجريمة وهي مائة

كالنور بوجود هذا اللقى . نعم اني حين عدت إلى باريس ولم

اجدك فيها علمت من احدى الخادومات اين انت وعرفت ما

كان .

ثم التفت إلى أودي وقال له : تفضل يا سيدي بالجلوس

فان امرنا سيطول فاني ساخبرك بمحاكاة هذه المرأة ثم اقص عليك

حكايتي فاني حين علمت خيانتها قلت في نفسي عجباً كيف أن

هذه الفتاة اليتيمة التي لقبها باسمي تهبط من مقامها السامي

إلى اسفل دركات الحياة والهوان حتى اذا رايتك عرفت

السبب فذكرت انك قريبها وانها ما رضيت بي زوجاً إلا بعد

العناء .

نعم اني ذكرت ذلك ثم ذكرت انه ليس لي من الصفات ما

يرضي النساء فسان اسرة فيتراي التي اورثتني هذا القصر

وأورثتني معه عتف الاخلاق وفوق ذلك فان التباين شديد بيني

وبينك فلأنك لدن الشباب غض الاهداب جميل الوجه حلو

الاسان وما انا على شيء من هذا فاغتنمت فرصة غيابي واتيت

اليها بحيث كان مرآك وحده كافياً للفوز وقد فزت :

فقال له أودي : انك مخطيء يا سيدي .

- وأنا يا سيدي يسرني أن تبين لي وجه خطاي .

- ذلك اني أثبت لها كما تقول ، وقد اخطأت بهذا الجهيـم .

غير أن بلانش ربيت وأياي فهي لا تحبني حب غرام كما توهمت  
أما أنا ولا اكتمك امري فاني كنت هائلاً بعينها وقد تلقيت خبر  
زواجها وأنا في المستعمرات فوقع عليّ وقع الصاعقة . ان  
الكلمك بجله الجلاء وأنا لا اعلم ما يكون بيننا الآن ولكنني  
متأهب لكل امر فاني اقرأ سور الحقد في عيبك فاعلم ، اني  
عدت قبلك إلى فرنسا فكان أول ما خطر لي أن انتقم من هذا  
الرجل الذي سلبتني خطيبتني وتزوجها وآليت على نفسي أن  
استرد هذه المرأة التي اسفك دمائي في سبيلها وارتكب  
كل الذنوب .

نعم وقد ارتكبت ذلك الذنب فكتبت اليها وهل يمكن أن  
تنتقم عن مقابلة رجل تمدد بمثابة اخيها فجمعت إلى المكان الذي  
عيلته لها وهناك توصلت اليها وانطرحت على قدميها وذكرت  
لها ما اعانيه من اليأس بعد زواجها ولكن كل ذلك كان عبثاً  
إلى أن توعدتها بالقتل والاتجار وبعدها علمت اني صادق بوعدتي  
فاخذت هي عند ذلك تتوسل الي وتستحلفني بامي وشرفي  
وقالت لي كل ما يمكن أن تقوله امرأة شريفة لرجل قانط لا  
يريد أن يضمني إلا لصوت شهوته وبعد فانها رقيقة الشعور وقد  
اعتمدت بنذاله على حنو قلبها فاستسلمت وهي تؤثر الموت  
وكنتم أنا اللذنب لا هي .

فابسم الزوج وقال : لقد احسنت في اختلاق هذا الحديث

- بل اني لم اقل غير الحق .

- ليكن ما تقول وقد وعدتك بان اقص عليك امري

فاسمع اني كنت غنياً وكنت فتى يحق لي أن أحب ايضاً كما  
احببت وقد لقيت في منزل احد الاصدقاء فتاة فقيرة قضى عليها  
شقاء الفقر أن تلجأ إلى هذا المنزل فراق لي جالها وذكرت لها  
ذلك فسمعت اقوالي فرحة مسرورة وهي مطافة اليد مثلي فقد  
كان يوسعها أن ترفض زواجي ولكنها رضيت بي زوجاً امام  
الله والشرع والناس فباتت لي . وأنا في الزواج يا سيدي على  
مبدأ الشرقيين فلا اسفل بمادات هذا التمدن الحديث ولا بشرائنا  
الموضوعه فان امراتي لي وأنا الحاكم بامرها وسيكون لي  
ولها شأن

أما الآن فلتنظر في امرك فانك سرقت امراتي وهي لي كما  
قلت لك فماذا يصنعون بسارق يدخل في ظلام الليل إلى المنزل  
أن بعضهم يدفعونه إلى القضاء وذلك خطأ فان الحاكم قدخطيء  
وقد تصيب بل أنها تكيل بمكيالين وفوق ذلك فان محاكمة مثل  
هذا السارق تكون علنية وما بعد المحاكمة غير الفضيحة وأنا لا  
أريد الافتضاح فلا استحسن هذه الطريقة . على أن بعضهم يقتلون  
مثل هذا اللص سارق الاعراض وهي خير الطرق وأفضلها إذ  
يدفن العار بدفته ولذلك سأقتلك .

فرعبت بلانش وصاحت مالونيان ماذا تصنع ؟

ثم دنت منه تحاول امساك يده فرفمها عنه بمنف وقال ابعدني  
عني أو تحمليني على الاعتقاد بأنه كان كاذباً حين قال انه لم يفر



عليك الا بحيلة ذنبة وأنا اسب أن ابقى على هذا الاعتقاد إذ لا  
اكتفك اني لا ازال احبك ولا استطيع التخلص من هذا الحب  
الذي قيدتني به البلاءه إذن فاعطني انه لا بد لي أن اموت وأواقته  
ثم التفت إلى أودي وقال : لند قلت لك اني سأقتلك ولكني  
لست سفاكا فدافع عن نفسك .

فهز أودي رأسه وقال : كلا اني لا ادافع .

فاجابه بلهجة المحترق قائلا :

- بل تدافع ببله الشدة بغية قتلي .

- كلا .

لماذا لا تدافع أعل ذلك لانك لا تزال في مقتبل الشباب  
والحياة طيبة لديك ام لانك تأنف من قتل زوج في منزله بعد أن  
دنست زوجته فاذا كنت تمسحها على ما وصفت فقد وجب أن  
يكون صوت حيك ارفع من صوت شرفك على أن الحقيقة انك  
تريد أن تعيش لسبب ثالث .

- وما هو ؟ - هو ذلك المولود .

فارتعش أودي وتبدل اصفرار وجهه باحمرار وقال : للمولود

- نعم ذلك المولود الذي سيحتاج اليك .

- يحتاج الي ؟

- دون شك إذ لا يخطر لك اني سأحزن عليه حنو الأباة بل

انني اتقى له الحياة التي وصمت اسمي .

- ماذا تصنع به ؟

- ذلك سر لا يتجاوز صدري فلنقتل في البدء وإذا كنت

تحبه فاسأل الله أن أكون انا المقتول بهذه المبارزة .

فوضع وديع رأسه بين يديه وقصد قتل له موقفه الخطير  
بافطع حالاته ثم التفت إلى الكونت وقال له : الا يكفيك رضية  
أن اقتل نفسي ؟ قال : كلا

فبحث بلانش عند قدمي زوجها وقالت له بلهجة المتوسل  
مالونيان اني لا اسألك أن تمنعني فاطردي ولنفترق وعاقبني  
بما تشاء ولكني استحلفك بالله أن لا تعرض حياتك للخطر وأن  
لا تسفك دماً وأن لا تهدد الطفل البريء احترقني وتغذف بي  
إلى هوة الشقاء التي نشلتني منها واصنع بي ما أنت صانع ولكن  
لا تفعل ما تقوله الآن .

ففتح الكونت باب الغرفة وقال لها : ان النساء لا يدخل لمن  
يهدد الشؤون فادخلي إلى هذه الغرفة وسأعود اليك قريباً .

ثم دفعها بمنف إلى الغرفة وأقبل عليها الباب .

وكان أودي قد اسرع ويريد المداخلة ولكن الكونت وثب عليه  
بعد أن أقبل الباب وقال له : إذا خطوت خطوة اقتلك .

فهاج أودي هياج المجانين وارتجفت شفتاه من الغضب فصاح  
به ما هي شروطك ؟

فأراه الكونت مسدداً كان بيده واخرج مسدداً آخر كان في  
جيبه وقال له :خذ هذا المسدس فان فيه خمس رصاصات كسدسي  
وقف في آخر الغرفة أما انا فابقي في موقعي .

- وبعد ذلك ؟

- تشير الي حين تندو متأهباً للقتال فيمشي كل منا إلى

خصمه كما يريد ويطلق مسدسه حين يريد إلى أن يقتل أو  
يموت أهنت ؟

- نعم :

- وبعد هنية ينتقل واحد منا إلى الدار الأخرى وما  
زال الله عادلاً فانت الذي ستموت .

فلم يحبه أودي وفحص مسدسه فحصاً دقيقاً ثم تراجع إلى  
آخر الغرفة وقد تمسك لصباح الكونتس من الداخلة وقال له : لتبدأ  
لم تكن هذه الحادثة التي جرت للكونت غريبة في بابها بين  
رجال السعارة إذ كانت هذه الفضائح تحدث كل يوم فان الجندي  
أو الضابط يسافر بأمر حكومته في دارة فيفیب عن زوجته  
عامين أو ثلاثة بحيث يخاف لها الجو ونقل الوحدة ويرود الفازون  
حولها فيدفعها الضعف الانساني إلى السقوط في احد الفخاخ  
النصوية لها .

غير أن الكونت لم يكن من اولئك الأزواج الذين يصبرون  
على الذل وقد كبرت عليه تلك الحياة فأيقن أنه لا يشفي  
فؤاده غير الانتقام الشديد .

فلما قال ودبغ لتبدأ أودي الرصاص فارتجت له جوانب الغرفة  
ولم يكن في هذه الغرفة المتسعة غير شمعتين كان نورهما يضطرب  
كأنه يرتجف من هول هذا المشهد للفظيح وكانت الأمواج تصدم  
الصخور في الخارج فيصل صوتها إلى الغرفة شبه الانين .  
وكان الاثنان في اشد حالات الهياج وقد بدأ أودي بإطلاق  
الرصاص وشغل له انه اصاب خصمه ولكن الكونت وثب وثبة

لتمرمال عن الرصاص إلى موقف آخر فاطلق عليه الرصاص  
الثانية والثالثة فوثب الكونت ايضاً إلى وراء السرير ولم يكن  
اطلاق عليه مسدسه بعد .

ثم ظهر رأسه من جانب السرير فاطلق أودي الرصاص الرابعة  
وكانت الأخيرة ولكن الكونت انقض عليه انقضاه الصاعقة  
دامى الجبين معرضاً لأن يصاب برصاصة في صدره .

وقد دعر أودي لهذه الوثبة الفجائية الهائلة وشعر أن الكونت  
قد ضرب يده ضربة عنيفة فسقط المسدس من يده إلى الارض  
وبات من غير سلاح .

وعند ذلك رفس الكونت المسدس برجله واشهر مسدسه على  
أودي وهو يقول بصوت اجش :

- لقد شككت لحظة بمدل الله فكنت من الكافرين وعرضت  
نفسك لرصاصك اربع مرات فكان ذلك كافياً لراحة ضميري  
فاعلم أن ساعتك قد دنت واني قاتلك .

قال : اعمل - - اليس لك وصية توصي بها ؟

- كلا - - اليس لك ما تقوله للكونتس ؟

- نعم فاني اسألها الصفر عني .

- سأبلغها قولك اما ابنك فاعلم قبل أن تموت أنه سيعيش

شعباً طريداً سأعذبه بقدر ما عذبتني .

- إذن أنت من الجناة - - ذلك شأني مع الله .

- ولكنك قلت أن الله عادل ولكل ذنب عقاب اما انا

فقد هويت لذني وستعاقب أنت .

- ألم يراك احد في هذه الجهات - كلا .  
 - إذن لا يعلم احد مصيرك فانظري آخر نظرة إلى هذا البحر  
 الذي تتأديك امواجه فهو سيكون قبرك وستلك الاساك .  
 فكفكف وديع يديه وقال : اعدا كل ما تريد قوله .  
 قال : نعم ولم يبق غير أن يتكلم القضاء بصوت الرصاص .  
 فالتفت العاشق إلى الفرقة التي كانت بها الكونتس كأنه ينظر  
 إليها نظره الوداع وأطلق الكونت عليه رصاصة واحدة اخترقت  
 صدره وسقط يتخبط بدمائه وعند ذلك دقت الساعة عشرون  
 كانت تشبه اصوات الحزن وركع الكونت امام القتييل ففحص  
 قلبه حتى إذا ايقن من موته اخذ ملاءة من السرير فلقه بها ثم حمل  
 والفاء من النافذة إلى البحر وهو يقول :  
 - ثم مستريحاً الآن إلى أن أواجهك في العالم الاخير فاتقم منك  
 مرة ثانية .

وقد برقت عيناه بأشعة الحقد الهائل فان انتقامه لم يتم بعد  
 وذهب إلى الفرقة التي حبس بها زوجته وفتح بابها فوجدتها على  
 الارض مغماً عليها فمالها بكل ما يعرفه من الوسائل حتى استفاقت  
 فلما فتحت عينيها نظرت إليه نظرة رعب وقالت : هل أنت جريح  
 وكانت الرصاصة التي أصابته في جبهته قد اكسعت قسا  
 من الجذ دون أن تمس العظم وجعلت بلانش تنظر إليه مرعوبة ثم  
 عادت إليها الذاكرة فأخذت تجيل في الفرقة نظرات تدل على  
 قلق والحوف فقال لها : أنك تبعثن عن عشيقك اليس كذلك  
 - عشيقتي ! - بأي اسم تريدن أن ادعوه .

- ماذا صنعت به .  
 - لك أن تضطري عليه قدر ما تشائين .  
 - ربه لقد ذكرت الآن . انك تبارزنا وقتلتك .  
 - هو ذاك .  
 - كلا انك خدعتني لتجربيني . اتقتل ابن عمي هنا في  
 منزلك كلا أن هذا محال . - بل هي الحقيقة .  
 - إذن أنت مجرد من الاشفاق ويسخ نفسي ألم يرى  
 قلبك لدموعي .  
 - المحسبين أن دموع المرأة تفسل عاراً وصمت به زوجها  
 إلى الابد كلا فما أما من هؤلاء الأزواج وأن فرقة من شرني تعادل  
 دموع نساء الارض .. انه مات قتيلاً وأشهد أنه مات موت  
 البواسل ولكني فرغت منه الآن ولم افزع من مهمتي بعد فهل  
 أنت وحدك هنا .  
 - نعم - ابن وصيفتك .  
 - في برست - هل تعود للبية .  
 - نعم فاني انتظرها .  
 - حسناً فقلنته الان فان الوقت ضيق .  
 - ماذا تريد بعد .  
 - لقد مات الاب ولكن مولوده لا يزال فابن هو .  
 - مالونيان !  
 - اطمانى فقلت سفاكاً ولاقتل إلا الذين يستطيعون  
 الدفاع ولكني اريد أن اتولى شأنه واقسم بالله أني سأحاسبك عنه

فركمت امامه وقالت بصوت خافض .

- ربه لا اعلم إذا كنت في بقعة أم في حلم وإذا كنت ميتة  
أم في قيد الحياة ! ماذا تبني من هذه المطالب اقتلني كما قتلتني  
فاني اؤثر الموت على تزوج ابنتي مني .

- أنك تلقين باسمي واسمك الكونتس دي فيتراري اما  
ابنتك فلا تلقب باسمي .

- مالونيان اطردني من منزلك .. اطردني واياها .  
فابتسم الكونت ابتسام قنوط وقال :

- اني تزوجتك زواج غرام واني لا ازال احبك ولا اطيق  
فراقك نعم أن الشرع يقضي علي بان اطردك ولكن لي شريعة  
خاصة وهي شريعة الحق والقوة فهل اسأت اليك بشيء قبل الآن  
- كلا .

- ماذا كنت تريد ان تصنمي بالطفلة ؟

- كنت اريد اخفاها عنك وربيبتها بالسر .

- أنت محببتها . - ايمن أن تبغض الام ولدها  
- إذن فاعلمي أن هذه الابنة وهي ابنة الحرام ستملأ  
فراغاً من قلبك لا يجب أن يحل فيه سواي وفوق ذلك فانها  
تذكرك بأبيها فلا يبقى لي شيء في ذلك القلب .

- ربه ما هذا العذاب .

- وأنها إذا كانت بعيدة عنك فانها تعيش واما إذا كانت  
معنا فأقسم بالله انها لا يكون لها غير حظ ابنيها ولا فائدة من الرجاء

- مالونيان أنك تسحق حياتي .

- وانت سحقت حياتي وشرفي معاً .

- انك لا تجرأ على تنفيذ وعيدك .

- أقسم بشرفي اني انقذه .

- ولكن ذلك فطبيع هائل ؟

- ليس افطع من قتل عاشق في غرفة عشيقته .

- إذن لقد مات حقاً كما تقول .

- وموت كنت من الكاذبين .

ثم اخذ بيدها وجرها إلى النافذة واراها الملاحة التي لف بها  
جثة الضابط وقال لها انظري فهذا الذي جنته يدك لا يداي  
وأقسم بالله انك إذ لم تعطني ابنتك قبل ساعة بمحت عنهار قدفتها  
من النافذة فينتلع البحر جسيتين وتكونين قد ارتكبت جنايتين  
فحاولت المنكودة أن تدافع ولكنها قد شرحت أن قواها قد  
وهنت وأن الحمى تكاد تحرقها فنظرت اليه بحدة وقالت له :

- ويعد ذلك - وماذا تعنين .

- اعني أن قضاء الشرع الذي قد يعذرك لقتل خليل امرأتك  
لا يصفح عنك قتلك طفلة بريئة لا حق لك عليها في شيء فانك  
تستطيع قتل امرأتك كاقنتلت عشيقها ولكن لا يحق لك قتل ابنتها  
فقال لها الكونت : انك حطئة لتوهك أن الشرع يتداخل  
في شأنه لسبب وجيه وهو أن من اصيب بنكيتي لا يبالي بالحياة  
فقد كنت شديداً شعباً غنياً محباً شريفاً ولكنك نقضت بناه هيكل  
فاصبحت ضعيفاً خائراً قانطاً لا شرف لي ولا حظ من استوفيت

انتقامي عاقبت نفسي بما عاقبت به سواي واصبحت جثة خادمة  
بحيث تبقي وحيدة لا اليف لك غير الهم والنكد وتقرع  
الضمير وكل ذلك بما جنته يدك اعلمت الآن كيف أن الشرع  
لا يعاقب الاموات .

- وأسفاه . - إذن قولي ابن هي الطفلة .

- الا سيبل إلى الرحمة - اجيبي ابن هي الطفلة .

- اتعدني انها تبقي في قيد الحياة - اعدك .

- اتعدني ايضاً بانني استطيع أن اراها - ربما .

فعضت يدها من اليأس وهي لا تعلم ما تعمل ولا تجسر أن  
تنتظر إلى القاضي المائل الذي ذهبت الرحمة من قلبه وقد وقف  
امامها وعيناه تتوهجان بنار الغضب فقال :

أسرعي بالقول إذا كنت تريدن الحياة لها .

فقال له بصوت خافت . لنعد الآن إلى غرفتي فان هذه

الجنة اطارت صوتي وسأخبرك هناك بكل شيء .

وقد اصفر وجهها وارتاحت مفاصلها ولم تعد تستطيع الوقوف  
فحملها إلى سريرها في الغرفة الثانية وهناك ادنى اذنه من لها  
لحقت صوتها فسمعها تقول :

انها عند جيلداس في بنهر ولكنك ستكون شقوقاً وسأراها  
- لقد قلت لك ربما وفي كل حال فانها ستعيش .

وقد قال هذه الكلمات بنتهي الغضب بحيث المثلت عزائم  
المسكينة واغمى عليها وقد صبغ وجهها بصفرة الاموات .

فتردد الكونت هنيهة وفحصها فحص الحائف الرجل وقد

عادت اليه امانيه بتلك المرأة التي طالما عبدها ووقف ينظر إلى  
عينها وقد اغرورقتا بالدموع فانبه خميره لفظاعته ولكن  
الكبرياء لم تلبث أن تقلبت على ضعفه فاطفأت نور الشفقة الذي  
انشاء في قلبه .

وعند ذلك اتى عليها غطاء بقيها البرد وأقفل نوافذ  
الغرفة ثم عاد اليها فوق هنيهة يتأمل وجهها الجميل وأمسك  
بيدها التي طالما وضعها بين يديه بحنو لا يوصف فاتحنى عليها  
فقبلها وهو يقول : الوداع الوداع .

وقد خرج من الغرفة وانصرف فحمل جثة أودي من  
الشاطئ إلى قارب وأوغل بها في البحر ودفنها بين الأمواج  
بعد أن صل عليها ثم ذهب توأ إلى منزل ذلك الرجل الذي  
أرشدته امرأته إليه .

## في الليل

كان الرجل والمرأة اللذان التتمتهما الكونتس على الطفلة  
من المزارعين في تلك الجهات الذين يشتغلون في مزارع  
الكونت .

فلما وصل الكونت إليه لم يكن فيه غير المرأة قاسرعت إلى  
استقبال سيدها وهي معجبة لقدمه وقالت له : أهذا أنت يا  
مولاي فما قدومك في هذه الساعة المتأخرة وما هذا  
الاضطراب .

- اجلسي يا فرنسوا واسمعي ما أقوله فقد عهدوا إليك  
بطفلة منذ بضعة أيام . ولكن ..

- لا سبيل إلى الكذب فقد عرفت كل شيء فمن جاءك  
بالطفة . - روجينا العجوز

- أمن صخرة مورجات ؟ - نعم

- ماذا قالت لك ؟

- إن هذه الطفلة ابنة خادمة القصر

- إنها كاذبة ويجب أن تعطيني الطفلة .

- لك - نعم - متى ؟

- الآن - ولكن ..

- لا سبيل إلى الاعتراض وأنت تعرفيني من عهد بعيد فهل  
أنت من أهل الشر !

- معاذ الله يا سيدي أن يخطر هذا الخاطر بيالي

- إذن هاتي الطفلة فقد حدثت أمور لا يجب أن تعرفيها .

- ماذا تريد أن تصنع بها ؟ - ذلك شأني

- ولكنها طفلة رضية يا مولاي

- ماذا يملك ذلك ؟

- لكنني أرى انه لا يجب علي ..

- يجب عليك أن تسرعي بإحضارها .

وقد رأى علي وجهها علائم التردد والخوف فقال لها :

- إن لك ولدن ليس كذلك

- نعم - وأنت فقيرة

- فقر كل فلاح يستنبت الأرض

- ثم عينوا لك لتربية الطفلة

- حسين فرنكا في الشر

فابتسم الكونت وقال لها: انها ثروة عظيمة لا تريد أن احرمك  
منها وسأعطيك ضعفها على مدة سنتين مرة واحدة أو سنتين ليرا  
وقد اخرج من جيبه اوراقاً مالية بالقيمة وبسطها امامها فبرقت  
عينها وقالت له :

- لو اعطاني سواك مال الأرض لما استطاع اخواني فقد  
وعدت أن احتفظ بالطفة .

- ذلك يدل على انك واثقة بي .

- دون شك .

- هاتي الطفلة واطمأني فلا يلومك احد .

- اني لا اعلم ما تريد أن تصنع ولكنني اشعر اني غطتة فيها  
افعل على انه لا يسمعي الا الامتثال فانك السيد الامر .  
ثم نعتت وعاتت اليه بالطفة فقالت : عمرها ثمانية ايام  
ولكنها جبهة نشيطة ..

- ماذا تدعي - جانيت .

- هذا كل اسمها - لم يذكروا لي غيره .

- حسناً فلتبها برداء - أريد أن تأخذها الآن .

- نعم .

- كنت أود أن يكون زوجي هنا .

- اسرعي فان الوقت ضيق لا سبيل إلى الانتظار .

فجاءت بهوشاح فلفتها به برفق كي لا تستفيق ثم اعطته اياما  
وهي تقول: اني احبها كما احب اولادي واخاف أن لا نستطيع



العناية بها في الطريق فما حل الاولاد من شؤون الرجال .  
قال : لا تجزعي .

وقد اخذتها الطفلة وسار بها إلى رجل من صناعته يدعى ياني  
وله امرأة تدعى بيرين فهدى اليها بالطفلة وخلاها خلوته طويلاً  
لا ندرى ما دار فيها من الحديث وفي الصباح عاد إلى باريس  
وهناك ذهب توكاً إلى شارع كومبون ففرع باب قصر جيل فسأل  
البواب قائلاً : هل المسيو نورمان هنا ؟

قال نعم .

فصعد الكونت ودخل إحدى القاعات وسأل خادماً أن  
يخبر سيده بقدمه .

## Text

### اعترافات

كان المسيو نورمان هذا صديقاً مخلصاً للكونت وهو من  
اشهر رجال القضاء يشغل اهم منصب في النيابة .  
وهو يدعى جان موريس كولباي وله ثروة عظيمة ورثها  
عن ابيه وقد تضاعفت باضافة ثروة امرأته اليها وهي من اسرة  
شريفة تدعى اسرة سانت كلير .  
فلما علم بقدم الكونت لزيارته اسرع اليه ولكنه ما ان  
رآه حتى اضطرب وقال :  
- ما هذا الاصفرار وما هذا الجرح في جبهتك الملك  
تبارزت ؟ - نعم .

- ولكن لم يسمع احد خبر هذه المبارزة ؟  
- انها كانت سرية فهل لا تزال في منصبك في رئاسة النيابة  
- نعم فهل انت محتاج الي ؟  
- هو ذاك لانني لست محتاجاً إلى جان موريس الصديق  
القديم بل المسيو نورمان صاحب النفوذ .  
- الملك تخشى امراً ؟ - ربما  
- ما الذي تخشاه ؟ - الفضيحة .  
- لقد شغلت بالي فماذا حدث اسرع باخباري !  
فأخبره الكونت بكل ما حدث له وبخيانة امرأته وكيف  
أنه قتل أودي دي فيلد ودفنه بين الامواج إلى آخر ما عرفه  
القراء من تفاصيل تلك الفاجعة .

وكان نورمان يسمع حديثه بجله الاصفاء دون أن يقاطعه  
بكلمة حتى إذا فرغ من قصته سأله قائلاً :  
- اتظن انه لم يعلم احد بهذه النكبة ؟  
- هذا الذي اظنه . - وكيف امرأتك ؟  
- انها بين الموت والحياة . - ولكنها ستبوح بما جرى  
- كلا وأنا الضمين .  
- اذن فان قتل الضابط يسهل كتمان امره فانه في كل يوم  
يحدث اختفاء دون أن تبالي به الحكومة .  
- وعلى ذلك فلا خوف من اشتهار الحادثة ؟  
- كلا واني إذا تعاقلت عنها فلا اكون مخلصاً بواجباتي فإن  
قتلك عشيق امرأتك وقد فاجأته عندها وذلك من حقك فلو

حاصتك الهامك لحكمت ببراءتك اذن فالامران واحد ولا فائدة  
للمحاکم من اقتضاحك .

- اشكرك ولكن ليس هذا كل ما اتيت لأجده .

- ماذا بقي ايضاً ؟

- لقد انتهت مهمة النائب وجاء دور الصديق .

- وأنا لا ازال ذلك الصديق فماذا بقي .

- امر الطفلة ! ..

- ارجو أن لا تكون الفتيها ايضاً في البحر .

- كلا - إذن ماذا صنعت بها .

- انها ستميش وارجو أن تبقى ولادتها مكتومة كوت ابنيها  
فاني اختطفتها واودعتها عند امرأة تربيتها - وامها .

- لا تعلم ابن هي ولا تعلم مصيرها وهذا هو عقابها .

- ولكنه عقاب فطبيع - ما هو الفطع من جرمتها

- وسيكون عذابها شديداً - ان عذابي اشد .

- الا تزال تحبها - فوق حبي القديم .

- إذا كان ذلك فكيف تقتلها !

- ارجو أن لا تقتلها الاحزان .

- وإذا مالت فكيف يراخ ضميرك .

- أن شبانها ورجاعها بإيجاد ابنتها يتغلبان على حزنها

فهي ستميش .

- لا اجسر أن أسديك نصيحة إلا إذا استشرتني .

- قل .

- أنك انتكمت الآن وقتلت المجرم فلو كنت في مكانك  
لفارقتها بالرضى أو بالمحاکم - ذلك لا يكون .

- ولكنه شرعي معقول .

- اني إذا فارقتها تزوجت ولا اطبق أن اراها لسواي .

- إذا كنت تحبها هذا الحب فلا يحبل بك تعذيبها ويجب  
أن ترد ابنتها اليها .

- ولكنها تكون برهاا للخيانة وتذكراً دائماً لأبيها .

- اذن رها بالسرو واذن لأمها أن تراها وتراقبها .

فهز الكونت رأسه وقال : كلا فقد قضي علي وعليها معاً  
وهي التي ارادت لي ولها هذا العذاب .

- انك خطيء وستشعر بخطأك - ربما .

- ثم انك غني شريف كريم الاخلاق وستندم ندماً شديداً

لفضائك على امرائك وأن تكن مذنباً ولا سبياً بقضائك على

الطفلة وهي لا ذنب لها .

- اعرف ذلك حق العرفان ولكفي لا يسرنني الآن

غير الانتقام .

- بنس هذا السرور فما عاقبتك غير الهم والنكد وقد

قصصت علي حكايتك فهل تريد أن اقص عليك حكاية توافق

ما نحن فيه .

- كما تريد !

- اذن فاعلم اني عرفت مرة فوق من طلاب الحقوق صار

عامياً حين بلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً وكان جبلاً غنياً

ذكياً كثير الطامح - ماذا يدعى .

- لا فائدة من ذكر اسمه فان العبرة بحكايته .

- اني مصغ اليك .

- كان لهذا الفق خليفة فقيرة وهي معلية في احدى الشازل عرفها شريفة طاهرة فاغواها وهامت بسبه ثلاثة اعوام دون تحفظ أو حذر إلى أن جاء يوم باتت فيه هذه الفتاة حجرة عثرة في سبيله فانه قد اعتزل المحاماة وانتظم في سلك الحكام وخطب فتاة من شهرات الاغنياء .

وكانت خليلته قد اوشكت أن تصير اما فتذرع إلى خاصمتها بحجة الفقيرة وهي حجة اختلقها للانفصال فاعطاها عشرين الف فرنك وطردها طرد الخادما .

فتعلمت الفتاة تلك الاهانة بالصبر وكتبت إلى عشيقها كتاب وداع مؤثرواخذت المال لحاجتها اليه في تربية مولودها ثم انصرفت فتزوج الرجل ولبث خمسة اعوام تشغل الحفلات والملاهي عن خليلته وولدها إلى أن تلبه فيه صوت الضمير ولم يعد يتام لتدمه على ما فعل ولطرده تلك المرأة دون اشفاق .

وقد اشتد به الندم وتقرير الضمير حتى انه عول على الذهاب إليها وارضاها وضمائنه مستقبلي ولدها فادعى أنه يريد السفر لشؤون خاصة بتعبه وسافر إلى بلد خليلته وهناك علم نبأ جده له الدم في عروقه فقد علم أن خليلته ولدت مولوداً ذكراً دعتة جان موريس باسم ابيه ولكنها ذكرت في سجل المواليد الرسمي انه مجهول الابوين ثم افرقت نفسها في النهر الذي يمر قرب منزل

قريبة لما كانت لجأت اليها .

اما تلك القريبة فقد كانت عجوزاً وقد ماتت اسفاً عليها حين علمت بفراقها واختفى الولد فلم يعلم احد ابن هو على كثرة البحث عنه .

فاعلم ايها الصديق ان هذا الرجل قد يكون صخري القلب وثروته تعد بالملايين وقد ينال كل ما يشتهي في هذا الوجود من جاه وشرف ولكن يبقى في قلبه جرح لا تدمه الايام وولدها ينال لميئته في كل مغيل وهو يفكر في الام فيخال له انها تدعو عليه اذ من احماق المياه ويفتكر بالولد فيمثل له شقياً منكوداً يتسول في الاسواق فيصبح اشد نكدأ وشقاء منه .

فتق ايها الصديق بما قلته لك واعمل بنصحي فان الوقت لا يزال متسعاً لديك واحذر تقريع الضمير فان عذابه شديد .

فوقف الكونوت وقال : لا يوجد شبه بين حكايتي وحكايتك فان الطفلة ليست بابنتي .

- انك حراً فيما تفعل .

- انكتم امر مقتل الضابط كما وعدتني ؟

- دون شك - اشكرك .

- على ماذا عزمت ؟

- على أن اسافر وأحتجب وذلك ميسور في مهنتنا فاستودعك الله .

- ولكنك لا تحطيه . إذا عملت بنصحي فان الكونتس من

اجل النساء - هذا لا ريب فيه .

- وانك لا تزال تحبها - حب هيام  
 - وستندم حين لا يتفكك الندم فاصنع عن ذلك خيراً لك  
 وأقرب للتقوى .  
 - لقد باتت بيننا هوة حيقة فاستودعك .  
 ثم ودعه وانصرف .  
 وعند ذلك دخلت امرأة نورمان اليه وقالت له :  
 - من الذي كان عندك الآن .  
 قال : صديق حميم من قواد الدوارع .  
 - اهو مالونيان فيتراي - هو بعينه  
 - انه رجل سعيد غني محترم وهو يحمل وسام الشرف  
 ليس كذلك . - هو ذاك .  
 - وامرأته مشهورة بجمالها فلا يعوزه من الهناء الانساني  
 - لقد اصبت - وكذلك أنت فيما تظن .  
 - هذا لا ريب فيه .  
 - انما لا يزال ينقصك الوسام .  
 - اتتمنين أن اكون من اهل الأوسمة .  
 - دون شك فان ذلك مما تقتنصر به الزوجات .  
 - سأفله قريباً .  
 - اتعلم ما اتقناه ايضاً حين افكر بالمستقبل - ماذا  
 - اتقى أن ترقى إلى منصب ووزير العدل .  
 - انك شديدة الطمع .  
 - أو تكون ذاتاً عموماً على الاقل .

قصة  
 حبيب

- هذا من المكنتات - وسيكون صديقك اميرالاً  
 - ان نبؤتك قد تصدق .  
 فنظرت اليه بحدقة وقالت له : - لا شك عندي انك  
 ستغدو تام السعادة مثل صديقك دي فيتراي فانبتسم ابتسامه  
 بهكم وقال : نعم سأكون مثله .

وقد كانت تقول الحق فان الاثنين كلا من اسعد الناس في عيون  
 مواطنيهم غير أن الظواهر تخدع في اكثر الاوقات فيكون شأنها  
 شأن الشجرة تفر بجبالها العيون وفي داخلها يتقل الدود وعندما  
 قال موريس نورمان هذا القول قطب حاجبيه واقتكر بتلك  
 المرأة التي انتحرت غرقاً في سيبه وبولده الشرير الذي بات قانطلاً  
 من لقاته فإن تلك الحكاية التي قصها على صديقه الكونت لم  
 تكن غير حكايته التي جرت له في عهد شبابه قبل الزواج .

### العدو والفقير

كان موريس نورمان قد ندم الندم الشديد ويات كثير  
 الاسف لتفريع ضميره وإشفاقه على خليلته وعلى ولده الذي  
 لم يعرف له مقراً .  
 ولم تكن هذه الفعلة المنكرة كل ما دفعه إليه نزق الشباب  
 فقد اتفقت له حادثة ايضاً مع ابن مزارع عنده ولدت الحقد  
 عليه في قلب هذا الفتى وهو لا يظن له لاحتقاره امره فكان  
 مثله معه كمثل البعوضة والأسد .

ولا بد لنا من الامح إلى هذه الحادثة لشدة علاقتها بحدوث  
الرواية القادمة ولأن ذلك المقدم لنا إلى امور هائلة لا تحظر  
في بال .

والحكاية انه كان لوريس نورمان مزرعة كبيرة ورثها عن  
ابيه وورثها ابوه عن جده ا

وكانت عائلة تدعى لاروش قد استأجرت هذه المزرعة بعشرة  
آلاف فرنك في العام وقد تعاقب اعضاء تلك العائلة على  
استيجارها منذ خمسين عاماً وهم يستغلونها ويدفعون اجورها  
وينفقون بما يكسبون منها عن سعة . والعادة عند المزارعين أن  
من يعمل في ارض مثل هذا العهد الطويل ينتهي امره بشراء  
الارض بما تكتسبه غير أن تلك العائلة لم تكن من اهل الاقتصاد  
وزاد في شقاها آخر من تولاها كان مقامراً كبيراً فأهل تلك  
الارض الطيبة واستحال امره من الريح إلى الحسارة وعجز عن  
دفع الايجار وذلك في عهد موريس نورمان وكثرت ديونه بحيث  
اضطر موريس إلى حجز مواشيه وبيع كل مقتنياته لاستيفاء  
دينه فأصيب بالحراب التام ..

وكان لهذا المزارع ولد يدعى بيير لاروش يتلقى دروسه في  
احدى كليات باريس فلم يعلم شيئاً مما اصاب به ابوه إلى أن عاد  
إلى البيت في الاجازة المدرسية فوجده شاوياً خالياً ووجد  
المزرعة كأنما قد انتهت النار فكبرت عليه هذه التكبى وكاد  
يصاب بالياس إلى أن خطر له خاطر اوصله اليه كرم اخلاق  
الصبا ومروءة الشباب فقال في نفسه .

لا شك أن المسبو موريس نورمان صاحب المزرعة لم يعلم بما  
اصابنا من الحراب إذ يستحيل أن يقدم على خراب اسرة تحتم  
اسرته منذ خمسين عاماً ولا مروتق لها إلا من هذه المزرعة وانما  
فعل هذه النعمة للتكرة احد عماله ثم انه في مقبل الشباب  
وفروقه تمد بالملايين وهذه النطاعة لا تكون عادة في قلوب اهل  
الصبا فلا بد لي من مقابلته وهو سيتلقى امرتاً من غير بد ولم  
يكن له ولا لآبيه ما يمينه على نفقات السفر إلى باريس فلقي  
احد رفاقه واستدان منه خمسين فرنكاً وذهب توأ إلى العاصمة  
وهناك جعل يذهب في كل يوم إلى منزل موريس ويلتص  
مقابلته فيجيب الخادم تارة انه لا يستطيع قبول الزيارات وتارة  
انه مشغول ومرة انه لا يحب مقابلته واخرى انه ليس بالمنزل ،  
كل ذلك وهو ينفق من الخمسين فرنكاً إلى أن لم يبق معه غير  
فرنكين فجاء والياس ملء قلبه وطلب مقابلة موريس بالحاح  
فأذن له بعد الجهد العنيف .

وقد اسقط في يده حين رآه إذ قابله بجمه العظمة  
والاستكبار ونظر اليه نظرة ازدراء دون ان يتكلم ثم عاد  
إلى اقام رسالة كان يكتبها .

فصبر الفق إلى أن يتم رسالته فأتها وبدأ بسواها وهو غافل  
عنه كأنه غير موجود ا

فمنظم ذلك على بيير ولكنه كان لا يزال يرجو الخير منه ولم  
يحد بدأ من مكاشفته بأمره فبدأ الحديث وقال بصوت محتق :  
لا شك أن سيدي لم يعلم بما جرى لنا .

فابقى موريس القلم بيده وقال له : متى ؟

- في هذه الايام الأخيرة .

- ابن ؟ - في المزرعة .

- نعم تلك المزرعة التي لا تورثني غير التعب فان من يشتري ارضاً في الريف يخطيء اشد الخطأ لأن المزارعون لا يفون الأجور .

- ولكن عائلتي لم تتأخر عن السداد خمسين عاماً .

- ولكنها تأخرت هذا العام .

- لم يكن ذلك إلا لفعل الموسم .

- بل كان لاسراف ابيك فذاذا يملك في كلية باريس إلا

يوجد في القرى مدارس لامثالكم .

وقد قال هذا القول بشهكم وعظمة يصعب وصفها ثم عاد إلى الكتابة فشرع يبهر كأنه قد طمن بطنه ولكنه ذكر شفاء امه وبأس ابيه فتقلب على عواطفه وجعل يبسط لذلك الفتى المتجرب حالة عائلته وانتظام سيرها مدة نصف قرن وانها إذا تأخرت عن سداد قسط مرة فلم يكن تأخرها من قبيل الطمع بل بسبب القحل وأن صاحب الارض يجب أن يكون مع المزارع متضامنين وأن الناس للناس إلى غير ذلك الأقوال .

فكان موريس ينظر اليه من حين إلى حين نظرات المتجبر المستكبر إلى أن قاطعه فجعل يدحض براهينه بقوله .

أنه لا يعرف غير القوانين وأن المدين لا بد له من سداد الدين وأنه لا يجب المعاطلة والتسويق إلى أن يش بير منه وحاول

أن يبذل آخر جهد فاخذ يده اخذ الملتصق .

ولكن موريس جذب يده مسرعاً كأنه قد وصم بوصمة عار للامسته يد ذلك الفقير !

قصر بيير ايضاً على هذه الاهانة وقال له : اني اقف حياتي واعمل الليل والنهار لسداد دين ابي .

فهر موريس رأسه وقال : ليس هذا بضهان .

- ولكن ابي قد بات شيخاً عجوزاً :

- كان يجب أن يعد معداته للشيخوخة .

- وصيقتل الحزن امي .

- يسومني موتها ولكن ذلك ليس ذنبي .

- انك جعلتنا من غير مأوى .

- ابعدنا عن مأوى فذلك شأنكم .

- سيدي أن من يقسو هذه القسوة يجب أن يحذر .

- اتوعدني ؟

- كلا ولكني اراك لا رحم - ذلك من حقي :

- ربما ولكن للانسانية حتى لا يجب أن يضيع .

- والقانون ايضاً حتى وان لا اعرف سواه .

- اريد أن اتوسل اليك جانياً على ركبتني ؟

- أنك تضيع وقتك وهو لا قيمة له عندك اما وقتي فثمين

وكفى غير أن بيير لبث واقفاً في مكانه وقد توجهت عيناه بنار

الغضب وخطر له أن يهجم على هذا الفتى العائلي فيخنقه ويظهر

الارض من وجوده ولكن موريس ادرك قصده فنادى لفوره

احد خدمه وقال : اخرج هذا الفتى من هنا .

فحرق اسنانه لهذه الأهانة الأخيرة وقال لموريس بصوت يتهدج النظر الي جيداً كي لا تنسى رسيمي واحفظ اسمي بل انقشه على صفحات قلبك كي لا تنساه . اني ادعى ببيير لاروش وانك غني قادر وانا لا املك درهما غير اننا سنلتقي ثم خرج مع الخادم والشريتايير من عينيه فلما وصل إلى الباب التفت ايضاً إلى موريس وقال له :

- نعم اقسم بالله سنلتقي .

فالتهم موريس الخادم قائلاً : اخرج هذا المجنون .

فجره الخادم جراً وهو لايعي لشدة ما اسابه من الاضطراب فلم يقبته إلا لصوت باب المنزل يقفل في الزم وجلس هناك على حجر وهو ضائع الرشد وقد اصفر وجهه حتى بات كلاموات ولم يقطن لنفسه الا حين مر به البوليس ودنا منه فسأله قائلاً :

- هل انت مريض يا بني ؟

فتبته ببيير واسرع إلى الوقوف فقال :

- كلا ولكني اصبت بدوار خفيف وقد زال .

فذهب البوليس في شأنه وانصرف ببيير وهو يتهدد ذلك المنزل بقبضته ويخال له أن نوافذه تهزأ بوعيده .

وقد عول المنكود أن يعود إلى اهله ولكنه لم يبق معه اجرة القطار فقاد ماشياً على قدميه ووصل بعد مسير يومين . وكانت امه تنتظره وقد يرح به الهم والحزن فلما اخبرها بما كان بينه وبين صاحب المزرعة قتلها اليأس فانت لقورها وكان

آخر ما قالته : اصفح عنه يا بني .

وهي كلمة جديرة بشير الدين باتباعها ولكن حقد الفتى كان عظيماً جداً وكيف يصفح عن هذا الغني الذي امانه وقتل امه والتي بعائلته إلى هاوية الدمار وهو لو شاء لاصح حالهم باليسير من المروءة الميتة في قلوب بعض الاغنياء فنظر إلى امه وهي مسجاة على فراش الموت فقيل جبينها وقال :

- نامي بسلام أما أنا فلا اثم نومتك قبل الانتقام .

### خار من شرار

ولا يد لنا قبل العودة إلى الكونت مالونيان وزوجته أن نذكر شيئاً ايضاً عن ببيير لاروش الذي سيكون له شأن خطير في هذه الرواية ..

لا جرم انه كان فقيراً ضعيفاً لا يستطيع أن يسيء بشيء إلى ذلك الغني القادر على انه على ضعفه لم يكن من الاعداء الذين يستهان بهم فقد كانت له ارادة لا تصدها قوة أي انه كان ماضي العزيمة شديد الحقد وكفى بالحقد قوة ولذلك كان ببيير لدى موريس عدواً حقيراً صغيراً لا يأبه له الاقوياء .

وقد كان في الحقيقة عدواً خفياً صغيراً ولكنه كان هاتلاً كاللكروب يترج في الدماء ويقتل ولا يرى .  
على أن ببيير علم ان ساعة الانتقام لا تزال بعيدة ولم يكن له في تلك القرية غير ابيه ولم يبق لها في المنزل ما يباع ويشرى

فلم يجد بدأ من الرحيل فسار وياه بتجولان في القرى والناس فيها خير من أهل المدن الكبرى أي لا يزال للرحمة أثر في قلوبهم فكانا يعيشان بفضل اوائك الناس حتى انتهيا إلى قرية كان فيها مدرسة كبيرة فاشتغل بالتعليم فيها وجعل ينفق على نفسه وعلى ابيه من مكسبه اللبيل خمسة اعوام إلى إن ادركت اياه الوفاة فدفنه كما دفن امه وقتل بقول الشاعر .

ذهب الذين احبهم وبقيت مثل السيف فرد  
ولما شبه نفسه السيف لأن الحقد كان لا يزال ينفي في قلبه  
ويجعله اشد مضاء منه فقد ولد ذلك الحقد في قلبه مبدأ لا  
يتسكن الا في نفوس كبار الفاتنين وهو كره الانسان بجملته  
حتى انه كان يود أن تكون رؤوس البشر رأساً واحداً فيقطع  
ذلك الرأس .

وكان بجوار المنزل الذي يقم فيه امرأة عجوز غريبة جاءت إلى هذه القرية منذ خمسة اعوام فلم يعلم الناس شيئاً من امرها لشدة ميلها إلى الاعتزال والوحدة ويوجد معها غلام صغير وربه بلاء الاشفاق والحنو .

فاتصل بيير بها بحكم الحوار وبات يسامرها في كل ليلة ويحاول في كل حين أن يقف على حقيقة امرها وامر هذا الغلام فكانت تبالغ في الكتمان حتى انقطع عن سؤالها واعتمد على الصدقة في ادراك هذا السر ولكن الصدافة تمكنت بينها لأن بيير كان يجد شيئاً من السامى مما يعانیه في تعلم الاحداث . وكانت هذه المرأة في الثمانين من العمر وقد اخنى عليها

الكبير فيينا كان بيير في المدرسة إذ جاءه رسول وقال له :  
« اسرع بادراك المعجوز الغريبة فهي على فراش الموت وتريد أن تراك »

فأسرع اليها ووجدها على آخر رمق غير أنها نشطت حين رآته وقالت له : اجلس بجاني يا بني فانني أريد أن اخبرك بأمري قبل أن اموت وحكايتي وجيزة فاعلم اني قروية كنت اقيم في قرية فاروم وكان لي فيها صديقة حميمة تقم في جوارى ا فيينا نحن في ليلة معاً إذ اقبلت صغيرتها عائدة من السفر ولكنها قانطة على صباحها وجمالها من الحياة .

فقال لها بيير : من أين عادت ؟

قالت : من باريس تلك العاصمة العظيمة التي باتت ضريحاً تدفن فيه فضيلة بنات الريف وقد كانت معلمة في احد المنازل فلقيها لشقاها احد الشبان الاغنياء الذين كانوا يترددون إلى هذا المنزل فأحبها وأحبته وهو غير جدير بهذا الحب لأنه كان من اولئك الاغنياء الاسافل الذين يحسبون قلوب العذارى متاع يباع ويشترى .

- ماذا يدعى ؟

- سوف تعرف اسمه فلما أوشكت تلك المنكودة أن تصير اما باتت حلا ثقيلا عليه وكان يبني أن يتزوج فطرد تلك المنكودة طرداً قبيحاً بعد أن اختلق الجميع الكاذبة وأعطاهما شيئاً من المال فتركت باريس وعادت إلى جدتها فولدت عندها غلاماً وهو هذا الغلام الذي اربيه ثم انتحرت فأغرقت



نفسها في التهر بعد أن كتبت إلى ذلك الفتى السافل رسالة  
عندي صورتها .

وبعد ذلك بيضمة أيام ماتت جدتها اسفاً عليها بعد أن  
عهدت لي بالفلام واعطتني مالها ومال حفيدتها فجمعت اريبه  
ولكن ساعتي الاخيرة قد دنت كما ترى ولا بد لي أن اعهد به  
إلى سواي .

إن هذا الفلام عمره خمسة اعوام وهو يدعى جان موريس  
باسم ابيه وقد اردت أن اعتمد عليك لتعني بك فان مجموع ما  
عندي من المال يبلغ اربعمين الف فرنك وهو في هذا الصندوق  
وقد كتبت وصيتي وجمعتك قبا على المال والفلام كي لا  
ينازعك احد .

ماذا تريدان أن أصنع ؟

- اريد أن تربي الفلام ويكتفي وعدي .  
- ولكنتك لم تذكر لي اسم ابيه فماذا يدعى ؟  
- نورمان - ما تقولين !

- جان موريس نورمان .  
- اهو ذلك الفتى الشهير المقيم في شارع الكبوشين في باريس  
- هو بيسنه !

فاتلقت عينا بيير بيارق سرور فقالت له المعجوز : ارضى .

قال : نعم فهل يعلم الفلام اسم ابيه ؟ - كلا

- اين هي أوراقه وامواله والوصية ؟

- في هذا الصندوق وهذا مفتاحه .

وفي تلك الليلة توفت المعجوز وفي اليوم التالي عاد بيير من  
للدفن إلى منزلها فأخذ بيد العبي إلى منزله وهو يبسم ابتسام  
الابالة ويقول مخاطباً موريس نورمان عدوه الوحيد .  
لقد ظفرت بك اخيراً وسنلتني كما قلت لك .  
ذلك انه كان قد وضع لنفسه خطة هائلة لا يتسكر قرائح  
الابالة اشد منها هولاً في سبيل الانتقام .

اما الكونت مالونيان فانه حين عاد إلى منزله في باريس  
كتب إلى امرأته كتاباً مسهباً قال لها في جملة :

« لا انكر أن عذابك سيكون شديداً بعد قتل عشيقك  
واختطاف ابنتك وعجزك من لغائها ولكنه عذاب تستحقينه  
فان زلتك اشد على اني سأعذب مثل عذابك فاني لم اسلبك  
هذه الطفلة إلا لتكون سداً منيعاً بيني وبينك فلا يقتلني هواك  
وكل ما اردته في ذلك هو أن يتمكن المقد علي من قلبك وأن  
تكروهيني اشد كره بعيت لو عدت اليك نادماً متوسلاً لما نفعني  
توسل ولا قبلت لي شفاعته فقد قضى الامر وسوف ترينني في  
القليل النادر ولكنك قد لا ترينني وتبين زوجتي في عيون  
الناس كي لا أدع لك سبيلاً للتزوج .

« وهنالا بد لي أن اقول أن جثة دي فيلد قد ابتلمتها  
الامواج وكم امرها بعيت بقي شرفك مصوة امام الناس .

« وأما الطفلة فسرتبى تربية ابناء البحار عشره اعوام ثم تدخل  
إلى احد الاميرة فتتعلم إلى أن تبلغ الثامنة عشرة وتصح

و حله  
قاصديه

قادرة على الارتاق وبعد ذلك اخرجها من الدير الذي ادخلها  
اليه واخبرها انها فتاة لقيطة لا تستطيع الاعتماد إلا على نفسها  
في هذا الوجود واعلمي يقيناً انه يستحيل عليك أن مجهدي  
نفسك في ابحاث لا تفيدك وتفضح سرّ المكتوم .

« وآخر ما قوله انك لا تغيرين شيئاً من عاداتنا فتقيمين  
في اي قصر أردته من قصورنا وتنفقين كما تشائين من ثروتنا إلى  
أن يفرق بيننا الله لا الناس فانهم لا يستطيعون هذا التفريق »  
فاجابت امرأته على كتابه بما يأتي :

« اني لو لم اكن في حالة تشبه الاحتضار لاسرعت اليك  
وتراعبت على قدميك نعم اني مجرمة الذمّة فاصنع بي ما  
أنت صانع .

فلا اشكو وقد اتقمت بالقتل وارحم تلك الطفلة فلا  
ذنب لها :

« نعم انك ستعود إلى رشدك ولا تعاقب تلك البريئة هذا  
العقاب القاطع فانك ستشفق عليها لا محال وتشفق على نفسك  
إذا كنت تحبني كما تقول واصغ الي فالك اذا عفوت لا اكون  
امراتك بل اكون خادمك افعل كل ما يرضيك واحبك بجله  
جوارحي واعو بخضوعي وحيي مدى العمر زلة ارتكبتها بساعة  
ضعف وانّي اقنع منك ان تعدني بالرفق بابنتي وأن تأذن لي  
أن اعطيها سرّاً ولا يجدر بك رفض هذا اللتس اذا اردت  
التنجاة من عذاب الضير .

« مالونيان اذكر القول الحكيم : « أن من أحب كثيراً

يغفر له الله كثيراً » .

« وقد احببتك كثيراً يا مالونيان فاغفر لي تلك الزلة واشفق  
عليّ » .

فاجابها الكونت بما يأتي :

« لا فائدة من الالحاح فأنت تعرفين صدق عزيمتي وعزائوك  
أن عذابي اشد من عذابك وسأندرع بالكبرياء والصبر لاخفاء  
عذابي فاقندي بي » .

وعند ورود هذا الكتاب إليها أرسلت إليه البرقية الآتية :

« بربك لا تسافر إنّي قادمة إلى باريس ولا يد لي أن  
أراك » .

وبعد أن أرسلت التلغراف سافرت إلى باريس ووصلت  
إليها في اليوم التالي فلما دخلت إلى المنزل علمت أن الكونت  
قد سافر وترك لها رسالة تتضمن هذه السطور .

« أنك لم تشفقي عليّ فلم أشفق عليك وأن اليأس لا يقتل  
الناس ومتى قرأت كتابي هذا اكون بعدت كثيراً بحيث لا  
تستطيعين ادراكي ولا يعلم غير الله متى أعود ومتى نلتقي » .

وحده  
قاضييه

## الفصل الثاني

### نسيج العنكبوت

مضى تسعة عشر عاماً على هذه الحوادث التي بسطناها في مقدمة هذه الرواية ففي اليوم الأخير من شهر أكتوبر سنة ١٨٨٨ رسا يacht جميل في ميناء الهافر كانت مرفوعة عليه راية نادي البيخوت الانكليزية الملكي وهو يدعى الباتروس وكان هذا البيخت قادماً من لندرا وهو من تلك البيخوت الخاصة التي يسافر عليها كبار الاغنياء وعظام الامراء .

فلما رسا خرج منه رجلان يتبعهما ستة من الخدم فساروا توأ إلى القطار المسافر إلى باريس ورجع البيخت لفقوره عائداً إلى لندرا .

وكان احد هذين الرجلين فتى في مقتبل الشباب رشيق القوام جميل الوجه لا يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر والآخر في سن الكهولة يكاد يبلغ الخمسين من العمر وقد شاب رأسه ولكنه لا يزال قوياً براق العينين وقد ابتسم ابتسام الظاهر حين وطئت رجلاه ارض فرنسا كأنه سينال فيها ما

طلما تمناه من ثروة أو غرض خفي !

على أن من رأى بيير لاروش معلم الاحداث ذلك الفتى الذي كان يضم في قلبه حقدًا هائلاً على عدوه الوحيد موريس نورمان يجد شيئاً من الشبه بينه وبين هذا الكهل ويقول انه هو ولكنه لا يلبث أن يرجع عن هذا الحاطر لأن الفرق كان بعيداً بين حالة ذلك الفلام المدمم الفقير وبين هذا الكهل الموسر الذي لا يسافر إلا على يacht خاص ولا يتداني إلى الاختلاط بالناس في البواخر العمومية .

وقد جلس مع رفيقه الشاب في غرفة واحدة في القطار وأدركها الليل وكان الكهل يفكر ويتسم من حين إلى حين ابتسامة تدل على الحثب .

فقال له الشاب لما بيننا من الوداد ألا تنام ؟

فأجابها الكهل قائلاً : انك لا تعلم يا جان اني لا انام إلا بأحدي عيني انها حكمة تلقيتها عن الذئب فقد قيل انه :

ينام بأحدى مقتلته وينقي بأخرى المنايا فهو يقظان دائم بل هو حذر تدعو اليه المهنة وإذا شئت فقل انه كره الحياة فقد ستمتها .

فتنهذ الفتى وقال : أنا مثلك فقد ستمت الانتظار .

صبراً يا بني فما هو الا عام وتقال ما تبتغيه فهل لقيت في عشرتي ما يحملك على الشكوى مني .

- كلا .

- أوعدتك وعداً لم اكن فيه من الصادقين ؟

ثم ابتسم ابتسامة شيطانية ماسكة تخفي تحتها رغباته  
ومطامعه وقال : أين مطامعك يا جان أيرضي من كان له  
ذكاؤك مثل هذا المصير !

- لك أن تقول ما تشاء ولكني يمر بي ساعات اندم فيها  
على مباراة شربورغ .

- لماذا الحسارتك الراقب ؟ - كلا

- اذن الفراق تلك الحسنة ؟ - هو ذاك !

- ألا تزال تفكر بها ؟

- بل هي تتمثل لي بكل مكان .

- انها هواجس صبيان .

- بل هو حب صادق فقد ربينا في حي واحد وفارقتها

وهي كالزهرة النامية لم تتجاوز خمسة عشر ربيعاً فلا اعلم ما  
جرى لها بعد هذا الفراق

- انك فارقتها منذ خمسة اعوام ومتى عدت إلى شربورغ

تجد فيها تلك الزهرة

فلم يحبه الفتي وأطرق مفكراً فقال له الكهل :

- بماذا تفكر ؟ - لا افكر بشيء .

- بل انك لا تزال تفكر في شربورغ ولكن اصغ الي فاني

أفرغت الجهد وأنفقت كل ما كسبته على تعليمك بحيث تلقنت  
من العوام ما لا يتلقنه بعض ابناء الامراء .

- لا انكر أن كل ذلك كان بفضلك .

- وانك من اهل المطامع فما خلقت لتفتن بالقليل .

- هو ذاك . .

- أدفعتك إلى امر كان وخيم العاقبة ؟

- كلا فقد كنت آبه الحكمة .

- اذن دعني ادير امورك .

- ولكني اريد النهاية .

- لقد قلت لك صبراً إلى أن ينتضي عام أتمسب هذه

المهلة طويلاً .

- كلا ولكن ماذا يكون بعد العام ؟

- يكون عيش الرخاء المضمون .

- غير اني اخاف قبيل انقضاء هذا الاجل أن تكون

في السجون .

- لا تذكر هذه اللفظة السمجة يا بني ولا تكن من

اهل الخوف .

- لست بخائف وسأقفو اترك فاذا سقطنا سقطنا معا

ولكني لا ازال نادما على عيشتي السابقة في شربورغ .

فضحك الكهل ضحك الساخر وقال أنتدم على فراق ذلك

المحل الذي كنت مستخدماً فيه ؟

- نعم فانك عيقتني في خدمته وكنت فيه على أحسن حال

- كيف ذلك يا جان أنتدم على راتب مائة فرنك في

الشهر وعلى أن تكون ما حبيت في سلك المستخدمين فلا

تستطيع أن تقترض درهماً ومتى أدرتك الوفاة مت في احد

المستشفيات الخيرية .

- هو ذلك .

- واني ما اقتك في ذلك المهل في شربورغ إلا مؤقتاً إذ كان في نيتي ان اسافر إلى لندرا وقد سافرت اليها وتعرفت اليها وتعرفت فيها بأشهر محل

- نعم انه محل شيرليت وشركاه .

- وقد بلغنا بفضل هذا المهل كل ما نتوق اليه ووصلنا إلى ما نحن فيه . - وبعد ذلك ؟

- وصلنا إلى باريس ولم يبق علينا إلا أن نخطو الخطوة الاخيرة ونصعد إلى قمة الفوز وهو فوز سهل نصبح بعده من كبار الاغنياء . - ولكنها اصغاف احلام .

- بل هي حقيقة واقعة ولا اسأل غير صبر عام وربما لا تحتاج إلى اكثر من نصف عام .

- ماذا يجب أن نصنع ؟ - ألك ثقة بي ؟

- أملكك ثراب بتفتي .

- كلا فقد وجدتك صغيراً أم لك ولا أهل وكانت وبيك امرأة عجوز فانت وتوليت انا أمرك فربيتك كما يري الأب ولده وكنت اشتغل وأنفق على تعليمك فتتقت وعرفت اكثر اللغات الشائعة وتربيت افضل تربية بحيث لم يعد يعوزك غير الثروة فانه لا مطعم لي في هذا الوجود إلا أن اراك من أهل المال والجاه وستكون لأني اريد .

فهز الفنى رأسه وقال : هيهات فليس ذلك بالأمر اليسير

- كلا فقد يكون مطلباً صعباً لكنه غير مستحيل فقد وجدت طريقة لنيل الثروة لا خطر فيها .

- ولكن ماذا يجب أن اصنع .

- يجب أن تتوصل إلى ارضاء قناة غنية جنية لا خبرة لها في امور الدنيا ومكانه الرجال لأنها لا تتجاوز الثامنة عشر من عمرها ومتى احبتك كان علي الباقي فبعملك تفوز بها وبلايينها .

- امي حكاية خيالية تروها .

- بل اروي لك حقيقة راعنة لا بد أن تكون .

- كيف ذلك .

- لقد اتخذنا جميع الوسائل فما انت الآن جان موريس

القيط ابن ذلك الطغام الوحشي الذي انكرك بل انك تدعى جان رودريكوس البتخ الغني وأنت من اورليان الجديدة .

نعم أنك اصبحت من أهل تلك البلاد النائية وقد هجرتها وجئت إلى باريس كي تقم فيها بقية العمر وتجعلها موطنك الدائم اما ثروتك فهي من النقد والمغار اما النقد فلك في

محصر انكلكرا اربعة ملايين فرنك ويمكنك تحويلها إلى محل شيرليت وشركاه عند الاقتضاء واما العقار فان لك قصراً في شارع يازانو في باريس وقصراً آخر في الحلاء في سنساي قرب

فرسايل وكثيراً من المنازل في اورليان الجديدة عهدت بيعها إلى محل شيرليت اعلمت الآن حقيقة ثروتك .

- نعم ولكن كيف اثبت نسي الجديد .

- أن أوراقتك على اتم الضبط والانتظام بحيث لو سئلت

عنك سفارة الولايات المتحدة لاجابت بما يثبت هذا اللبس .  
- ولكن الضمير لا يرتاح إلى هذه الأمور .

- اي ضمير هذا وأي رجل من أولئك الاغنياء اصحاب الملايين جمع امواله بالعمل . ابعث عن مصدر كل ثروة من تلك الثروات لا تجده الا من السرقة والنهب والحداع فما كانوا يرجعون عن قصد حتى يدركونه مها كانت الوسائط وانما هذا المال حق الناس كلهم فمن اطاق التماس اغتصاباً لا يلتسه سؤالا أو يكون من الخاملين .

- ما هذه الاقوال التي اسمعها منك اليوم يا ابني فإن من يأتمر بها يكون قد سار في طريق السجون .

- بل أن هذه المخاوف لا تجدر بأمالك يا جان فانك لا تقدر نفسك حق قدرها كما يظهر ، انها معركة دائمة فمن صفر فيها واستسلم وتدانى عاش كل عمره عيش المسر والمسكنة .  
ومن اشتد وغالب وغلب عاش عيش السعة والرخاء فالغوز كل الغوز منوط بالقوة والتغلب على خصمك في هذا المعترك .

نعم يجب أن تكون أشد من رجال الشرطة الذين يطاردون الناس لا كما تجري كلاب الصيد في اثر الطرائد فإذا فزت بطريده افلقت منها عشر بل يجب أن تكون ادعى من ذلك الفئسي الذي يجمع الدينار إلى الدينار فأخذها من ايدي الناس ولا يقيد بها الا نفسه .

وأي كسب في الوجود لا خطر فيه وانما الاخطار تكون على قدر المكاسب والحاقد من تلافها بالدعاه والحكمة وهذا

السر فانه ينقض على الفريسة وهو في كل حين عرشة لسهم الصياد ولكنه إذا كان حديدي البصر قوي الجناحين عبث بالصياد وذهب بفريسته إلى قمة عالية لا تناله فيها السهام .  
وهكذا نحن يا ابني فاذا اردت السعادة في هذه الدنيا فقد وجب عليك أن تقتدي بهذا السر .

ثم ضحكك ضحكاً عصبياً شف عن حقد هائل كامن في صدره فقال له جان : اراك أصبحت جاد المزاج حين وطنت ارض فرنسا فبت تتدفق في الاقوال تدفق السيل ! ..

- ذلك اننا بدأنا المعركة ومعنى اطلق المدفع الأول المؤذن بالقتال فلا بد للقلب أن يزيد خفقاً .

- لا تخف فساكون اطوع لك من بنائك .

- هذا كل ما اريده منك .

- ولكنك ذكرت لي قبل السفر انك قادم إلى باريس بهمتين وقد ذكرت لي احدهما فما هي الثانية ؟

- هي مهمة خاصة بأحد مشاهير تجار الجواهرات وستقف على تفاصيلها فيما بعد .

- كما تريد .

- وقد بقي علي أن اخبرك بأمر آخر وهو اني لم اعد منذ الآن ذلك الموظف في شيرليت بل اني ادعى بتريوس ووظيفتي أي مملك ومرشدك من الحدادة وانني من كبار العلماء كما أنك تدعى جان رودريكوس فلا تلتس ونم الآن مطمئناً .

وهنا انقطع الحديث بينها ونام الاثنان في الاطار وفي

## الفصل الثالث

### الكونتس الصديقة

مضى شهر على ذلك تم في خلاله التعارف بين جان رودريكوس المتشكر وبين موريس نورمان وتبدلت الزيارات وراق في عيون اعضاء تلك الاسرة فكان بكثرة التردد عليها لما بينها من رابطة الجوار التي ادت إلى رابطة الوداد .  
وكانت ماري في الثامنة عشر من عمرها وهي شغراء دعجاء العينين قامتها فوق الربع بمثلثة الجسم .  
وهي على جماها طاهرة القلب حسنة الثقة مائة والناس لها ابن عم يبلغ الخامسة والعشرين من العمر حسن الاهداب مليح الشباب يدعى فرنند ويحترف صناعة الهامة .  
وكان يجب ابنة عمه حياً شديداً ولكنه كان فقيراً لا شيء من التناسب بينه وبينها فلم يكن يحسر على مكاشفتها بحبه .  
غير أن نظرات الهيبين لا تخفى ولكن ماري كانت تعد حبه حب قرابة فلا تتجاوز بحبه هذا الحد .  
وكانت امها تميل إلى تزويجها به خلافاً لأبيها وذلك لشدة

الصباح وصلا إلى باريس فركبا مركبة وركب الخدم في مركبتين وساروا جميعهم إلى قصر شنلي قرب فرسايل ..  
وهناك وضع بيير يده على كتف جان وقال له :  
- انك في قصرك الآن يا جان رودريكوس ولك قصر آخر في باريس ذلك عدا ما لك في بنك انكلترا من الملايين وهو حلم كما ترى ولكن الحقيقة منوطه بك إذا عرفت أن تصبر عاماً .  
قال : سأصبر .

- ولقد اخبرتك عن فتاة ستزوجها وهي ذات الملايين فاذا اردت أن تعرف قصر ابيها فما لك الا أن تطل من هذه النافذة لأنه مقم في جوارك .  
فأطل جان من النافذة ووقف صامتاً يتأمل في حديقة القصر الغناء وفيها هو على ذلك مرت فتاة كانت تتزده في تلك الحديقة فقال له بيير : هذه هي فانظر اليها .  
قال : الحق أنها بارعة الجمال .  
- وهي أيضاً وافرة المال . - ماذا تدعى ؟  
- لا بأس من أن تعرف اسمها الآن فهي ماري ابنة موريس نورمان .

شفقه بلال .

وقد رأى فرنند ما كان بإستفاء موريس بهذا الفتي الاميركي  
الغني ورأى أن ابنة عمه باتت تميل اليه للطفة ورقة حديثه  
فكبر عليه وخشي أن يميل من قلبها كما حل قلب ابنيها .  
فكاشف امها بحبه وكانت اعظم نصير له برغبتها فيه .  
ففي ليلة كان جان رودريكوس وسواه مدعوين في منزل  
نورمان وقد بالغ في الاحتماء برودريكوس مبالغة بقلة  
الاكثرات بفرنند فضلت به امراته في قاعته وقالت له :  
- اراك مفضياً على فرنند فاني لا اراك تكثرت له  
أتل اكثرات .  
قال : كلا فانك واهمة .

- لست واهمة فان ذلك ظاهر منك في حين أن هذا الفتي  
طاهر القلب شديد الاخلاص مستقيم السيرة .  
- هو ذلك فقد جمع كل الصفات الحسنة ولكن  
- ولكن ماذا ؟  
- انك تفهمين مرادي - لم افهم شيئاً .  
- إذا كان لا بد من التصريح فاعلمي أي فهمت قصدك  
وانه لا يكون زوجاً لابنتي ..  
- انك عظمي في ذلك يا موريس فهو خير كفه لها .  
- لا ارى رأيك لسوء الحظ .  
- انه من رجال المستقبل .  
- قد يكون ما تقولين .

- وانه يحب ماري حباً صادقاً وستكون معه من  
اسعد النساء .

- إذا كان ذلك فسوف أضطر إلى منعها عن المقابلة  
- كلا فلا يمكنك أن تقصي عن منزلك قريباً بحجة أن لك  
بنتاً بلغت عهد الزواج وتخشى أن يروق في عينيها وفوق ذلك  
فلا يحمي لنا الاهتمام بأمر قد لا يكون خطره له في بال .  
- أن من يبلغ مهرها مليونين تنخطر في كل بل .  
- بل ثلاثة فقد عين لها جدتها مليوناً ايضاً .  
- اسق ما تقولين ؟  
- نعم فقد اخبرني بذلك منذ ساعة .  
- بورك فيه .

- ألا ترى إذن أن من كان مهرها ثلاثة ملايين يجدر أن  
تختار هي زوجها .

- كلا فلا اريد أن يكون زوجها ابن عمها .  
- مسكين فرنند !  
- ورجائي أن لا تخابريني بشأنه بعد الآن ؟  
- إذا كان هذا امرك فلا سبيل إلى نقضه .  
- انا لست آمرك امرأ بل ارجوك رجاء فقد علفتني  
التجارب أن السعادة والشقاء مقدران للمرء في الزواج وليس  
للثروة واللمه يدي في هناه الزوجين ودليل ذلك أنا وانت فقد  
كنت غنياً حين تزوجتك وانت ايضاً فهل نحن سعيدان بهاتين الثروتين  
فابتسمت ابتسامة حزن وقالت :



- اي غرض لي من هذا الاقتراح الا سعادة أبنتي وهي  
بتلك أيضاً فليكن ما تريد .

وعند ذلك تركته وذهبت لاستقبال سيدة عجوز دخلت إلى  
القاعة في تلك اللحظة وهي المركيزة جانيت ابان .

فلما استقرت في مقامها نظرت إلى موريس وقالت له :

- لدي خبر هام انبئك به يا مسيو نورمان .

قال : خبر هام ! - بل خبران .

- لنبدأ بأولها .

- أوردك شيء من اخبار صديقك الكونت مالونيان

دي فيتراي - كلا ؟

- الم يكتب لك شيئاً ؟ - منذ عام .

- اذن فاعلم أن صديقك الكونت هنا .

- هنا .. ؟ اني كنت احسبه في طولسون لعودة

الاسطول اليها .

- لقد كان هناك امس وسيزورك هذه الليلة .

- أحمسين انه في باريس ؟

- من يعلم انه منذ عشرين عاماً لم يرها غير أربع مرات ولم

يكن مقيماً فيها غير يومين . مسكينة امرأتها فاني اشفق عليها

كل الاشفاق !

فتظاهر موريس انه لا يعلم شيئاً من سرها وقال لها : أن

الكونتس صديقة لك فلا بد أن تكون اخبرتكم بأمرها .

- انها لم تخبرني بشيء على الاطلاق .

- وعن زوجها ؟

- لم تقه بحرف فكل ما علمته انها تمسة منكودة .

- اذن اخبرنا بالخبر الآخر ابنتها المركيزة .

- الخبر الآخر هو اني اثبتكم بهذه الكونتس .

- لقد أحسنت وكيف رضيت بالجميع وهي معاتلة في

مزلها كالنساك .

- اجمعت عليها كثيراً حتى اقمعتها .

- وهل هي هنا الآن ؟

- كلا ولكنها ستأتي بعد هنيهة .

- أعرفت أن زوجها وصل بالاسطول الى طولون .

- لا اظن فانها لم تقل كلمة عنه .

- الحق اني لا أجد اغرب من شأن هذين الزوجين .

وعند ذلك دخل جان رودريكوس فالحنى امام المركيزة

وقال لها : أأجسر يا سيدتي على التماس التشراف بمعرفة

سيدتي المركيزة .

فأسرع موريس إلى المداخلة وقال :

- اسمعني لي يا سيدتي المركيزة أن اقدم لك المسيو جان

رودريكوس أقرب جار لنا .

- أهذا في شناسي ؟ - نعم يا سيدتي .

فقالت المركيزة لجان .

- أن هذه البقعة غير البقاع قبل المنزل لك .

- نعم .

- الملك اشترته قريباً : - منذ بضعة اشهر .  
 - اي منذ قدومك إلى فرنسا فقد علمت انك اميركي ؟  
 - هو ذاك يا سيدتي .  
 - أن اميركا متسمة لمن أي بلاد انت .  
 - من اورليان الجديدة فسان اهلي فيها ولكن اصلنا من اسبانيا .  
 - الا يزال أهلك فيها ؟  
 - كلا يا سيدتي فاني وحيد في هذا الوجود ولم أجتاوز بعد سبعة وعشرين عاماً فاني اعيش مع مرشدي الذي لم يفارقتي منذ ولادتي .  
 وبعد حديث مختلف استأذن جان من المركيزة وقد أعجبها بأدبه واختلط بالناس في قاعة الرقص .  
 وكان الراقصون يستريحون في تلك الساعة وقد جلست ماري بجانب ابن عمها على مقعد فكانت تؤنبه فتقول :  
 - انك تعلم يا فرنند باني مخلصه لك ولكني ارى انك حاقد علينا .  
 - كيف أحقد عليكم .  
 - اذن لماذا كدت تنقطع عن زيارتنا فقد كنت وورنا كل يوم ثم انقطعت منذ ثلاثة اشهر حتى لم نعد نراك اكثر من مره في الاسبوع .  
 - ليس لذلك سبب غير كثرة المشاغل .  
 - كلا فلماذا لا تثنى بي يا فرنند اننا ربينا معاً وأنت ابن

عمي ولا شك عندك باني احبك حب الأخت لأخيها .  
 فاصفر وجهه فرنند ولم يجيبها وعادت الفتاة إلى الحديث فقالت .  
 اني لا ازال في مقتبل الشباب لا أدرك شيئاً من معاني الحياة ولكن يخال لي انه يجب أن تكون سعيداً فان اعمالك كثيرة ولم اسمع احداً يذكرك إلا بالثناء ولكني اراك حزيناً متعباً منذ عهد قريب مما يدل على انك متعب فلماذا لا تخبرني بتعبك .  
 - بل انك تغدعني فهل تحب يا فرنند .  
 - انا .  
 - دون شك وما يمنعك عن أن تكون محباً محبوباً .  
 - نعم ايها العزيزة اني احب والتي احبها متجهل مدى الحياة عمي .  
 فاحمر وجه الفتاة وقالت : - لماذا ؟  
 - لتبائن حالتينا بحيث لم يبقى لي شيء من الرجاء  
 - لم أفهم ما تقول فانك تدعى فرنند نورمان اي أنك من اسرة محترمة شريفة فما هذا التباين .  
 - انها غنية وأنا فقير كما تعلمين .  
 - أعمل هذا بعد من التباين .  
 - انه لا يعد تبايناً عند المتعلمات الرقيات أمثالك ولكن يوجد في الناس من تحسب تبايناً عظيماً .  
 فاشفقت الفتاة عليه وقالت له : اني لا اريد أن اراك كثيراً يا فرنند ويجب ان تبوح لي باسم الفتاة التي تحبها فقد تكون

صديقة لي فاخدمك اجل خدمة وحين اقت جلستها التفتت قرأت  
فتي ينظر اليها نظرة العاشق المتهون .  
فتنهضت وارادت الذهاب اليه .  
وكان هذا الفتى جان رودريكوس فاصفر وجهه فرئند واحمر  
وجه ماري واستأذنت من ابن عمها وذهبت إلى جان .

### لا تزال حسناء

في ذلك الوقت نفسه كانت امرأة حسناء تجتاز قاعات المنزل  
مستندة إلى ذراع موريس فأوصلها إلى حيث كانت المركيزة .  
وكانت تبلغ نحو الثامنة والثلاثين من العمر ولكن رونق  
جمالها كان يدل انها لا تزال في عهد الصبي وقد زادها جمالا ذلك  
الثوب الأسود الذي كانت ترتديه وملامح الكتابة على وجهها  
الجميل وقد استقبلتها المركيزة بعنو الامهات ونظرت اليها نظرة  
اعجاب فقالت لها : انك مشرقة كاللكوكب ولكنك حزينة  
كالليل افلا تريدن خلع هذه الملابس السوداء التي تلبسينها منذ  
عشرين عاما .

وكانت هذه المرأة الكونتس بلانش زوجة الكونت  
مالونيان دي فيتراي .

فهزت رأسها وقالت لها : كلا يا سيدتي المركيزة .

- لماذا.. العلل لك عنذر - هو ما تقولين .

- اجلسي يا ابنتي بجاني وإذا كنت تنهجين مناهج الحرية

اخبرتلك خبراً يسرك

فامتثلت الكونتس ولكنها هزت رأسها اشارة إلى الشك إذ  
كانت تعتقد انه لا يوجد نبأ يسرها في الوجود غير نبأ ابنتها  
وأيسن للمركيزة أن تعلم اخبارها ولما جلست سألتها  
المركيزة قائلة :

- أم يكتب لك زوجك اخيراً - كلا

ما هذا الرجل الغريب الأطوار فان صدري ينقبض حين  
أفكر في زوجتك به فتى وردك آخر كتاب منه .

- منذ شهر فبراير الماضي - اين كان .

في سيجون ولكنه مر بها مروراً .

- ألم يقل لك متى يعود ؟

- بل لم يكتب لي إذا كان يريد أن يعود .

- لا أعلم ما حدث لك يا ابنتي ولكن لا بد ان يكون  
حدث بينكما ما دعا إلى هذا التفور فكلم مرة رأيته في  
عشرين عاما .

- ما رأيته مرة بل كنت ألهه لها .

- لا شك بوجود سر بينكما وأن كل منكما يحرص

على كتابته .

ألا فما هذا الزوج الذي لا يظهر حتى يقبب فاذا أقام في  
منزله يوماً هجره عدة أعوام بل ما هذه المرأة التي لا تزال في  
إبان جمالها وهي تحرب من الحفلات وتعيش في منزلها عيش  
الزاهدات ألا تعرفين أن ذلك من الغرائب .

ثم حدثت بها كأنها تريد أن تستطلع سرها وقالت لها : لقد وعدتك بلباً جديد وهو أن زوجك الاميرال سيعود فارتعشت الكونتس وقالت . ماذا تقولين !

- اقول أن الاميرال سيعود - متى .

- غداً بل ربما اثنى هذه الليلة - كيف عرفت .

- من مصدر وثيق - من اين ؟

- من وزير البحرية نفسه .

- العله يريد أن يقيم طويلاً ؟ - لا أعلم

فقطبت الكونتس حاجبيها وتمنت المركيزة في وجبها فرات انه لم يبدو عليه شيء من علامات الفرح فقالت في نفسها : ترى العله تكرهه .

وكانت بلانش قد استطلعت انظار الفتيان الراقصين يهابها فكانوا يتسابقون في دعوتها للراقصة وفي جملتهم جان رودريكوس فكانت ترفض دعوتهم رفضاً باتاً بحيث كانوا يقطعون حديثها .

حتى إذا بدأ الرقص عادت المركيزة إلى الحديث فقالت : اظن انك لا تشكين بصدقتي ؟

- هذا لا ريب فيه .

- إذن قللي يا ابنتي اني سأسألك بعض الاسئلة لا اريد بها الا خيرك .

- ايه فائدة من الاسئلة ؟

- اني أعلم انك تتعدين كثيراً !

- لا أنكر ذلك .

فاخلعت المركيزة بيدها وقالت لها : تعني بي جيداً فكم تحسبن اني اعيش بعد ، اني قد أعيش عاماً أو عامين وهذا كل ما اطمع فيه ويسووني أن افارق الحياة دون ان أكتشف سر أحب الناس الي .

- اتريدين أن تلقني على سر حياتي .

- نعم فقد عشت كثيراً من العمر وعرفت كثيراً من

الأسرار اللدنة في هذه العاصمة ، بلد العجائب ، ولكنني ما رأيت أعجب من سركِ ويقيني انه لا بد ان يكون حدث امر هائل بينك وبين زوجك .

- باه لا تسأليني يا سيدتي .

- بل اسألك ولك الحيار في اجابتي على اني لو كنت

اراك ضاحكة فرحة لأطمأنت وما سألتك شيئاً ولكنني ادى الالتهام قد هجر شفئك حتى كدت تنسينه .

- نعم وأسفاه فلا سبيل اليه .

- بل اني اراك دافئة الحسرات والتند وأن هذا الصدر

الذي طالما خفقت له القلوب لا اراه يخفق إلا بالزفرات لماذا حدث بينك وبين زوجك اخبريني فانك تعلمين يقيناً مقدار حبي - رباه اني لو كنت عارفة لما اتيت ..

- اليس لك ثقة بي - نعم .

- اذن لماذا هذه الأفكار .

- لا استطيع أن أقول .

- لعل نكبتك عظيمة - فوق ما تظنين .  
 - لا أعلم ما أقول لك يا ابنتي فقد كنت ارجو أن تبادليني  
 المودة وأنت تملين اني وحيدة في هذا الوجود واني عرفتك  
 منذ الهداة فريت عندي ثم جاورتك بعد زواجك عشرين  
 عاماً كنت اراك فيها كل يوم فأحزن لحزنك والآن انما اسألك  
 لمعرفة سبب هذه الكتابة فترفضين .  
 - ذلك محال  
 فهمت المركيزة في اذنها قائلة :  
 - الطلح تحبين يا ابنتي حباً خفياً لا سبيل إلى الهناء فيه  
 فغفقت قلب الكونتس إذ ذكرت ابنتها وقالت :  
 - نعم نعم ، حي على غير ما توهمين .  
 - اذن انت تحبين زوجك وما شقاؤك إلا من هجرانه .  
 - لا احب الكونت بل اكرهه .  
 - انك تكرهين زوجك - نعم .  
 - اذن تحبين سواه ! - كلا :  
 - ربه ما هذه الألفاظ قولي فاني احب أن اعرف كل شيء؟  
 - لا تسأليني .  
 - وإذا سألتك الا تحبين .  
 - ربما .  
 - ارى انه يوجد بينكما سوء تفاهم ولا بد لي من اصلاح  
 ما افسد - لا يستطيع ذلك غير الله .  
 - ولكن زوجك من اهل الشرف والظرف وقد رأيت

مراراً فوجدته يتألم فوق ما تتألمين .  
 فقالت بلانش بلهجة فرح يسرني أن يتعذب .  
 - انه يحبك حباً شديداً ولا تستطيعين انكار هذا الحب .  
 - ربما .  
 - بل هو اكيد وإذا كان يحبك هذا الهجران على حبه فلا  
 بد ان يكون هناك سبب عظيم دعا اليه .  
 فأطرقت الكونتس برأسها ولم تحب فقالت لها المركيزة إذن  
 لا تريدان أن تبوحوا بسر .  
 - لا استطيع .. لا اطيق .  
 - ولكن هذا السر سيقتلك ابنتها التعمه وانا بثابة امك  
 فلا اطيق أن اراك على هذا الحال .  
 فتفجرت عند ذلك دموع الكونتس وجعل قلبها يخفق  
 خفوقاً شديداً ثم قالت : لقد غلبتني بعنوك وأنت تريدان أن  
 تعلمي اذن فاعلمي ..  
 وعند ذلك جعلت تروي لها تفاصيل تلك الحكاية المفضمة  
 منذ غلظتها إلى ساعة اختطاف ابنتها والمركيزة مصفية اليها  
 تنظر فارة من زلتها وتنوع فارة لنكبتها حتى إذا أتمت حديثها  
 نكست المركيزة رأسها ثم قالت :  
 - لقد حدثت النكبة والأسفاه ولكتك لم تنهجي مناهج  
 الحكمة يا بلانش وكنت من الجاهلات .  
 - كلام اكن جاهلة بل مجرمة اثيمة اذ كان يجب علي ان  
 اذلل عن عرضي حتى الموت وأصون شرف زوجي الذي

اتمنى عليه ولكنه انتقم من العشيئ بالقتل ومنى بالمعجر في  
ذنب ابنتي ومهما كان ذنبي عظيما اما ان له ان يغفر وهل يعاقب  
عليه بعقاب نسائي اقطع من هذ العقاب .

- وماذا جرى بعد أن اختطفت الطفلة ؟

- كنت ارجو أن يرق قلبه ويشفق على الطفلة واما  
ويردها اليها بعد ان تهدأ ثورة غضبه ولكنه مضت الشهور  
والأعوام وسيمضي العمر دون أن أراها .

ولقد كان خوفي عليها هينا حين كانت طفلة صغيرة إذ لم  
تكن معرضة لشيء من الأخطار اما الآن فقد بلغت العشرين  
من العمر ومن يدري ما يكون امرها وما يحدق بها من المصائب  
فقد تكون أمس النساء .

- وبما .

- بل ذلك اكيد فان قلبي يمدني بشقاها وحديث قلوب  
الامهات لا يكذب ولذلك اضطررت في كل لحظة وما افكرت  
بها إلا وخطر في بالي ذلك الرجل الذي سرقها مني فأشعر اني  
أكرهه كرها لا تصفه الأقلام وأني قد صفعت له عن قتل  
أودي وعن تعذيبي وعن كل اساءة إلي وأما جريته بشأن ابنتي  
فهي بعيدة عن مثال الغفران ولذلك أكرهه هذا الكره الشديد  
وأنت تقولين انه سبعضر وقد اصبحت عارفة بكل شيء  
فاذا جاء فقولي له اني اكرهه كرها لا يحوه غير الموت .

ان عمر ابنتي الآن عشرون عاما . لا أعلم أين هي واني ابذل  
نفسي لمن يرشدني اليها ولو سحقتي للكونت بقدميه وطردني

اقبح طرد لالتست له عذراً وصفعت عنه اما وقد سلبني  
ابنتي فهو سافل سفاك لا يستحق أن يلقب بلقب الأشراف .

وقد وقفت هنيهة ساكنة واجمة تنظي وجهها بيديها ثم  
قالت بلهجة القانطين :

تري لماذا اخبرتك بدائي وهو لا دواء له .

- لا تنظني يا ابنتي فللكل داء دواء .

فحاولت الكونتس ان تجيبها ولكنها صاحت صيحة منكرة  
إذ رأت زوجها الاميرال واقفاً عند الباب وقالت :

- رباه هذا هو .

ثم افلنت من يد المريكيزة وهي تقول :

- كلا كلا لا اريد أن اكله لا اريد أن اراه . استودعك  
له وعند ذلك خرجت من باب آخبر ودخل الكونت  
إلى المريكيزة .

### صوت الضمير

كان الكونت مالورنيان دي فيتراي قد رقي في هذه الاثناء  
إلى آخر ما يطعم به في سلكه فقد تركناه قائد دارعة وهو  
اميرال اسطول وقد كبر وشاب شعره واخترقه الهم فذهب  
ذلك الرواء القديم وظهر التجعد في وجنتيه لشدة ما عاناه من  
عذاب النفس .

وقد رأى امرأته تهرب منه فلما دنا من المريكيزة قالت له :

لقد اتيت بمد فوات الاوان فان العصفور قد طار .

ثم سألتك قبل أن تدع له وقتاً ليسأها قائلة :

- متى اتيت ؟ - الآن .

- قل الحقيقة ايها الكونت اما كنت عالماً انها هنا ؟

- هذا اكيد

- أن بلانش تعيش في منزلها عيش الزاهدات فهي تهرب من

الحفلات ومن الناس إذ لا تلقى في عشرتها غير الضجر وانا التي

اكرهتها على الحضور إلى هنا هذه الليلة .

- لقد عرفت ذلك .

- اذن لقد ذهبت إلى منزلك قبل أن تجيء إلى هنا ؟

- دون شك .

- مسكينة بلانش فقد ذهبت حين حضورك ولم تترك إذ

كانت تجهل عودتك لم تخبرها انك عائد ؟

- كلا :

- اذن كيف يمكن لها أن تعلم برجوعك ؟

فلم يجيبها الاميرال على ذلك وسأها قائلاً : ماذا حدث عندهم

من الامور في مدة سفري ؟

- لقد حدثت امور كثيرة منها هذه ثم اشارت له إلى ماري

وجان روديوكوس وهما قد اعتزلا في آخر القاعة وجملاً

بتناجيان كأنها بول وفيرجيني فهو يبسط لها غرامه بارق

الاحاديث وهي تحمر احمرار سرور لمن ينظر اليها خلصة من

حين إلى حين .

فسأل الاميرال المريكيزة قائلاً : من هو هذا الفق ؟

- انه رجل اميريكي قدم الينا منذ بضعة اشهر .

- اهو من الاغنياء .

فضحكت المريكيزة وقالت اصعب منك كيف تسألني هذا

السؤال أملكك نسيت أن صديقك موريس لا يصاحب

غير الاغنياء .

- لقد اصبت .

- وهو إذا كان قد اذن لابنته أن تخنلي بهذا الفتي فما ذلك

الالا انه يعتبره من اصحاب مناجم الذهب .

- اذن هو خطيبها !

- لم يخطبها بعد ولكنهم همسون في الأذان أن عقد الخطبة

بات قريباً - العليها متحابان .

- كما ترى فان دلائل الحب لا تخفي على احد ؟

- هنئياً لها ؟

وقد تنهد وقال هذا القول بلهجة دلت على مبلغ عذابه

فتأمرت المريكيزة لتنهده وقالت له :

- اني اريد أن احديثك بشأن خاص ايها الاميرال فهل

تخرج إلى قاعة معتزلة كي لا يضايقنا احد ؟

فامتثل الاميرال وهو لا يعلم سبب هذا الاحتياط حتى إذا

اختليا بإدرته بالسؤال قائلة ؟

- لك ضمير ايها الكونت :

فابتسم وقال عجباً ما هذا السؤال الغريب ؟

- ولكن قل لي ألك ضمير ؟

- دون شك يا سيدي لما حملك على الريبة بضميري ؟

- حكاية عجيبة رويت لي منذ هنيهة وهي تتعلق بك ورجائي أن لا تحقد علي أيها الصديق فاني أشبه الجراح يكوي الجرح بنية شفائه وأنت تعلم اني اجلك وأحترمك وأريد لك كل خير .

ثم انك من اعظم الرجال كمالاً وأرقم قلباً غير ان المرء قد يمر به في ادوار حياته حوادث يأسف لها وانما خلوت بك لإباحتك يمثل هذا الشأن عملاً بواجب يدعوني ا

- ما هذا الذي تقولينه يا سيدي ؟

- اقول اني اريد ملاقاتك وبل عظيم ارجو أن لا يكون ذهب أو ان ملاقاته .

فتنظر الكونت إليها نظرة الفاحص وقال لها :

- اذن لقد اخبرتك الكونتس !

- لا احاول الانكار فقد اخبرتني حقيقة بكل امرها .  
- متى ؟

- منذ هنيهة وأنت تعلم أيها الكونت ان الحبل إذا بولغ في شدة تصرم وانقطع وبما عجببت له من هذا المنكودة هو كيف انها اطاعت احتمال عذابها كل هذا العمد الطويل وهو فوق احتمال البشر .

ومع ذلك فقد بقيت مصرة على الكتمان إلى أن تمكنت اليوم من اكرامها على الاجابة ورأيت أن سرها سيقتلها فانزعته منها

لاشفاقي عليها وهو سر هائل يا كونت .  
فاضطرب الكونت اضطراباً شديداً وكاد يتفجر ولكن

الركيزة منعه عن الكلام بإشارة وقالت :  
لا تخف أيها الكونت على سر من الافشاء فقد عرفتني من عهد بعيد وهذا السر قد دفن في صدري فلا يخرج منه الا بأذنك ولكن هذه المنكودة هالتي امرها والحمت عليها حتى باحت لي بسرها فانفجرت ازمتها بعض الانفراج .

- ويعد ذلك ؟

- سأخبرك بياسها وهياجها وحقدتها .

- تقولين حقدتها ؟

- نعم ولا اظنك تحسبها تمعدك بعد ما كان منك

- اذن هي تكرهني ؟

- اتمعجب من هذا الكره ؟

- أنت واثقة من ذلك ؟

- هذا الذي ارنايه بعد ما لقيت من العذاب والاساءة .  
- فجعل الكونت يمشي بخطوات مضطربة ثم وقف امام الركيزة وقال لها ، انك ذكرت اسماقي إليها فهل لم تسيء هي الي .  
- لا اقول ذلك أيها الكونت ولكن الانسان ضعيف بالطبع .

- اذن انت تمذربنها لزلتها .

- كلا

- اذن .

- ان ذنبا مهما كان عظيماً فقد كان العقاب اعظم .



- كيف تقولين ذلك ألمه يوجد أعظم من ذلك الذنب .  
- أن الرجال يملفون بكبرياتهم حداً لا يقبله العقل والطبع  
وانما أنت تتكلم الآن بلسان كبرياتك ولكنك لا يسمعك  
الانكار انك كنت تشعر بخطاك حين اعتزلت في سكون  
الليل وحين تكون بين الماء في البحار ولا بد أن يكون خطر  
لك الغفران .

- أنا اغفر وأي فائدة لي من هذا الغفران :  
- فائدته أن ترد اليك امرأة طالما طردت خيالها النوم عن  
جفتيك لأنك كنت تمسكها عبادة وأظن أنك لا تزال تحبها .  
فارتض الكونوت وقال بصوت يتلعثم :  
- ولكنك لم تقولي يا سيدي أنها تكروهني ؟  
- وكيف تريد أن تحبك وقد جرحت قلبها جرحاً لا  
يزال داسياً إلى الآن ألا تعلم أنك عاقبتها عقاب الأبد بزلّة ساعة  
وربما كان لها بعض العذر في سقوطها لضعف قلبها في حين أنك  
لم تكن معها فتمينها على مقاومة هذا الضعف ألا تعلم أيها الكونوت  
أن من كان له كثر يجب أن يصونه ويحرص عليه  
ولكنني لا أريد أن أعود إلى تذكّار هذه الزلّة فقد مضت  
عليها الأعوام الطوال ومحت الزها الدنوع والمذاب بل أنني  
أريد البحث في عقابك أيها الكونوت فان المرأة المذنبة يجب أن  
تعاقب على ذنوبها ولكن لا يجب أن تمتدب عذاب الشهداء .  
فتنهد الكونوت تنهداً طويلاً وقد شعر أن قلبه سيثب من صدره  
فقال لها : اتوسل اليك ابنتي المركية أن تدعي هذا البحث إلى

وقت آخر .

- كلا فقد قلت لك أن واجبي يدعوني إليه ولا بد لي من  
إتمام هذا الواجب اعرفت قصدي أيها الصديق اني أريد أن  
أرشدك إلى النهج اللغوي ففسّر في طريق العدل والحق وتجيّب  
صوت ضميرك الذي يقرع أذنيك .  
- ومن ابتاك اني سائر في غير هذه الطريق وأني لا افتكر  
كما تفكرين .

- أنت ا - - نعم :  
- كيف ذلك .  
- ذلك اني مصغ من عهد بعيد إلى صوت ضميري واني  
أحاول اصلاح ما افسدت .  
- اذلك ممكن .  
- نعم فانك تعرفين بعض سري لا كله فهل أنت مخلصه لنا  
- كيف يحامرك الريب .  
- اذن فاعلمي أن نكبتنا فوق ما تطمين .  
- ربه ماذا تقول - وأنها لا دواء لها .  
- لا دواء لها .  
- نعم فهل اعترفت لك بلانش بكل الامر .  
- لقد اعترفت لي بالزلّة والمقاب .  
- كما اعترفت لك بأنها تكروهني .  
- وانت لا تكورها .  
- بل لا ازال احبها وهذا هو عقابي بل هذا هو عذابي

الذي يبلغ اضعاف عذابها فان الشرف بدعوتي أن انتزعها من قلبي وأن اقصيها عني فقد دنستني ولا سبيل إلى اغتفار خيانتها ونعم اني قتلت عشيقها وهو اقل ذنباً منها ولكني لم اندم على قتله فهو رجل وابقيت عليها اذ لا يجوز قتل امرأة حتى اني لو حاولت قتلها لرد يدي جملها وكان يجب ان اطلقها ولكني لم اطلق طلاقها حذراً من أن يتزوجها سواي فقد كنت اغار عليها حتى بعد الحياة .

نعم لقد كان يقضي الشرف علي أن انفصل عنها ولكني على شدة تمسكي بشرفي كان صوت الحب اشد من صوت الشرف في قلبي ولذلك اقول لك أن عذابي اشد من عذابها .

- كلا بل انت الواهمة لانك لم تحبي حباً دون رجاء فتعلمين عذاب هذا الحب وكفى أن الشرف والحب يتنازعا قلبي منذ عشرين عاماً وإذا كنت في ريب مما اقول فانظري الي فقد خلقت لأعيش مائة عاماً لفؤة بيني ولكن المم قد اخترق قلبي حتى اصبحت ولي منظر الشيوخ وانظري إلى هذا التجمد في وجهي لما هو من تقادم الأيام بل هو من الحزن الذي لا يرحم - إذا كان ذلك فلماذا لا تعود إلى الكونتس .

فتنهد الاميرال ايضاً وقال  
- لقد حفرت بيني وبينها هوة عظيمة كي لا يتغلب علي الضعف فقد كنت احبها قبل زلتها حب الهائين فاصبحت احبها الآن حب عبادة فأنت أن يغلبني الحب وأن اعود اليها وقد وصمت بوصمة العار فاخطفت ابنتها وحبيبتها عنها وما

اردت بذلك إلا ان تنفر مني وتكرهني كرهاً يحول بيني وبين كل رجاء بالعودة اليها .

ولبثت على ذلك عدة اعوام وانا انتظر .  
إلى ان نفذ صبري وخسرت قواي وعلت ان لا سبيل لي الى مقاومة سلطان غرامها فعملت على اصلاح خطأي وانا اعلم انها ام وانها تعود إلى حبي متى ارحمت اليها ابنتها .  
فقاطعت المريضة قائلة : اكان ذلك صعباً عليك ؟

قال : سوف تمرين يا سيدي فقد كنت عهدت بالطفلة إلى امرأة سالحة عرفتها في بريطانيا ومنعتها عن أن تكتب لي كلمة بشأنها كي لا تهيج بي الذكرى وحسبتها في عداد الاموات .

فلما خطرت لي ارجاعها إلى امها وكانت الطفلة قد بلغت الثالثة عشرة من عمرها في ذلك العهد برحت باريس وذهبت لاحضارها فوجدت وأسفاه ان تلك الترضية التي كنت احاولها باثت من المستحيلات .

- كيف ذلك العلهيا مانت ؟

- كلا ولكننا اخفقت . نعم انها اخفقت ابنتها المريضة ولا شك أن قضاء الله يحمي بالظالمين فقد توهمت اني وضعت خطة لا بد لي من الفوز بها فاذا بها قد حبطت حسبوطاً لم يكن يختر لي في بال وذلك ان المرأة التي كنت اودعت عندها الطفلة كان لها بنت ايضاً فلما بحثت عنها وجدت أن زوجها قد مات وهجرت الائمة القرية بالبنتين فلم يعلم احد ابن ذهب بها وقد بحثت عنها في ذلك العهد بحثاً دقيقاً حتى يست من لقاءها ولم

يبقى لي رجاء بالعودة إلى امرأتي فعمدت إلى وكيلتي بمواصلة  
 البحث وذهبت إلى طولون بدلا من العودة إلى باريس .  
 - اعهدت بالبحث عنها إلى وكيلك رافينو .  
 - هو بعينه .  
 - ومع ذلك فلم يفز بإيجادها .  
 - ألم يجد أربأ ؟  
 - كلا .  
 - حقا ان المصاب فوق ما كنا نتوهم .  
 - وقد اتمت بعد ذلك سبعة اعوام وأنا اسارول اخاد ذلك  
 الصوت الذي يؤنبني واطفا جذوة ذلك الحب الذي يحرقتني فلم  
 استطع . وهذه هي حالتي الآن فلوميني بعد ذلك ان  
 كنت تجسرين .  
 - بل اني اشفق عليها كما اشفق عليك فعلام عولت .  
 - لا اعلم .  
 - لماذا عدت إلى باريس ؟  
 - لأرى هذه المرأة التي وضعها القضاء في سبيلي حين  
 كنت سعيداً .  
 ولو استطعت أن اوضح لك كل ما يجول في قلبي لارعبتكم  
 فاني بينا احسب نفسي احبها حبا لا تستطيع وصفة الاقلام  
 اجد اني اكرهها كرها لا يلد لي فيه غير الانتقام ولا سببا حين  
 اخوض تلك البحار التي طالما وددت أن تبطنني واقتكر بتلك  
 التي جعلت الاميرال فيتراي انكده حالا من كناسي الطرق .  
 وانت تسأليني ماذا تريد أن تصنع ولكفي ارى ان خير ما  
 اصنعه ان اهجر باريس .

- كلا انك لا تستطيع السفر فان الام تكاد تجن خوفا على  
 ابنتها فقد بلغ عمرها الآن عشرين عاماً .  
 - هو ذاك .  
 فهزت المركيزة رأسها وقالت : وأسفاه وانني كنت اعتقد  
 قبل ان الفاك ان كلمة منك تريح الكونتس من عذابها وتميدها  
 إلى حبك القديم ولكن ارى انه يجب ان تبذل الجهد في  
 التنفيس في جميع أنحاء فرنسا .  
 - اية فائدة من ذلك المحسبين اني لم افعل .  
 - ابحت ايضا .  
 - لا فائدة من البحث فان ايجادها محال .  
 فتنهدت المركيزة تنهداً طويلا وعند ذلك افترقا دون أن  
 يقولوا كلمة فكانت المركيزة تفنكر بتلك الفتاة المسكينة التي  
 قد تكون مصابة بجميع انواع الشفاء بذنب سواها فصح فيها  
 قول القائل : الاباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون .

### الفردوس الأرضي

كان في ذلك العهد قد انشأت قهوة جديدة تدعى الفردوس  
 الأرضي ويولغ في اتقانها حتى ازدحم فيها الناس وتساوت  
 اليها النساء على اختلافهن ما خلا الشريفات .  
 وكان جان رودريكوس واستاذة مختلفان إلى تلك القهوة .  
 ففي احدى الليالي كان ذلك الاستاذ ابي بيير لاروش يتنظر

تلميذه في تلك القهوة حتى حضر الساعة العاشرة فبادره بالسؤال  
قائلا : ما وراءك من الاخبار .

قال : انها اخبار حسنة .

وكانت الموسيقى تصدح وقد اشتد الهمج بحيث كما  
يستطيعان ان يتحادثا دون ان يسمعا احد فقال له بيير .

- اذهبت عائلة نورمان إلى شنساي .

- نعم واقامت فيها كل النهار .

- ارايت ماري - نعم

- ماذا قالت - الاقوال نفسها

- لقد باتت هائمة بك كما ارى .

- كلام تفتن بعد ولكنها ستفتن - ربما

- انها بارعة بالجمال يا جان .

- ولذلك ارى ان خديعتها جريئة فهي رقيقة المواطف  
طاهرة القلب تبدو مكارم الاخلاق في حديثها وعينيها .

- اي انها ملاك في صورة انسان .

- نعم وهي لا يروق لها الا ان ترى الناس سعداء  
من حولها .

- لا شك انك بدات تحبها .

- كلا ولن احبها .

وقد قال هذا القول بلهجة ثابتة لو سمعت تلك الفتاة الطاهرة  
لوقع من قلبها وقع السهم لان جان كان يظهر لها انه من  
الهاقين بها .

اما بيير فقد اجابه قائلا : لقد احسنت فان المرء متى تجرد  
من مثل هذه المواطف سار في الحطة المثلى دون قيد فتمى  
يكون الزواج .

- لا اعلم فان المهمة جارية في خير مجرى ولكن لا بد  
من الصبر .

- ولكنهم في لندن لا يصبرون .

- اكتبوا لك - في هذا الصباح .

- بما يشكون .

- من بطنتنا فانتا مقيان منذ سبعة اشهر في باريس ولم تفعل  
شيئا بعد .

ليصبروا فان الامور مرهونة بأوقاتها وانا غير متوان كما  
ترى ثم ضحك وقال اني حين افكر بانني اكتب لها الرسائل  
للغرامية في كل يوم واخشبها تحت حجر كما يفعل غلمان المدارس  
لا املك نفسي عن الضحك !  
- وهي كيف تجيبك .

- بالطريقة نفسها فنكتب لي ارق ما يخطر للبنات من  
المواطف الطاهرة ولكن هذه الرسائل على طهارتها تعرضها  
لواقف التهم وقد تنهد ثم قطب حاجبيه لانفته من خديعة  
هذه الفتاة .

اما الاستاذ بيير فقد غير مجرى الحديث فقال له لقد آن لنا  
ان نتم المهمة الاخرى .

- اية مهمة .

- مسألة تاجر الامناس - الاتزال تفنكر به .

- دون شك فان الفوز مضمون .

- ولكنه فوز يمزني واثر عليه الفشل

- لماذا ؟

- لاني يكلفني تلك الجريفة .

- الاتزال تفنكر بها وهي قد جرت في البلاد الاميركية

وراء هذه البحار فما هذه الوسوس يا جان فسكت جان هنيهة ثم

تنهد وقال ماذا يجب أن اصنع .

- يجب أن تبدأ فيكون لك خلية تتذرع بها .

وقد اقاما نصف ساعة يتحدثان وعند ذلك دعا منها رجل

يبلغ الخمسين من العمر تدل عيناه على الشراة والطمع فقال لهما:

- لم تمزما بعد :

فاجابه جان - كلا

- لقد اضطأنا

- لماذا :

- لأنها خير فرصة تفتت ، أن لدي الان حلى غالية القيمة

رخيصة الثمن .

- حسناً سوف نرى

- ما عليك الا أن تشير إشارة فيقضى الأمر

- سافعل .

- ألا يريد أن اذهب إلى منزلك .

- ليس الأمر مستعجلاً ، وفي كل حال فإنه مال ملقى في

البحر .

- أنك عخطيء يا سيدي ولكفي ارجوك أن لا تنسى بائي

رهين امرك

ثم حياهما وانصرف وكان يبصر قد اظهر عدم الاكثرات لهذا

الحديث فلما أنصرف الرجل قال لتلميذه أرأيت يا جان كيف

أن الاقدار تشبهنا فان الطير يأتي من تلقاء نفسه إلى القفص

وهذا هو روزن اليهودي الالماني الذي كان يحدثك أنه من اغنى

تجار الحجارة الكريمة وهو يحمل منها في حقيبت ما تبلغ قيمته

الملايين فماذا قلت له في اجتماعكما السابق ؟

قال : لقد قلت له عرضاً أن لي خلية لها ولع شديد بالحلى

وهي ترهقني بطلهاها كل يوم .

- بحيث لم يعد يتقصدك غير تلك الخلية .

وفي تلك اللحظة حدث ضجيج في القهوة فأشربت الاعناق

وتطاولت الانظار إلى فتاة تدهش العقول بحالها وهي جميلة

الرأس بيضاء البشرة سوداء للشعر نجلاء العينين تشبه تلك

التائيل اليونانية التي كانوا يمثون بها الجمال ولكن عينيها كانتا

تدلان على التعب والسر .

فالتفت ببصر وجان ونظرا اليها مع الناظرين فلم يسع

الاستاذ على زهده بالنساء الا أن يظهر اعجابيه بحالها أما جان

فانه سكت ولكنه ارتمش ارتعاشاً عنيفاً كأنما الكهرباء قد

هزته وقال في نفسه ترى ابن رأيت هذه الفتاة !

غير انه ما لبث أن ذكر شر بوروخ فذكر أنه كان يراها هناك

بين ازهار البساتين واعشاب الحقول حين كان صغيرين .

ثم هز كفيه وقال في نفسه أن الشبه تام ولا يمكن أن تكون هي .

وكانت الفتاة قد ابتعدت ولم يعلم احد من هي ومن أين أتت فقد كانت لابسة ثوباً اسود تغير لونه لتقدمه وكل ملابسها تدل على الفقر المدقع وحتى أنها من أولئك الفتيات المتكودرات الواقي يضطرون إلى بيع انفسهم بقطعة من الخبز وقد بحث جان بنظره عبثاً فانها كانت قد اختلطت بالناس وتوارت عن انظاره ولكنه لبث مفكراً .

أما بيير فانه ما زال يكرر كلمة الإعجاب بحيث تبه جان من أفكيره وقال له : من تعني .

- تلك الفتاة التي مرت بنا الآن فما تقول بها يا جان ؟

- اقول أنه لا بد أن اكون قد رأيتها من قبل .

- أين ؟

فلم يجبه ولكنه وضع يده على جبينه وقال :

- اهي هنا ؟ .. الباتت من أهل الدعارة والحلاعة .. هذا

بحال ولكن الشبه عجيب .

فقال له بيير : لنبتق هنا فلا بد لها أن تعود .

ولكنه اخطأ فانها حين وصلت إلى موضع الموسيقين لقيها رجل حسن الهندام تدل هيئته على انه من أهل الثروة وقال لها كلمة ايتها الحسناء .

فالتفتت إلى محدثها دون اكتراث اذ رآه شيخاً يبلغ الخامسة والستين من العمر ولكن الشيخ نظر اليها نظرة رفق وقال

لها : اتبعيني .

فتبعته الفتاة وجلسا إياها حول مائدة معتزلة أما هذا الشيخ فقد كان سانت كليز ذلك الغني الشهير عم موريس نورمان وجد ماري .

### عناية الله

كان هذا الشيخ مشهوراً في باريس بعرفه أكثر أهلها وكثيرون منهم يعلمون أنه من أهل الشذوذ لعراية طباعه فكان بهمهم يعجبون أن يروه على كبر سنه في مثل هذا المكان ومع مثل هذه الفتاة ويقولون انها احدى نواذر طباعه وشذوذه .

أما هو فلم يكن يحفل بأحد من الذين يرون به وقد بدأ بمحادثة تلك الفتاة وقال : أرجو أن لا اكون قد اربعتك يا ابنتي

- كلا :

وكان احد الخدم قد حضر فقال لها : ماذا تريدن أن تشريني

- الذي يريد .

- اذن اقدم لك شرباً فهو خير من الاشربة الضارة .

- كما تريد .

فانصرف الخادم وبقيت الفتاة وهي تضطرب كأنها كانت خجلى من هذا الموقف فقال لها الشيخ اني أريد قبل كل شيء أن احلك على الثقة بي يا ابنتي فانظري الي ولا تخشى امرأ فاني اريد أن اكون لك بمثابة الصديق وذلك لاني اشفتك عليك حين

وأبتك لأول لحظة وهي أول مرة تأتين بها إلى مثل هذه  
الاماكن اليس كذلك ... ؟

اذن لقد صدقت فراستي فيك فماذا أنت عابسة ؟

- لست بعابسة ولكني حزينة .

- المحزينين وأنت في أول عهد الشباب ؟

- لم يحدث لي في حياتي ما يدعو إلى الفرح .

- كم لك من العمر . - عشرون عاماً .

- تقى بي يا ابنتي واخبريني بأمرك فلست من أهل الجحون

ولا اريد لك الا الخير فماذا تدعين .

- جائيت .

- اني اراك مضطربة لانك لم تتعودي الجيء إلى هنا

فلماذا اتيت اليه .

- لالتمس رزق اللتين معي .

- أن احدهما امك دون شك .

فترددت لحظة ثم قالت : نعم امي .

- والآخرى - اختي

- وابوك .

- ليس لي اب .. اريد القول أنه مات .

- امات من عهد بعيد - من ثمانية أعوام .

- وانن الآن في ضيق .

- لم يكن في المنزل قطعة خبز حين خرجت منه .

ثم اضطربت لموقفها اضطراباً شديداً فقالت بلهجة عنيفة

لماذا تضيع وقتي سدى يا سيدي فقد تركتها جائعتين .

اصفي الي يا ابنتي فقد عرفت من عينك حليقة احزانك

وعلمت أن الفقر الشديد بل الجوع قد جرك إلى هذا الموقف

ولكنك من اهل المغاف ولا اريد أن تأتي بعد الآن إلى هذه

الاماكن الفاسدة .

ثم اخرج من جيبه قبضة من الدنانير ودفعها اليها دون أن

يعداها وهو يقول :

- خذي يا ابنتي هذه الدنانير فهي تكفيك لقضاء حاجاتك

إلى القدر وإذا احسبت أن تربني فاحفظي عنوالي وهو ميشيل

سنت كلير في شارع كمبون

لقد حفظته يا سيدي .

- وأي سائق لقبته يوصلك إلى منزلي فهو معروف .

نعم يا سيدي - اتزوريني غداً ؟

- نعم :

- في الساعة العاشرة قبل الظهر .

- نعم يا سيدي .

- اذن اسرعي بالخروج من هنا والعودة إلى منزلك فقد

ارسل الله لك من يتيك العشار فاني من الأغنياء الذين يذكرون

نعمة الله عليهم فيحسنون إلى البؤساء من عباده وينفقون مما

رزقهم في سبيل الخير

فاشرق وجه الفتاة بنور البشر وانقدت عينها إذ نجت من

العشار بفضل هذا الغني الكرم الذي خالف سنة اولئك الاغنياء

الذين يفتنمون فقر مثل هذه الفتاة فيشترون نفسها الطاهرة  
بأموالهم ويلقونها مدى العمر في وحدة الشقاء .

أما سانت كلير فقد اشفق عليها اشفاقاً عظيماً وكره أن  
يدعها تمرد وحدها فسألها قائلاً :

- أين تقبمين يا ابنتي ؟

فهدت يدها مشيرة إلى موغارر وقالت : هنا .

- أتأذنين لي أن أوصلك ؟

- لا حاجة إلى ذلك فاني لا اخاف والسبل آمنة .

- إذن سيرني ولا تنسى أن تأتي إلي .

- غداً في الساعة العاشرة فان عنوانك قد طبع على

ذاكرتي كما طبع جيلك على قلبي فقد انقذتني مما هو اشد  
من الموت .

- إلى اللقاء يا ابنتي ولا تقنطي من رحمة الله .

ثم افترقا فركب مركبته وهو يحدث نفسه ويقول :

- لا شك اني انقذتها من العثار وانها لم تخدعني فقد كان

الصدق ماثلاً في عينها . ولكن لماذا ابت أن تأذن لي بإيصالها

فان الاصوص كثيرون في هذا الشارع والليل قد اتصف وقد يكون

رأى احد اني اعطيها الدنانير فيتمقيها .

غير أن الله ارسلني اليها لانقاذها من العار فهو سينقذها من

من الاصوص أما انها ابت أن اصحبها إلى منزلها فما ذلك الا

لانها تسكن في بيت حقير خجلت أن أراها فيه !

## شقاء

أما الفتاة فانها سارت والدنيا لا تسمح لها لشدة سرورها حتى

وصلت إلى خارة كانت لا تزال مفتوحة فدخلت اليها كي

تشرى طعاماً وكان لا يزال في تلك الحارة بعض الشاربين

وبينهم اثنان كأنهما معترلين يتحدان بصوت منخفض .

فلما دخلت جانبيت نظروا اليها جميعهم نظرة اعجاب

وسألها صاحب الحارة قائلاً : ماذا تريدين ؟

- أن الليل قد اتصف وجميع الدكاكين مغلقة غير ان والدتي

مریضة وانا محتاجة إلى خبز وبيض وزجاجة خمر .

- اصبري إلى أن اعد لها لك .

ولبت الجميع ينظرون إلى الفتاة ممجبين ما خلا الرجلين

الذين كأنهما يتحدان وعاد الحمار وجاءها بما طلبته فاعطته ديناراً

إن لم يكن لها من المال غير ما اخذته من سانت كلير فلما رن

الذهب على بلاط المائدة التفت الرجلان التفتاة واحدة كأنها قد

تكهرا لهذا الرنين فنظر اليها الحمار نظرة صاعقة واعطى الفتاة

بقية الدينار ثم سألها قائلاً :

-أنت من أهل هذا الشارع ؟ - نعم

- هل منزلك بعيد ؟ - كلا

- اذن اسرعي بالانصراف واحذري .

وبعد انصرافها بقليل اغتم الرجلان فرصة انفعال الحمار

وكانا من الاصوص فأسرعا في اثر الفتاة إلى أن ادركاها في

منعطف الطريق فوقف مذعورة وقالت لهما ماذا تريدان ؟



فلم يجيبها بل دعا منها واحد منها فقالت له .  
- احذر أن تدن مني وإلا استغثت .  
- مهلا أيتها الحسناء فلا يزيد بك سوءاً .  
- قلت لك لا تدن مني ولا تعني فإن أُمي مريضة جائحة  
تنتظر عودتي .  
- إذا كنت مستعجلة فسأوجز مقالتي - ماذا تريد ؟  
- أريد هذا الذي معك .  
ولم يكذب يتم مقالة حتى سمع وقع خطوات من ورائه فجرد  
خنجره وقال لها : اسرعني وهاتي ما معك فأننا أشد منك  
إلى العجبة .

وكانت جانيت قد سمعت أيضاً وقع هذه الخطوات ورأت  
شيخاً يدنو منها فتشجعت وقذفت اللص بزجاجة الحجر بل  
قوتها فأصابته وجهه وانكسرت على جبينه ففقد رشاده لهذه  
المباغظة الفجائية ..  
وعند ذلك هجم عليها رفيقه ولكنه قبل أن يصل إليها  
ادرك ذلك الرجل ولطمه على معدته لامة شديدة اشتهر بها  
الأمير كيون فسقط على الأرض مغيباً عليه بجانب رفيقه ولبتت  
الفتاة وحدها

أما متفندتها فقال لها : لا تخشى يا سيدي فلا افارقك حتى  
تأمنى في منزلك .  
قالت أن لساني يمجزع عن شكرك يا سيدي .  
- لا حاجة إلى الشكر عن واجب فأين تقيمين .

- هنا على قيد بضع خطوات .  
- أفي هذه المضايق للفترة المحظرة .  
- لقد دعانا الفقر إلى سكنها .  
وقد حدثت هذه الحادثة في مدة وجيزة وكان الذي انقذها  
ففي مستقبل العمر يتبعه رجل كهل .  
فسار بالفتاة على مهل إلى أن وصلا إلى مكان فيه مصباح  
غاز وكان الكهل قد ادركها فوققت الفتاة وقد نظرت إلى  
وجه الفتى على نور المصباح وقالت له منذهة :  
- أمدا أنت .

فكاد الفتى يطير سروراً وقال :

أما أنت جانيت .. أما كنت مقيمة في شربورغ .  
- نعم  
- في منزل صغير قرب الدير .  
- هو ذاك ؟

- ما هذه السعادة بلقائك فاني ما انقطعت ساعة عن التفكير  
بك دون أن اعلم مصيرك ولكن كيف اتفق انك تقيمين في  
هذا الشارع ؟

وقد حاول أن يسألها أيضاً عن سبب وجودها في تلك  
القهوة ولكنه توقف وقالت له :

- ان لذلك حكاية لا يتسع المكان والزمان لروايتها الآن  
كيف اتفق اني لقيتك ؟

- الامر بسيط وهو اني لقيتك في قهوة الفردوس .

فاحمر وجه الفتاة واطرقت مستجبة وقالت : نعم  
 وقال : لقد دعشت دعشاً عظيماً حين رأيتك في مثل هذا  
 المكان حتى اني كذبت نفسي وحسبت أن عيناى خدعتاني  
 وانك تشبهين التي عرفتها من قبل وأسفاه .  
 ولكني بعد أن ثبت من دهشتي أردت أن أعرف حقيقة  
 امرك فبعثت عنك في تلك القهوة حتى رأيتك فارتقت ذلك  
 الشيخ ودخلت إلى تلك الحارة ثم رأيتك خارجة منها فبعثت  
 اقفوا اترك من يعيد كي اعلم إلى اين تذهبين إلى أن رأيت هذين  
 الصينيين يدنون منك فأسرعت اليك وكأنا يتعدنان ويسيران  
 ببطء حتى وصلت إلى منزلها فقالت له : لقد وصلت فكيف  
 السبيل إلى اظهار امتناني ؟

- الامر سهل .

ثم اخذ ورقة من جيبه فكتب عليها عنوانه وقال لها : هذا  
 هو عنواني قبل تربيدين أن تزوريني ؟

- دون شك .

- واني ارجو أن يكون هذا اليوم آخر ايام شغلناك

- بماذا تستطيع أن تحسن الي ؟

- بكل شيء .

- بل هو مضمون فتى اراك ؟

- حين تريد .

- اني انتظرك غداً في الساعة العاشرة قبل الظهر .

- سأحضر في الساعة المصينة .

- إذن إلى اللقاء - استودعك الله .  
 وعند ذلك مد يده مصافحاً وهمس في اذنها قائلاً :  
 - جانبتي .. لا تنسي ما وعدتني به فاني انتظرك غداً  
 بفارغ الصبر .  
 - سأحضر غداً من غير بد .  
 ثم تركه ودخلت إلى منزلها فرحة تبتسم وهي لم تعرف  
 الابتسام من عهد بعيد .  
 ولما دخلت سمعت صوتاً خافتاً يناديها قائلاً اهذا أنت  
 يا جانبتي .

- نعم انا هي . الاتزالين ساحرة .

- نعم فلم استطع النوم من الجوع .

وكانت التي تكلمها امرأة اخنت عليها الايام والفقر وذهب  
 الشقاء بعقلها وبعابنها فتاة صغيرة نظرت إلى جانبتي نظرة  
 السائل كأنها تقول لها اني جائعة .

فبسطت جانبتي الطعام امام الفتاة والمجوز وجعلت تطعم  
 المجوز بيدها كما يطعمون الاطفال لانها على مرضها كانت مجنونة  
 ويعد أن فرغت من اطعامها قالت لها بئله الحنو ثامي الآن  
 فأطبقت عينيها ممتثة ولكنها جعلت تقفي دوراً يتقفي به  
 القرويون في بريطانيا وهذه ترجمته .

قد مات اهلي جيماً عني ولم يبق خيري

انا اليتيمه مالي من منجد غير فقري

قبل اخاف طريقاً تقودني نحو قبوري

فكانت جانبيت تصغي اليها باكية حتى إذا اتمت غناهما  
جعلت تتمم هنيهة بالقافز منقطعة كقولها صخرة مورجابت .  
فيتراي الطفلة نامت

وكانت جانبيت قد جاءت إلى باريس منذ بضعة اشهر على  
رجاء أن تضع مريبتها التي كانت بمثابة امها في احد  
المستشفيات الخيرية .

وبدأت تطرق ابواب المخازن والمنازل راجية أن تجد عملاً  
يعينها على القيام باردها واود تلك العائلة فلم تجد مرتزقاً ولم  
تكن تلقى غير الفشل حتى نفذ آخر درهم لديها وشعرت بالجوع  
وذاب قلبها اشفاقاً على مريبتها وابنتها التي كانت بمثابة اختها  
فخطر لها أن تجول في الاسواق متسولة فدفعتها الصدفة إلى  
تلك القهوة التي كانت خاصة ببنات الهوى وكان ما عرف القراء  
من امرها !..

وقد حاولت الرقاد فلم تستطع إذ تمثل لها ذلك الفتى الذي  
انقذها من اللصوص فذكرت انه كان يمر بمنزلها في شربورغ كل  
يوم وهو فتى في العشرين من العمر وانها كانت تقبل له كل الميل  
وتدرك من نظراته أنه كان يحبها فكان سرورها لا يوصف  
بعدمها لاقته من الشقاء وشعرت انها تحبه حباً اكيداً فكان يخفق  
قلبها حين تذكر كلماته والحاحه عليها بزيارته وقد ذكرت أيضاً  
ذلك الشيخ الفنى الكريم فشعرت بمعاطفة امتنان عظيم ولكن  
شنان بين المعاطفتين .

فانها كانت لا تفكر بذلك الشيخ حتى تعود إلى التفكير

بذلك الفتى وتليه في عالم التصورات . وقد نهضت إذ لم تستطع  
الرقاد لفرط اضطرابها واخذت تلك الورقة التي كتبها لها  
فقرأت فيها اسم جان رودريكوس في شارع باسانو فلما قرأت  
ذلك الاسم حسبت نفسها مخمطة فان هذا الفتى كان يدعى في  
شربورغ جان موريس فكيف تغير اسمه ولماذا هذا التغير .

فوق ذلك كان في شربورغ مستخدماً بسيطاً ليس عليه شيء  
من علامات الترف والنعمة وهو الآن من كبار الاسياد يقيم في افخم  
الشوارع وكل ما فيه يدل على الجاه والنفى فمن اين جاءت هذه  
الثروة بمدة خمسة أعوام .

ولكن لا سبيل إلى الخطأ فقد عرفها وعرفته وهو لا يزال  
يحبها كما كان يحبها من قبل ثم انها فقيرة معدمة ولها عائلة يجب  
أن تعملها وهي غير قادرة على أن تعمل نفسها فحسبت أن  
العناية الالهية ارسلت لها هذا الفتى وعولت على أن تذهب اليه  
في السند فنامت وهي تحلم بهذا النصير .

### بيان وإيضاح

في تلك الساعة التي خرجت فيها جانبيت من قهوة الفردوس  
أي عند منتصف الليل ، كان الاميرال فيتراي جالساً على كرسي  
في منزله قرب المستوقد وهو غائص في بحار التأملات وعلام  
البأس بادية في عينيه وقد كان في باريس منذ يومين لا يخرج من  
عرفته إذ يخاف أن يرى زوجته وهو لا يحسر على مقابلتها

وكانت المركبة المعجزة قد دافعت عن امرأته امامه كما انها دافعت عنه خير دفاع امام امرأته بقية تسهيل التوفيق بسين الزوجين فانها كانت تحب الكونتس حباً صادقاً لانها هي التي ربنتها وزوجتها للكونت وقد عرف الكونت ذلك منها حق العرفان .

فبعد أن طال تفكيره ورأى أن الهم سيقتله عول على مقابلة امرأته وذهب اليها ففرع باب غرفتها قرعاً لطيفاً وحاول أن يفتح الباب فوجده مقفلاً من الداخل .  
فقرعه ايضاً وهو ينادي « سيدي » إذ لم يحسر أن يناديها باسمها .

فلم يجبه احد مع أن الكونتس كانت لا تزال ساهرة بدليل وجود النور في غرفتها .  
فوالى القرع فقالت له من الداخل : - من أنت ؟  
- انا واني أحب أن اكفك .  
- أن الليل قد انتصف - افتمحي .

وقد قال لها ذلك بلهجة الامر ففتحت الباب عند ذلك ودخل الكونت فوجد امرأته ووصيفتها لويزا .  
وعند ذلك امرت الكونتس لويزا أن تذهب والتفتت إلى زوجها وقالت له : اني لم اكن انتظرك في مثل هذه الساعة يا سيدي فما عودتني مثل هذا اللطف . فعض الاميرال على شفته من القهر وقال بعد سكوت قصير .  
- اذن لم تكوني بانتظاري ؟

- دون شك فكيف تريد أن انتظرك ؟  
- ولكن لا بد لنا من الايضاح .  
- لماذا واية فائدة منه ؟  
- إذا كان ذلك لا يفيدك فانه يفيدني لاعلم ما يجب أن اصنع .

- لا افهم ما تقول .  
- سوف تفهمين فاني ما عدت إلى باريس الا ضمن مستقبلي - اما هو مضمون ؟  
- ليس كما اريد فاني لا اعلم إذا كان يجب أن اقيم في باريس ام اسافر منها فلا اعود إلى الابد فقد اشتد شغائي حق اني بت اخشى من نفسي .  
- إلى هذا الحد ؟

وقد قالت له هذا القول بلهجة المتهم .  
فقال لها : أن للمرأة برائن كبرائن النمر تخزق بها صدر الرجل الذي يمكنها منه ويسودها عليه ويظهر لها ضعفه اما اذا فلا اخاف تلك البرائن فاني اجد مخرجاً شريفاً حين اخشى على شرقي من المساس ثم قال : المرأة كلها شر وأشر ما فيها أنه لا بد منها . فارتعشت الكونتس لهذه الأقوال ومضى الكونت في حديثه فقال :

لقد مضى زمن طويل على هذه الحادثة التي أريد أن اعود إلى ذكرها ولكني أريد النهاية وقد أتيت أسأل ما هي شروطك وكيف تريد من هذه النهاية .

فلم تحبه الكونتس بعرف فقال : لقد سمعت اقوالي فاجيبي  
ف نظرت اليه نظرة نفضت إلى قلبه كالسهم ثم ابتسمت ابتسام  
قنوط ولم تحب

فبدأ الكونتس منها فوضع يده على كتفها وقال لها :

اني ادعى الاميرال دي فيتراي وانا زوجك وقاضيك كما  
كنت في قصر صخرة الغرام فاجيبي .

فاجابته الكونتس بلهجة ملؤها العظمة فقالت :

- انك ذكرت فطائع النساء فما تقول في فطاعتك وانا لا  
ازال اذكر صخرة الغرام أو قصر الغرام ولكن يظهر انك انت  
قد نسيتها .

ثم اذك تكلفني بلهجة السيادة المحسب اني اخافك وما عساك  
تصنع بي بعد ان حكمت علي واتخذت عقابك فافعل ما تشاء  
فلست بأمرأتك .

- اذن أنت ماذا ؟

- انا اميرتلك وضحيتك .

وكانت تكلمه بلهجة العنف والبهاج فرق صوته وقال لها :  
بلانش اية فائدة من هذا الهياج ؟

- حسناً فأسرع إلى قول ما تريد قوله .

وقد اختلفت الحالة فباتت السيادة للزوجة بعد أن كانت  
لازواج وتوقف الاميرال عن الكلام فاندفعت بلانش في  
الحديث فقالت .

- انك تشكو من عذابك فهذا اقول والفرق عظيم بيننا

وكذاك انك حر طليق وانا سجينه . معترلة بامرك وزوجة من غير  
زوج تنفق عليها نفقات المتصدقين وتنعم عليها بالخبز فتأكله  
ولكن بشرط أن يكون معجوناً بالدموع ، وبالقصور تقع فيها  
ولكن بشرط أن تحول إلى سجون .

وقد حرمتها من الركوع على ضريح ابنتها إذا كانت ميتة  
ومن رؤاها إذا كانت لا تزال في قيد الحياة ، أن لك كثيراً من  
الاصدقاء اما انا فبالي غير صديقة واحدة وهي وصيفتي فسلبها  
تخبرك ماذا عانيت وماذا اعاني .

وقد اراد عند ذلك أن يتكلم ولكنها قاطمته وقالت له :  
اني اعلم ماذا تريد أن تقول لي وهو اني اذنبت ودنست اسمك  
وانك زوجي وأن هذا القنب يميز لك عقابي ولا تكون مسؤولاً  
الا امام ضميرك .

نعم انك مصيب في كل هذا ولكن هذا العقاب الذي  
عاقبتني به رضيته لنفسي ولا ازال راضخة إلى الآن فإذا تريد  
بعد ذلك مني وكيف تريد تغييره .. الملك تريد استبداله  
بعقاب آخر ؟

ثم انك تسألني عن شروطي فإذا اردت أن تعرفها فهي هذه  
اني سأعيش معترلة كما اعيش منذ عشرين عاماً واكرم امري  
عن جميع الناس فلا ابوح به لاحد كما تريد ولكنك معها كنت  
عظيماً ومهما بلغت سيادتك الزوجية ايا الكونتس لا تستطيع أن  
تتمني عن كرهك وأن اعتبر نفسي من ضحاياك .

ثم قامت مسرعة غضبي إلى خزانة فأخرجت منها رسالة

وحدد ناضيه

اصفر لونها لتقدم العهد بها فدفعتمها اليه وقالت له :

- هذا هو الحكم الذي اصدرته علي وقد قرأته مراراً كثيرة حتى انطبع في ذاكرتي .

أن هذه الرسالة ارسلتها الي يوم كنت في صغرة أو قصر الحب مشرفة على الموت .. يوم كنت اتوسل اليك جاثية باكية ليس من اجلي بل من اجل تلك البريئة المظلومة فكنت مجرداً من الرحمة .

اما اليوم فأنتك تسألني أن أعود اليك اذن فاسمع ما كتبت الي ثم قرأت من تلك الرسالة ما يأتي .

« اني اريد أن ابالغ في قهرك كي يتلوه قلبك حقداً علي بحيث لو عدت اليك وانطرحت علي قدميك متوسلاً أن ترجمني إلى ذلك الحب القديم لنفرت مني وذعرت من لغائتي وجردت قلبك من كل عاطفة اشفاق »

- الست أنت كاتب هذه السطور .. وبعد فما هذا الذي تطلبه مني الآن ..

اسمع ما كتبت لي ايضاً في رسالتك .

« لقد قضى الامر بيننا ويات وجودي مرعباً لك فسأبتعد عنك ولكنك لا تكونين لسواي لأنك ستبقين الكونتس دي فيتراي وهذا القرب يكرهك على الكتمان وعلى احتيال احزانك بالسلم وعلى البكاء في الحقاء على تلك الطفلة بنت الجرعة التي ستبكيها مدى الأبد » .

ليست هذه هي شريعتك التي بينت بها هذا الحكم وانا

رضيت بحكمك دون اعتراض وأنفذته علي عشرين عاماً اليس كذلك يا كونت ؟

قال : نعم .

- لم احترم اسمك الذي لا ازاك ملعبة به كل هذه المدة

- لا انكر ذلك - ألك ما تؤنبي عليه ؟

- كلا .

- مع اني كنت قادرة على أن اجزيك الشر بالشر والطح

هذا الاسم الذي اكرهه وقد اتسع لي هذا المجال مراراً أريد البرهان .

وقد فتحت عند ذلك درجاً بمنف واخذت منه عدة رسائل فدعكتها بيديها مفضبة وقالت :

أن هذا المجال الذي دعيت من اجله الكونتس دي فيتراي اورثني كثيراً من الاهانات فان رسائل للفرام كانت تنهال علي علي اعترالي فقدرني من اصحابك ومن رؤسائك ومن اهل القعة من كل صوب فيزيدون آلامي باقتراحاتهم الشائنة ولا يحسروا احد منهم أن يقول بانني اجبته بكلمة أو شعبت باحطلة ثم الفت كل هذه الرسائل في النار دون أن يخطو الاميرال خطوة لاختذها وقالت :

- ليس لي فضل في المحافظة على عفائي فان ذلك من واجباتي وفوق ذلك فقد بت اكره الرجال بجملتهم من الاموات إلى الاحياء لفرط اساءتهم الي .

فقدت الاميرال منها وقال لها : اهذا كل ما تريد ان تقول

يا بلانش ؟ - نعم .

- لقد قلت انك بت تكرهين الاحياء والاموات ؟

- ولا ازال اعيد هذا القول - وذلك ؟

- اريد به ذلك النائم في قاع الاوقيانوس ؟

- نعم .

- ليس لك عليه شيء فقد استوفيت حقك .

- الا تريدن أن تجيبي .. الا تزالين تحبينه ؟

- اية فائدة من ذكر الماضي أتريد أن تضيع رشادي ؟

- بل اريد أن تجيبي .

- لقد قلت لك الحقيقة هناك في صخرة مورجابت أو

قصر الغرام وانا افولها لك الآن ايضاً كما تريد فاني احبه ولكني

لا احبه حب غرام بل حب اشياء .

اقسم على صدقي ببنتي التي اعبدتها واكبتها .

وقد ذرفت دموعها عند ذلك كالسبل و اسرعت إلى مسحها

بيد ترنجيف وقالت :

- كفى فان هذه المهادة فوق طاقتي وقد اردت الحقيقة

اني لا احب أودي دي فيك واني اكرهك لفظاعتك بل اني

اصبحت لا اعلم ما احب وما اكره فقد ذهبت ارادتي ولا عمل

لي إلا عمارلة النسيان ولذلك عولت على طريقة الجأ اليها كل ما

استندت آلامي بفضل العلم الحديث انظر إلى هذه الزجاجة فان

فيها سماً قاتلاً ولكني اشرب منه جرعة صغيرة فانام بضع

ساعات اكون فيها شبه ميتة لا اذكر شيئاً .

فأخذ الاميرال الزجاجة ونظر إليها فعلم أن الذي فيها مورفين فقالت له :

انظر إلى أين وصلت ولولا بقية رجاء بلقاء ابنتي لثيت

كل ما في الزجاجة واسترحت بالموت فيلني لا أحيا إلا لهذا الرجاء .

ثم وضعت رأسها بين يديها وجعلت تشهق بالبكاء فرأى

الكونت الدموع تسيل من بين اصابعها وشعر أنه يكاد يسوب

اشفاقاً فخففت صوت كبرياته وعلم أنه قد أخطأ الخطأ

العظيم وظلم هذه المرأة اقيح ظلم وأن العقاب كان همجياً

بالقياس إلى تلك الهفوة التي كان يحمل فيها العذر لحدوثها بما

يشبه الاكراه فانها لم تحطئه بعامل الغرام بل بعامل الاشفاق

عل فتى ربيت واياه وهو ابن عمها وقد أوهمها أنه سيتحرر .

وعند ذلك وضع الكونت يده على كتف زوجته وقال لها :

بلانش .

قالت : ماذا تريد هل عاد الحب إلى ما كان ، اجبني ايها

الكونت واعلم أن المرأة لا تقاوم وهي المنتصرة على اصحابهم

الرجال .

قال إنك مصيبة في كرهني فإن المصيبة فوق ما تتوهمين .

فرعبت رعباً عظيماً وقالت : ماذا تقول لعل ابنتي ماتت .

- لماذا خطر لك هذا الحاطر .

- لأنك قد تكون قتلتها كما قتلنا اباهما .

- انها طفلة لا تستطيع الدفاع فلا يحق لي قتلها .

- اذن ماذا ؟

- يجب أن تعرفي كل شيء يا بلانش فإن كل ما فعلته كنت

الوم نفسي عليه في خلواتي ولذلك ندمت الندم الشديد و اردت  
اصلاح ذلك الحطأ الذي يدعوك إلى كرمي .

فنظرت اليه نظرة المأخوذ وقالت . ماذا ؟

- نعم لقد اردت أن ارجع اليك ابنتك التي اختطفتها منك

- احسب أنت اردت ذلك .

- اقسام بشرتي على صدقي فيها اقول .

- انك لو فعلت لباركتك وعبدتك .

وقد نظرت إلى الاميرال وقرأت في عيبيه حياً حنوناً  
مزوجاً بمجنون عيبى .

فبشت امامه وقالت له :

- انك سألتني عن شروطي منذ حين ولكذك إذا كنت

تعرف قلوب الامهات فلا بد لك أن تعرف قلبي .. رد الي ابنتي

ارد اليك هذا القلب الذي ما زال كده لك وقابل الحب والغرام

وانسى كل هذا اليأس والحقد .

وعند ذلك انهضها واعترف لها بكل شيء فكان مما

قاله لها :

- اني لم ارد قتل الطفلة فان الرجل الشريف لا يجوز على

الضعيف ولكني اردت تعذيبك وحملك على بنضي لانى ما

استطعت أن احوو رمحك من فكركي .

وقد تعذبت عذاباً هائلاً لحياتك حتى كنت اعد نفسي

صيداً حين اعلم بأنك بتعذبين أكثر مني .

والا لا اعلم إذا كانت الام تحب ولدها كما تقولين ولكني اعلم

أن الرجل يقتل نفسه في سبيل المرأة التي يواها وانه إذا فقدما  
كان عذابه يبلغ عذاب .

وقد كنت عهدت بابنتك إلى امرأتني بما ملء الثقة وأعطيت

زوجها ثلاثين الف فرنك ووعده أن اعطيه مثلها حين تكبر

عبر انى منته أن يكتب لي بشأنها كي لا يؤلمني ذكرها الا إذا

احتاج إلى مال أو اصيبت الطفلة بمكروه .

فلما لم يردني منه شيء ابقنت انها في قيد الحياة وذهبت إلى

قرية بريست حيث كانت تقم المرأة وزوجها فعلت انها هجرا

القرية إلى جرمي وهناك علمت أن الرجل قد مات وأن المرأة

ذهبت مع بنتين فلم يعلم احد اين هي ولكنهم قالوا انها لا تزال

في فرنسا دون شك

فقالت له بلانش وعيناها ممدقتان به وبعد ذلك .

- يبحث عنها بعملاً مستقيماً فلم أقف لها على اثر .

- ماذا كان يدعى زوج المرأة .

- بوديت - اهو صياد .

- نعم وبشتغل ايضاً ببيع جبال المراكب .

- امات هذا الرجل - نعم .

- متى - منذ تسعة اعوام .

- الم تغف على اثر ارملته .

- كلا فقد بحثت ملياً فلما يشت لم اجسر على العودة اليك

وعدت إلى العيش عيش التائهين .

- الم تعهد إلى احد أن يتولى البحث .



- دون شك - لمن .

- لو كبل اشغالي .

- المسيو دافينو - هو بعينه .

- ام يظفر بأثر - كلا والسفاه .

- القيت حين عودتك وسألت - نعم

فاصفر وجه الكونكس وقالت بصوت مختنق : إذن لقد

فقدت ابنتي ولم يعد لي بقية رجاء .

- لا يجب أن تقنطري .

- إذا كنت تبحث عنها منذ عشرة اعوام ولا تجدها فكيف

تجدها اليوم .

- سأبحث عنها في جميع جهات المعمورة .

- التضييع ابنتي ثم رجو أن اغفر لك .

- بلانش .

ثم اسندت كوعها إلى المستوقد وقالت له باهجة الغائطين :

- لماذا عدت الي بل لماذا اخبرتي بهذا التبا فقد كان لا يزال

لي بقية رجاء بلقائما وكنت اقول في نفسي انه لا يمكن أن

يتخل عنها وانها في مأمن من كل خطر وانك إذا كنت لم تشفق

على الأم المسكودة فلا بد لك أن تشفق على الطفلة البريئة . إذن

لقد كنت منخدعة ولا يزال غضب الله منصباً علي .

فحاول الاميرال اخذ يدها وهو يقول متوسلاً : بلانش .

قالت : دعني .

- وإذا اصلحت الخطأ - هذا مستحيل

- وإذا ارجعت اليك ابنتك .

- لقد فات الاوان .

- كلا ولكن اتسدين الماضي .

فبرقت عينها بأشعة الرجاء وقالت : الملك تسامني

وتشترط علي .

- كلا بل التمس وأتوسل .

- سيان كان شرطاً أو ملتصقاً فقد رضيت ولكن اسرع

أو لا تجدني في قيد الحياة .

- تشجعي يا بلانش - لم يبق لي قلب .

- اني سأضحي كل شيء في سبيل ايجادها .

- تصور أن عمرها الآن عشرون عاماً .

- لا ادع واسطة ممكنة حتى ائذرع بها .

- اتمدني بأن تجدها ؟ - اقسم بشرفي .

فتنهدت تنهداً طويلاً وتغلب حبها لأبنتها على حقدتها فمدت

يدها إلى زوجها وهي تقول : اني اضحي حتى عواطفي

في سبيلها .

فأخذ الأميرال يدها وهو ينظر اليها نظرات ملؤها الحب

والحنو ثم ادنى تلك اليد من فم قلتمها وانصرف لغوره دون أن

يقوه بكلمة فانطرحت بلانش على مقدمه وجعلت تبكي بدموع

غزيرة وتقول : رباه ارجع الي ابنتي .. رباه لقد كفرت

بدموعي عن ذنبي .. رباه اشفق علي .

## شارع الأغنياء

في باريس شارع بدعي شارع باسانو قريب من الشانزليزيه  
بنيت فيه القصور الجملة وبات خاصاً بسكنى الأغنياء .

وبين هذه القصور قصر شامق كان يقم فيه جان موريس  
واستاذة بيير لاروش وهو احد التصربن اللذين اشترتها الشركة  
الانكليزية ليقم فيها ووضعت الحرائط على جدرانها وهو جالس  
امام منضدة عليها كثير من الكتب والجرائد والاوراق المختلفة  
شان العلماء .

وبين هذه الجرائد جريدة التيمس الكبرى فأخذها بيير  
وبعث فيها عن باب الاسئلة والاجوبة السرية بحيث يستطيع  
من اراد أن يرسل من يتفق على مراسلته بواسطة هذه الجريدة  
بمبارات مبهمه لا يعرف معناها غير المتراسلين ولاخوف منها إذ  
تفشر دون توقع .

وكان بيير متفقاً مع الشركة الانكليزية في لندرا على المراسلة  
بهذه الطريقة فلما نظر في باب الاسئلة والاجوبة قرأ ما يأتي :

« رضينا اربعين بالمائة . اسرعوا . سنرسل العامل »

فانقذت عيناه باشعة السرور وجعل يحدث نفسه ويقول :  
اربعون في المائة انه كسب جعل يعينني على ادارة المهمة  
الاخرى والفوز في تلك المهمة العظيمة وهي زواج ماري  
نورمان بريبي وتلميذي جان .

يا موريس نورمان اني كنت محتاجاً الى عجيبة من السماء

توصاني اليك فقد كنت في اسفل الدرجات وأنت في ارفع درجة  
حين سحقتني بكبريائك سحق الاياه اما الآن فقد قضى الامر  
أو كاد واصبحت القوي القادر كلافعوان الذي ينسل بين  
الاعشاب ويلسع من يربه .

ثم اخرج من درج محظطة اوراق فوضعها على المائدة ونظر  
اليها نظرة الظافر وقال :

هذا هو سلاحي رسائل الخلية التي اهتمها وطردها وقضيت  
عليها بالانتحار ووصية الام لولدها وصلك ولادة جان موريس  
الذي انكرته .

نعم هذا هو سلاحي وانني لست من الاغنياء ولا عيش لي الا  
من الجرائم ولكني لا ابيع هذا السلاح بمال الارض أن المال اله  
يعبده اكثر الناس ولكن الانتقام اعظم منه وايه لذة اعظم من  
أن تسحق عدوك بقدمك وتسمع صوت زعجه وبأسه ا

صبراً يا موريس فإن الانتقام اعرج بطيء السير ولكنه  
يصل ثم عاد إلى التفكير بنفسه وقال :

ان برليت وتيملتون صاحبي الشركة الانكليزية من العظام  
ولهما قدرة ونفوذ فهما خبير واق لنا من القضاء وقد كان بوسعها  
أن يكهرهاني على الرضى باقل من اربعين في المائة ولكنها كرهت ان  
ويعد فهاذا بقي لي من المال الذي اعطاني اياه لهمة الزوج  
فان جان رودريكووس هذا التلميذ المطيع ، لا يبقي ولا يندر وقد  
تعود عيش الترف والاسراف كأنه من ابناء الامراء بحيث لم يبق  
لدينا غير ثلاثين الف فرنك وهي لا تكاد تكفي لنفقات شهرين

في هذه العاصمة التي نميش فيها عيش الاغنياء الروسيين .  
وليس ذلك بذنبه فقد عودته هذا العيش حتى بات لو تصرف  
بمخزينة مملكة لحربها ولكنه صار كما اريد فهو متشرع كأعظم  
الهاميين وقد غرست فيه مباديء الاغنياء فاصبح لا مبدأ له ولا  
خبر وبات طهاها لا يجب غير نفسه ويقسو عند الاقتضاء كالقضاء  
وفوق ذلك فهو حلو الحديث جميل الوجه فسياخذ بجماع قلبك  
حين تراه يا نورمان ولكن الناس سيتحدثون بك وبه ساعة وبأ  
لها من ساعة والآن فلا ذهب إلى هذا التلميذ الطاهر ولا تفقده .  
ثم خرج من هذه الفرقة وذهب إلى جان فوجده مطرقاً  
مفكراً فقال له ياذا تفتكر يا بني ؟

فلم يجبه جان على سؤاله وقال له : كيف حالتنا الآن ؟

- اتعني بها الحالة المالية .
- دون شك اما عطفتي أن المال هو المحور الذي تدور عليه  
الغايات كلها ؟
- هو ذلك يا بني فان المال هو كل شيء في الوجود الملك  
محتاج إلى شيء ؟
- نعم - - متى ؟
- في الحال .
- ايمكن أن اعلم السبب في هذا الاحتياج السريع ؟
- فابتمسم جان وقال : لا تتجاهل ايها الاماذا فانك السبب
- الملك تشير إلى فتاة الامس - هو ذلك .
- اعزمت أن تبدد الاموال في سبيلها .

- لا اجد لانفاقها خيراً من هذا السبيل .

- الملها جميلة إلى هذا الحد .
- ولكنك انت نفسك قننت ييهاها لم تر كيف احدثت  
بها الابصار حين دخلت إلى قهوة الفردوس بالرغم عن ظواهر  
فقرها وشقاها .
- اذن انت تحبها - هو ذلك .
- لقد كنت احسبك غير جدير بان تحب غير نفسك .
- لكل قاعدة شواذ - انك تدهشني في ما تقول
- الا تذكر حين قدمنا إلى باريس ما حدثك به  
عن غرامي .
- احذر يا بني من الغرام فان من كان امثالنا لا يفضح امره  
غير النساء . وبعد فكيف تمسق في يوم واحد .
- أن هذا العشق رضعته مع اللبن فان فتاة الامس هي  
فتاة شربورخ .
- احق ما تقول .
- نعم والي التطرها اليوم .
- ولكن هل أنت واثق من انها هي بعينها .
- كل الثقة .
- ما حملها على الجيء إلى باريس .
- ما يحمل سواها - تريد ان تقول الفقر .
- هو ذلك ؟
- اذن ستصدق عليها التعم .

- هل استطيع أن ادعها في فقرها وأنا احبها هذا الحب  
- ابن تريد أن تقيما .

- سوف انظر في هذا الامر .

- اريد أن تجملها خليلتك - دون شك

- ولكن يجب أن توافقك على ذلك .

- لا ريب عندي بجمالها على الرضى فانها تحبني وتعلم اني

احبها وسأخرجها من هذا الشقاء وانسيها كل احزانها ولا ازالها

صاغراً متوسلاً حتى مرضى .

- وماري .

- انت تعلم بانى لا احبها .

- ولكنها بارعة بالجمال .

- لا انكر ما تقول - وغنية

- دون شك ولكنها تجارة اما تلك فهي الحب .

- وإذا علم موريس نورمان أن خطيب ابنته جان

رودريكوس يعشق امرأة ويتخذ له خليله وهو على اعبة الزواج

فماذا يقول .

- أن باريس متمعة فلا يعلم بها ولا سبيل إلى اقناعي فلا

اثنى عن عزمي والآن قل لي كم بقي لدينا من المال .

- لم يبق غير ثلاثين الف فرنك .

- انه مبلغ قليل !

- نعم ولكنهم في لندن اذنا صبرهم فانك تنفق النفقات

الكثيرة يا جان دون كسب .

- اني اريد أن اقترح عليك اقتراحاً بشرط .

- ما هو .

- هو أن تسلفني عشرة آلاف فرنك .

- هذا هو الاقتراح وما هو الشرط .

- هو أن أوافق على مهمة بائع الالماس .

- والزواج .

فاضطرب جان وقال : بسومني أن اخدع هذه الفتاة ولكن

إذا كنت تلغ علي . - ماذا ؟

- ارضى ولكن أنت تضع لي الخطة التي يجب أن اتبناها .

فاشرق وجه بيير وقال : الآن اعجبتي يا جان فان العاقل

من يقسم اوقاته بين اللهو والجد فقد اتفقنا الآن فاقراً .

ثم اعطاه جريدة التيمس ودله على رسالة الشركة الانكليزية

فقرأها وقال اذن لقد تم الاتفاق

قال : نعم الامر سهل لا يكلفهم شيئاً وسيكون لنا فيه

كسب كثير وانما اريد أن أقول ان هذا الكسب سيكون لك

وحسبك لاني على فقري غير محتاج إلى المال وبعد هذه المهمة تأتي

مهمة الزواج .

- هذا إذا لم تفشل .

- أن الاعمال التي يتولاها بيير لاورش لا تفشل فاعمل بما

اقوله لك اخمين النجاح ومتى قبضت المهر فاذا وجدت العروس

لا تهجيك ...

- لقد فهمت قصدك فان البر واسع .

- والدنيا لمن غلب !

- ولكنتي اشفق على تلك الفتاة المنكودة .

- لا تشفق على أحد إذا أردت أن تعيش فان الدنيا

ميدان سباق .

- بل انك الشيطان بعينه

- قد اكون كما تقول ولكن هل زلت قدمك يوماً

منذ تبعتني .

- كلا ؟

- وهل يعوزك شيء من الحرية والهدوء والتعرف .

- كلا ولكن تمر في ساعات اندم فيها على مناصي القدم

في شربورغ .

- أن الطريق مفتوحة فإذا شئت عد إلى شربورغ .

- لقد فات الأوان إذ تعودت عيش البلخ .

- اذن سر امامك ولا تحف فانك تريد مالا وسبكون لك

ما تريد .

- سأفعل .

- انما يجب أن تبالح في كتمان امورنا ولا سبأ امام

هذه الحليّة .

- كن مطمئناً .

وقد اخذنا عند ذلك يتحدان على سبيل المباشطة في امورهما

الماضية من عهد التلعة إلى سفرهما إلى اورليان الجديدة وعودة

جان منها باسم جديد ومائة الف ريال .

فلما انتهيا إلى هذا التذكار تجهم وجه جان وانقبضت نفسه

فانه كان يود أن يح ذكرى هذه الحادثة من ضميره .

وتفصيلها انه قتل فتى من الاغنياء في اورليان الجديدة

يدعى جان رودريكوس فسلبه مائة الف ريال وتسمى باسمه

وأخذ أوراقه وعاد استاذة إلى لندنرا بلتمس الثروة بالمضاربة في

البورصة ولكن الثروة هزأت به وتسرقت امواله إلى

جيوب سواه .

ومن ذلك العهد بدأ تسلط بيبير لاروش عليه فانه كان قد

تعرف بتلك الشركة الانكليزية وجعل ينفق عليه عن سعة

ويدبره كما يريد حتى بات اطوع له من بناته .

اما بيبير فانه لا يفكر الا بالانتقام من موريس نورمان فكان

يسير اليه بصبر الحلد الذي يحفر الارض حتى إذا عد معدات

الانتقام ووافقه تليذه على كل ما يريد جعل يتسم ابتسام الظافر

لوثوقه من الفوز التام .

## لغة العشاق

لقد تركنا جانيت نائمة بعد أن فكرت ملياً بذلك الفتى

الذي اتفدها وبذلك الشيخ الذي احسن اليها .

ففي اليوم التالي صحت من رقادها مبكرة فذهبت إلى

السوق وجاءت بالطعام لمربيتها ثم عادت فاشترت ثوباً جديداً

فلبسته وذهبت توأ إلى منزل سانت كليز !

وكانت قد وعدته بزيارة في الساعة العاشرة كما تقدم ولكنها  
وصلت بعد ربع ساعة لانشغالها بشراء الثوب فلم تجده وقيل لها  
انه خرج إلى الزهة حسب عادته في كل يوم !  
وقد سألوها عن اسمها ولكنها ابت أن تذكره وكيف تذكره  
وهي لا اسم لها فقالت انها ستعود وذهبت وهي آسفة لهذا  
الاتفاق فانها خشيت أن يسيء الظن ذلك الشيخ الجليل الذي  
احسن اليها كل الاحسان .  
وعند ذلك ركبت مركبة وامرت السائق أن يسير بها إلى  
منزل جان رودريكوس .

وقد اتفق لسوء حظ هذه المنكودة أن الشيخ الذي كان  
يريد حمايتها وانقاذها لم تجده . واما الفتى الذي كان يريد غوايتها  
وضلالها فقد وجدته ينتظرها فكأنما القدر اراد أن يساوي بين  
حظها وحظ امها وهناك استقبلها جان بلاء الاحتفاء فقالت له  
اقد وقيت بوعدتي واثبت لافيك حق الشكر والامتنان .  
وكانت تضطرب لنظرات الفتى وبجهر وجهها .  
وكذلك جان فانه كان يضطرب اضطراب أوراق الحريف  
بقرحها فنلتم لسانه عن الكلام على زلاته وسكت هتية سكوت  
وعمي ثم قال لها .

اسمحي لي يا جانيت أن ادعوك بهذا الاسم واعلمي يقيناً أن  
كل ما رأيته لا ينقص شيئاً من ميلي اليك فان الحياة يعتمرها  
كثير من الصعاب .  
قالت : واية صعاب يا سيدي فهي هائلة !

- اني لا اعتقد بالصدقة ولكن التقاءنا بعد ذلك الفراق لم  
يكن دون شك الا بمثابة من القدر .  
فأطرقت برأسها وقالت ربما .  
- اذكركن ايماننا في شربورغ حين كنت اراك في كل يوم  
في نافذة غرفتك وهل تشعرين بما كنت اشعر به من هذه الذكرى  
- اني لم انس .  
- وقد رأيتك ليلة امس فلم اصدق عيني .  
- وأسفاه .

- نعم اني ذهلت حين رأيتك في ذلك المساء واشفت  
لشغافتك كل الاشفاق اني تركتك في مقبل الشباب في شربورغ  
ولكنني كنت اميل اليك ميلا اعظم مما تتصورين وقد سافرت  
ومرت بنا الايام والليالي ولكنك كنت ماثلة في ضميري .  
وكانت تدفعني كل يوم قوة خفية الى المرور بمنزلك فكنت  
اختلج حين اراك واقول في نفسي لا بد أن تستحيل هذه  
الصدقة فنصبح بعد كبرك اكثر من صديقين !  
ولم اكن مخطئاً في ظنوني فان الصدقة قد جمعتنا اليوم بعد  
ذلك الفراق الطويل .

وكان جان يتكلم بلهجة اخلاص صادقة فان اشد الناس شراً  
اذا بحث في غفائا قلبه لا بد أن تجد فيه مكاناً نقياً وكانت  
جانيت تنظر اليه وتتبين الاخلاص بين عينيه فقالت له :  
لا بد أن تكون قد سألت نفسك امس عن السبب في ذهائي  
الى هذا المكان الذي لقيتني فيه ؟

- انه الفقير دون شك .

- وهو فقير بل شقاء اعظم جداً مما يخظر لك .

- ولكم في شربورغ كنتم تنفقون عن سمة ؟

- كنا تنفق آخر ما بقي لدينا .

- وقد كان لك ام واخت .

- ليس لي ام ولا اخت ولا عائلة اما تلك المرأة التي كنت

ادعوها امي فهي التي ربتني وتلك الفتاة التي كنت ادعوها

اخوتي هي ابنتها .

- وابوك ليس لي ابا .

- وامك ؟

- انكرتني كما يظهر فاني لا اعرف ابن تقع بل لا اعرف

اذا كانت في قيد الحياة اذ لم يكلفني احد عنها .

- ذلك عجيب !

- ولكنه الحقيقة .

- وتلك المرأة التي كانت تربيك لم تخبرك شيئاً عن امك

- اني حين كبرت وصرت قادرة على سؤالها باتت عاجزة

عن جوابي - لماذا ؟

- لانها باتت مجنونة - مجنونة .

- نعم وجنونها هاديء ساكن ولكنه لا يقبل الشفاء

- لقد كان لها زوج كما تقولين .

- نعم - ماذا كان يعمل .

- كان صياداً ويبيع حبال المراكب .

- ابن كانت ولادتك .

- لا اعلم - كم عمرك .

- عشرون عاماً كما اظن .

- كيف كما تقطنين الست واثقة - كلا

فتجهم وجه جان وحسبت جانيت أن هذا التهجم شكاً

فقالته له اية فائدة لي من الكذب .

قال : اني لم يداخطني شيء من الريب فيما تقولينه ولكني

افكر في امر الربي .

- ما هو ذاك ؟ - سوف تعلمينه .

- متى ؟

- متى ساعدني الحظ فأرسلت الى قلبك شيئاً من هذه

العواطف التي يحتاج بها قلبي .

فهزت رأسها بحزن وقالت .

أن طريقنا لا يمكن أن تكون واحدة فاني حين كنت هناك

في شربورغ كان يحق لي أن افكر بك وأنظر اليك بعين المساواة

اما الآن فان المقام قد تبان بيننا وبت خائفة من قروتك .

- وماذا جعك غنائي فانت غنية ايضاً بجيالك وشبابك

وانك لا تستطيعين ادراك ما يداخل قلبي من السرور حين اسمع

كلامك العذب وكيف اعتر فرحاً حين أراك فإين كان يقم هذا

الصياد الذي كان يتولاك ؟

- في إحدى قرى بريتاينا في ضواحي بريست .

- ما اسم القرية التي كنتم فيها !

- واسان - وبعد ذلك .

- اقمنا بضعة اعوام في قرية انكليزية في جرساي .

- لماذا ذهبت اليها .

- لا أعلم ولكنني اذكر أن ذلك حدث على اثر خصام بين الزوج وبين سكان القرية فقد كان سكيراً مقامراً .

- وماذا كنت تصنعين في تلك القرية .

- كنت اذهب الى المدرسة وكان الزوج يشتغل نادراً ويقع معظم اوقاته في الحانات اما الزوجة فكانت تبكي .

- في اي عهد برحمت جرساي .

- كان لي من العمر يومئذ احد عشر عاماً .

وقد كان بيبير لاورش جالساً في آخر القاعة يتظاهر انه منهك في أوراقه وهو يصغي الى الحديث اتم الاصفاء فانتبهت جانباً لصوت تقليب الاوراق وقالت له من هذا الرجل !

قال : لا تحشي فانه سديق قديم اعده بثابة ابي .

اما بيبير فانه عجب لهذا الاتفاق ولهذا المشابهة بين الاثنين فان جان ايضاً لم يكن يعرف اباه فان بيبير لم يخبره بشيء الى ان يمين الأران

وكان من عادته شأن جميع اهل الرسائل أن يتم لكل حادث خفي وقد اعجبته حكاية الفتاة ورجا أن ينال منها خيراً

فجعل يكتب مذكرات بكل ما يسمعه من الحديث .

واما جانباً فانا عادت الى الحديث فقالت .

- لقد اخبرتك بشقاننا واليك تفصيلاً فانا حين كنا في

جرساي كانت بنت مريتي لا تزال طفلة .

ولم يكن زوجها من اهل الشر ولكنه كان سكيراً كما قلت لك وقد ساءت اخلاقه لكثرة ادمانه فماد لية الى المنزل وهو

مفرط من الشراب فعنفته امراته تعنيفاً الياً فنضب غضباً شديداً وانتزع الطفلة من حضن امها وحاول أن يبلد بها الارض لنضبه

فرعبت تلك الام المتكودة رعباً لا يوصف وفي اليوم التالي اصيبت بعصي شديدة وبعد اسبوعين فاجأها الهذيان حتى اذا

شفيت من الحمى اصبحت مجنونة .

وبعد بضعة ايام مات الزوج وقد قتله سكره وهمه وكان عمر الطفلة عاماً واحداً .

- ابقيت وحدك معها - وحدي .

وكان عمرك اثني عشر عاماً - بالتقريب .

- ألم يكن لك مال ؟

لم اكن انهم معنى النقود في ذلك العهد فقد كنت العب مع ارابي على شاطئه البحر بعد الخروج من المدرسة ولكنني كنت

نشيطه قوية فأشفق الجيران علينا وقد قفقت في دروج المنزل فوجدت نقود انكليزية تبلغ ثمانتي ليرات وجعلت اتفق منها

بوصاية الجيران ثم تضايقوا منا فحسبوا لنا العودة الى فرنسا موطننا واقترحوا علينا أن يدفعوا عنا اجرة السفر فباعوا لنا

مركب زوج مريتي واثاث البيت واتينا الى شربورخ .

- ألم يكن لك مورد غير ثمن المركب .

- سوف ترى فانا حين عزمنا على مبارحة جرساي عاد



الصواب فجاءة الى مريتي فنظرت الى ما حوالها كي تستوثق انه  
لا يوجد في الفرقة سواها ثم ذهبت الى احدي زوايا الفرقة  
فركمت وانتزعت بلاطة ثم مدت يدها فأخرجت علبة كان فيها  
كثيراً من الاوراق للمالية وربما كانت قد خبأت هذا المال خوفاً  
عليه من زوجها .

- كم كان مبلغ المال .
- خمسة عشرة الف فرنك - من اين جاءها .
- لا اعلم ولكن المربية اعطتني العلبة وقالت لي هذا  
الكلام الذي لا انساه « خذي هذا المال فهو لك » ثم سافرتا .
- ألم يكن يوجد شيء في العلبة غير المال .
- كلا - اذكرني جيداً .
- لقد فتحتها حين اعطتني اياها فلم اجد غير النقود .
- ألم تجدي رسائل أو غيرها من الاوراق في المنزل .
- كلا .
- ألم يزر الصياد وانت عنده رجل أو امرأة غريبان .
- لقد فهمت قصدك فانك تريد أن ابي واممي اللذين اودعاني  
عند هذا الرجل لاسباب مجهولة ولا بد أن يكونا زارا للوقوف  
على اخباري .
- هو ذلك .

- كلا فلم يكن يزوره احد لا اعرفه ولو زارني ابي واممي  
لمرقتها من حنوها ولكن لم يسأل عني احد بعد هذه الجناية .  
وقد زاد قلبه بيير لاروش في الاصفاء وكان ينظر اليها حدفاً

من خلال أوراقه كأنه يريد أن يطبع رسمها في ذاكرته اذ  
ادرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون ابنة رجل فقير بدليل  
هذا المال الذي كان موجوداً عند مريبتها .  
وعادت جانيت إلى الحديث فقالت .

- ولما وصلنا إلى شربورغ اقمننا في فندق كان صاحبه من  
اهل الحير فأشفق علينا فأخبرته ببعض امرنا فأكرى لنا منزلاً  
وهو ذلك المنزل الذي كنت ارانا فيه واقمت هناك اعول مريتي  
وطفلتها لا يعني غير امرأة عجوز من أهل القرية وقد عرفت أن  
اكتم خبر المال عن جميع الناس فكنا نعيش به دون أن يعلم احد  
كيف نعيش .

- وهذه الطفلة الا تزال حية .
- نعم .
- وامها .

- لا تزال مجنونة وجنونها سبب كل شقاوتنا .

ثم تنهدت تنهداً طويلاً وسالت دমে من عينيها اسرع إلى  
مسحها لها جان .

- انك لم تكوني تبكين هناك بل كنت تمنين نحو الوردة  
وكم مرة مررت بمنزلك وأنت في النافذة فكنت احبيك والبث  
كل يومي لا اقتكر الا بك .

- وانا كنت اهتم لتحتيك ولكني لم اضحك ولم اهتم من  
عهد بعيد وأسفاه .

وعند ذلك نظرت جانيت إلى اثاث تلك القاعة الجميلة وكل

ما فيها مما يدل على الثروة فنظرت إلى جان نظرة تدل على سرورها بلفائه وحاجتها إلى العزاء والخلص من شقاها ولكن هذه النظرة كانت بمزوجة بتمجيب شديد لهذه الاستعالة فقالت له .

انك تدعى جان رودريكوس كما قرأت في الورقة التي اعطيتني اياها .

- دون شك .

- لماذا تخدعني .

- كيف ذلك .

- انك لم تكن تدعى هكذا هناك .

- اتظنين .

- بل اؤكد فقد كنت تدعى جان موريس ليس كذلك .

فهز جان كفيه متكلفاً المسكنة وقال :

- لم أقل لك أن في حياتي انا اسراً ايضاً .

- اتظلمني عليه .

- دون شك .

ثم همس في اذنها قائلاً : ماذا هم الاسم فان الذي يكلفك الآن هو ذلك الصديق القديم المخلص فأنتي حكايك باجانبتي ولا تجزعي لشقائقك في من اسباب الهناء ما يكفي الاثنين .

قالت : لقد خبأت المال كما خبأته المرييه من قبل وكان قليلاً لا يكفي لان نميش من ريمه وفوق ذلك فقد كنت صغيرة لا افهم شيئاً من هذه الامور ولكنني كنت اخاف حين ارى

هذا الكنز يتناقص في كل يوم .

وكتت اغتم فرصة في كل يوم فأذهب إلى المدرسة للراهبات فأتعلم فيها العلوم وأعلم البنات مقابل ذلك اللغة الانكليزية التي اتكلم فيها كأبنائها .

وقد مضى على ذلك سنة اعوام اتمت فيها دروسي وكانت الجيران يمتنوننا في كل امرأ بذلك الاخلاص الذي اشتهر به اهل الريف ولم يكن باقياً لدينا غير الفين فرنك .

فالتصت عملاً بمساعدة الراهبات الى أن جاء رجل في يوم إلى المدرسة من باريس وعليه دلائل الصلاح فعرف امري وأشار علي أن اذهب إلى باريس وتعمد لي أن يقيم مربيتي في احد المستشفيات وأن يعيد لي عملاً مضموناً ثم دفع الي عنوانه وانصرف فاقمت اسبوعاً افكر في ما نصحتني به أن اغتررت بأقواله وسافرت إلى باريس مع مربيتي وابنتها .

وهناك لقيت هذا الرجل واني اخجل أن اخبرك عن الثمن الذي طلبه مقابل هذه المساعدة فرجعت عنه منزعرة وندمت لحضوري الى باريس ولكن لات ساعة مندم فقد رجوت أن احد في هذه العاصمة الكبرى عملاً قمضت الأيام والشهور وانا احرص على ما بقي لدينا من المال حرص الثنائه في البحار على ما لديه من الخبز ولكن جميع ما بذلته من المساعي ذهب ادراج الرياح حتى عولت على الخدمة في احد المنازل فذهب في احد السماسرة الى منزل رجل لم اعمل فيه غير يوم واحد وهربت عند المساء ثاركة اجرة ذلك اليوم لان الرجل كان من

وكانت مدة اقامتي في باريس ثمانية عشر شهراً تجربت في خلالها وذهبت عني بساطة بنات الريف الى أن كان يوم امس ولم يبق لدي درهم اشترى به رعباً فخرجت في الليل هائجة على وجهي وانا عازمة على الانتحار في السين ولكنني ذكرت تلك المسكينة وابنتها وقلت في نفسي ترى ما يكون مصيرها من بعدي واذا نجوت بالانتحار فكيف تنجون فخطر لي خاطر هائل ودخلت الى قهوة الفردوس التي رأيتني فيها تلك القهوة التي لا يدخل اليها غير المهنتكات .

ولا أدري ما كان مصيري لو لم اجد رجلاً نبيلاً عرف شقائي من وجهي وتصدق علي ببضعة دنانير كما يتصدقون على ابناء السبيل .

ولكنني لا انسى جبهه ما حبيت .

فابتسم جان ابتسام المشكك وقال اتعرفين هذا الرجل يا جانيت .

قالت كلا لم اكن اعرفه ولم يكن يعرفني ولكنه انقذ حياتي فلو سألتني أن ألقى نفسي إلى النار من اجله لامثلت وانا اقول انقذ حياتي لأني كنت عازمة على الانتحار اذ يستحيل أن ابيع نفسي بأل مال .

وعند ذلك سكنت وتهد الفتي تنهد الارتياح اذ وثق من صدق روايتها ولقيا كما كان يعرفها في شربورغ فألى على نفسه أن تكون له اذ كان يحبها حباً صادقاً وعزم على أن يضحى كل

عزيز في سبيل المال بغية ارضائها بحيث لم تعد تحبفه تلك البنائات التي اقترحا عليه استاذه بعد أن غلبه جمال تلك الفتاة وقد تمن هنية بحاسنها وهو ينظر اليها نظرة المأخوذ ثم قال لها والآن ماذا عزمتم أن تفعلتي ؟

فتنهدت وقالت لا اعلم .

- ولكنك اذا اردت يا جانيت بددت شقائك كما تبدد

الرياح الفيوم ...

- كيف يكون ذلك ؟

- أن ذلك الذي ذهبت تبحثين عنه في قهوة الفردوس ..

- من هو ؟

- عشيق .

- لا تقل هذه الكلمة فقد عدت الى منزلي وقلبي يكاد يشب

من صدري لحظور هذا الحاطر الاليم ببالي فما كنت التمس غير شيء من المال اطعم به تلك المسكينة وابنتها اللتين تركتها جائعتين الا قبعت تلك الام التي تتخلى عن طفلتها فلو قتلتها لكان اثمها هون .

- لقد اصبت ولكن المحسين انك منفردة بالشكوى من هذا التخلي اعني أن حكايته قد تشبه حكايته فان ابي تخلى عن امي بعد أن اغواها وانا لا اعرف اسم ابي فانت ترى اننا متساويان واني ادعى جان فقط كما تدعين أنت جانيت .

- ولكن هذا الاسم الآخر ؟

- اتعنين به جان رودريكوس ؟

- نعم .
- لقبني به احد الحسنين الي وقد وعدتك إلى أن ابوح لك بسرّي وسأبوح لك به فيما بعد ..
- ولكن هل نجتمع بعد الآن ؟
- أن حياتي قد اتصلت بحياتك كما قلت لك .
- انها أروهام .
- وإذا شئت لا نفرق لحظة .
- اضغاث احلام ؟
- بل هي حقيقة راعنة فاني لقبيت جميع انواع الشفاء
- هو ذلك ؟
- وليس لك من معين في هذا الوجود ؟
- كلا :
- اذن سأقدم هذا المعين ؟
- اهو أنت ؟
- نعم انا فلقد فقدتلك ثم لقبتك فكل مالي فهو لك بعد أن تحققت امنيتي ، تلك الامنية التي لم اكن اسلم الا بها حين كنت اراك هناك في النافذة وبين الاعشاب والرياحين في الحقول والساتين .
- وقد كنت مثلك فقير معدماً ولكن الصدفة جعلتني من الأغنياء فكيف لا امد لك يد المساعدة بل كيف ترفضين قبول هذا المعين الذي يريد أن يكن لك بقلبه عطف وأن تعاملينه بنثل هذا العطف دعيني يا جانيت أن اكون ذلك النصير فانسيك

ذلك الشفاء القديم وتعيشي مع مريبتك وابنتها في بيت تكتشفه الحضرة والنعم بحيث تكونين آمنة مطمئنة فيه كالحمامة في عشها لا ترفضى يا جانيت فاني لا اسألك مقابل ذلك الا أن تأذني لي بان ازورك احياناً زيارة الصديق المخلص بل زيارة الأخ الرفي الحنون وسأستأجر لك منزلاً في ضواحي باريس فلا تمر بك بضعة ايام حتى تكوفي فيه على ما تشائين .

لا ترفضى يا جانيت ولا تحسي أن الشرف يدعوك إلى رفض معاونة الصديق .

وهنا استفاض في الحديث وقد انطلق لسأله لما كان يقرأه في عين الفتاة من سور الميل والأخلاق .

وقد كان يكلمها بلهجة الخلوص ولا يذكر لها كلمة من غرامه لاعتقاده أن صعود الدرج لا يكون الا تباعاً وانها متى رضيت بقبول تجديده والاقامة في المنزل الذي يعمده لها والاتفاق من ماله بعبعة مساعدتها إلى أن تجد عملاً فلا شك انها ترضى بقرامه لا سيما وانها تقبل اليه كل الميل من عهد بعيد .

وقد كانت في أشد حالات الشقاء وما رأت من ذلك اللسان غير كل ما يدل على الاخلاق الاكيد فوثقت من حسن قصده وساعدها ميلها اليه على هذا الوثوق فلما انتهت من حديثه التمتع قالت له :

- هو ما تقول ولكنها احلام فزدني من حديثك وقل ماذا تريد .

وكان هذا القول منها شبه استسلام دون تحفظ وايقن بجان

انه ادرك الغرض الاساسي فقال لها :

اني لا اريد الا أن تكوني سعيدة يا جانيت فليس هذا وقت اظهار العواطف التي يخلج بها قلبي فصبراً إلى أن تنسي هذه المصائب التي توافدت عليك رمى نفع هذا البلمس جراحك القديمة تعود إلى البحث في شؤون المستقبل اما الآن فلا اريد أن انظر الا في الحاضر

ثم اخبرها بما يجب أن يصنعه وهو أن لا تبقى ساعة في ذلك المنزل الذي تقم فيه وانه سيذهب معها فلتشري كل ما تحتاج اليه ولربيتها وابنتها ثم يبحث لها عن منزل في ضواحي باريس .

ولكنها بقيت مترددة فقالت له : كلا لا استطيع .

غير انه لم يبال برفضها وعاد الى الالحاح بكل ما اوصته اليه قريحته الوقادة من عبارات الرقق ووسائل الاقناع . ففكرت في امرها وقالت في نفسها ترى مما اخاف فلا احد يعرفني وليس من ينتبه الي في هذا الوجود وإذا ابنت مساعدة هذا الاخ فكيف اعول مربيته وابنتها .

وقد ادرك انها خائفة من حبه ولكنه تدارك ذلك الخوف فانه كان يحبها حقيقة ولا فائدة من الانكار غير انه صبر اعواماً فلا بأس أن يصبر ايضاً بضعة ايام .

وعند ذلك جعل محور حديثه على الصداقة والاخاء وبالغ في بيانها عواطف اخائمه حتى خدعت المنكودة باقواله اتم الانخداع ووافقت على اقتراحه وبعد ساعة كان ينتظرها في مركبة مغلقة

عند باب مخزن الوافر اذ دخلت اليه لشراء ما تحتاج اليه .

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر كانت مقبلة مع مربيته في فندق دلها عليه جان واوعز اليها أن تبقى فيه إلى أن يقدمعدات المنزل الجديد ولما عاد جان الى المنزل لقيه بيير قال له : ماذا فعلت اوقع الطير في الشرك .  
قال : تقريباً .

- تمنع بشبابك يا بني ولكن احذر .

- لا تخف فقد علمتني الحكمة .

- وهو الذي ارجوه منك فان جانيت ستكون نعيمك وماري وروتك إذا احسنت التصرف ا

- سأمثل لكل ما تأمرني به .

- إذن خذ هذه الأوراق المالية فهي عشرة آلاف فرنك .

- أستطيع أن اتصرف بها كلها .

- نعم ولكنك ستدع فراغاً في الصندوق .

- سوف غلأه .

- كم اتفقت في هذه الرحلة على خليلتك الجديدة .

- الف فرنك وقد اتعبتني كثيراً حتى اقتنعتها بقبول

هذه القيمة

- لا بأس ولكني قد وقيت بوعدتي فوجب عليك أن

تقي بوعدك ..

- سأفعل فاني ما تمنيت الثروة بقدر ما تمنيتها اليوم .

- العمل ذلك من اجلها .

- وبما .
- حسناً فستكون غنياً في وقت قريب يا بني .
- وأنا سأبث تلميذك الطاهر وولدك المطيع .
- هكذا أريد أن تكون يا جان وهذا الذي يحبني فيك .

## البحث

كان الاميرال دي فيتراي قد خرج من عند امرأته وهو فاقد  
الرشد مضمض الحواس فان كل رجل في الوجود لا بدأ أن تعترض  
امرأة في سبيله فتتعلق بها اطباعه وفائدته واعماله فاما رفعه إلى  
حيث يشتهي أو تنزل به الدرک الاسفل وقليل من الرجال ينجون  
من هذا القدر الذي قد يجوز تسميته بالمرأة .

ولقد كان الاميرال من اهل المزجة والهمة وله قلب كأنه قد  
من الصخر غير أن المرأه حلت في هذا القلب وملأته فكان مثلها  
مثل تلك الاعشاب التي تعلق بالجدارن فتتموا عليها حتى تغطيها  
وقد اثر به غضب بلاتش وبأسها ودموعها تأثيراً عظيماً فجرد  
نفسه لأول مرة من كبريائها فتجلت له الحقيقة وابقن أن العدل  
يقضي عليه بارتضية امرأته وأنه كان من الظالمين وانه اصبح  
مفلوياً بمد عزته فقد غلبته امرأة وهي امرأته وعول البحث  
عن ابنتها وارجاعها اليها تكفيراً عن ظلمه السابق .

ولكن كيف يجدها فقد طالما بحث عنها فبات تلك اللقطة على  
احر من الجمر حتى إذا اصبح برح منزله مبكراً وسار تواءاً إلى

وكيله المسبو دافنيو فلقبه وقال له : اني قادم اليك لمباحثتك  
في تلك المهمة التي كلفتك بها ؟  
قال : الا تزال تفنكر بها ؟

- دون شك اذا لا استطيع أن انسأها واني أريد أن تبذل  
اخر مجهودك في البحث .

- اظن أن الفرصة مناسبة .

- كيف ذلك الملك وجدت اثرأ ؟

- نعم ولكنه اثر ضعيف - متى ؟

- امس قبل لا تزال مصراً على ايجاد الفتاة ؟

- كم تبلغ ثروتي التي تتولى ادارتها ؟

- نحو عشرة ملايين .

- اني مستعد لتضحيتها يميلتها في سبيل ايجادها .

- انك مصيب فانك تمحو بوجودها آثار أحزانك على اني

لا استطيع أن اؤملك ولكني ارجو أن تساعدني الصدفة .

- كيف ذلك ؟

- انك تعلم يا سيدي بانني بحثت بحثاً مستفيضاً دون فائدة  
فقد فقدت اثرها من جرساي فان زوج المرأة التي عهدت اليه  
بالفتاة قد مات والمرأة قد اختفت وقد علوا انها عادت إلى  
فرنسا ولكن البحار الذي اوصلها مع البتتين قد غرق فحسبنا  
يومئذ أن المركب قد غرق بجميع ركابه .

- وبعد ذلك ؟

- أنت المؤمن الذي يحرم عليه إيمانه الانتحار !  
فأطرق الاميرال هنية ثم قال :

نعم انا الجندي والاميرال والمؤمن وكل ما شئت فأتى عمر  
في ساعات احاول فيها الانتحار حين يتمثل لي ذلك الشقاء الذي  
قيدتني به الاقدار بلاسه فلقد خلقت غنياً شريفاً قوياً اهلاً  
لاقام كل ما يقضي علي به واجب الشرف والمروءة فاصبحت من  
انكد الناس عيتاً بسبب غرام غير جدير بي ولقد طالما فكرت  
بأمري ولاح لي أن كثيرات من النساء هن ما لامراتي من الجاهل  
يتمنين أن يكن محلها وأنه لم يبق لي الا أن اطلق سراحها  
وسراح نفسي ولكن إذا كنت قادراً على كسر قيدها فقد  
اصبحت عاجزاً عن كسر قيدي وقد علت يداي إلى عتقي  
ورسفت به كما يرسف المجرمون فماذا اصنع ؟

- لقد وجدت الأثر الآن فلم يبق الا البحث وليفعل الله ما  
يشاء فاصبر على ما انت فيه كما هي صابرة فانها تجد من فراق  
ابنتها فوق ما تجده من هجرها .

- اذن سأسافر غداً .

- اعزمت على ذلك ؟

- دون شك فان ارض باريس باتت تحرقني .

- انهم يرمونك في شربورغ وأنت اميرال .

- نعم ولكن منصبى لا يمنعني عن التنزه متسكراً في الريف  
فأعد علي تلك التفاصيل فقد قلت أن البيت في شربورغ .

- اتعرف يا سيدي الكونت دانتى ؟

- اعرفه بالسمع .

- انه مات اخيراً وعهد الي بتصفية اشغاله فراجعت دفاتره  
وقرأت في دفتر الإيرادات ما يأتي :

« ١٥٠٠ فرنكاً اجرة منزل في شربورغ مقبوضة من  
امرأة بوديت »

فدهش الاميرال وقال : من اي تاريخ ؟

قال : منذ سنتين - وبعد ذلك ؟

- لم اجد اسم هذه المرأة في الدفتر .

- اذن سأذهب بنفسى إلى شربورغ وأعلم ابن ذهبته هذه

- ليكن ما تريد ولكن ما هذا الاضطراب أحدث أمر جديد

- نعم لقد حدث ما يجب أن اتوقفه فان الكونتس باتت

تكرهني وحقها أن تكرهني .

- وأنت ؟

- وانا إما استرجع رضاها أو اموت ولا اكتملك امري

فانك عارف بدخائل سري فقد مرت في ساعات حاولت مراراً

أن اطلق المسدس على صدغي وأسريح .

- فذعر دافينو وقال : انت ! - نعم .

- انت الجندي !

- لست باول جندي يلتحر - انت الاميرال !

- ليس صدغ الاميرال اشد صلابة من صدغ سواه .

وفي صباح اليوم التالي بينما كانت الاميرال سائراً في طريق شربورغ كان بيير لاروش جالساً في غرفته يراجع اوراق تلميذه ويقرأ تلك الرسالة التي كتبها اليه امه قبيل موتها فاشهرته فيها بكل امرها مع ابيه .

وكان آخر ما جاء في هذه الرسالة انها التمنت من ابنها أن يعفو وأن لا يعمد إلى الانتقام .

فلما اتم تلاوتها قال : يقولون أن العفو من شيم الكرام أما انا فاني اراه شيمة الضعيف العاجز يعفو مستتراً بكلام الاخلاق اخفاءً لضعف قلبه .

على اني لا اعفو فاني غير عاجز فصبراً ابنتها المرأة الضعيفة فان ولدك لم يعرف تاريخ ابيه ومع عرفه يتم انتقامي وانتقامك وفيما هو على ذلك دخل اليه الخادم وكان جميع خدم المنزل من عصابة الشركة الانكليزية وهم عارفون بكل ما يجري فقال له لقد اتى .

فأسرع بيير إلى وضع اوراقه بالدرج وقال له : ادخل .

فخرج الخادم وقال لذلك الزائر : أن المسير رودريكوس غير موجود في المنزل فاذا اردت مقابلة استاذك فهو في انتظارك وكان هذا الزائر هو روزن الألماني اليهودي بائع اللاس الشهير . وهو مرتد بلايس بسيطة تقادم عهدها ولم يتعلمها على فرط غناه وفي يده حقيبة سوداء من الجلد كان يسير بها ابناً سار

نعم وهو بيت صغير على الشارع ملك الكونت دانتس وقد استأجرته امرأة تدعى امرأة بوديت وكان اخر العهد بإيجارها منذ عامين .

- اذن انا ذاهب وهذا الاثر يكفي .

- ادعوك بالتوفيق .

- ولكنني إذا كنت ابحت هناك فمليك أنت أن تبحث هنا

فقد تكون في باريس .

- سأقفل دون شك .

وعند ذلك افترقا فذهب الاميرال إلى منزله كي يتأهب للسفر وعاد دافينو إلى مكتبه فجعل ينظر في اوراق اختفاء الفتاة فوجد كثيراً من تقارير البوليس السري الذي عهد اليهم بالتفتيش ولكنه لم يجد في تقريرهم أثراً خيراً من الاثر الذي اكتشفه وأخبر عنه الكونت فاطرق مفكراً وجعل يقول في نفسه :

انه يوجد قوة خفية تدبر مورثاً بدعوها للملحدون الصدفة وتدعوها عناية الله وقد وجدنا الاثر فلم يبق الا أن نجد صاحبه وعسى أن تدركنا عناية الله .



فلما دخل إلى بيير تظاهر هذا الحبيث أن هذه الزيارة قد ضايقته  
واخرت اشغاله العلية فقال له وهو منهمك بأوراقه دون أن  
ينظر إليه :

بماذا تريد أن اخدمك يا سيدي ؟

قال : اني صموئيل روزن .. في شارع واسي .

فتنظر بيير إليه نظرة من محاول اجهاد ذاكرته وقال :

- نعم لقد ذكرتك الآن فقد اتيت مرة من قبل .

- نعم اتيت بشأن بعض الجواهرات .

- هو ذاك فقد ذكرت جيداً ولكن الا يوجد كثيرون في

باريس يدعون باسمك ؟

- كلا فلا يوجد غير صاموئيل روزن في باريس وأجسر أن

اقول انه اسم شهير .

- اذن أنت وحدك تاجر الجواهرات الذي طالما ذكروه لنا

- نعم يا سيدي واني لا اقتصر على تجارة الجواهرات كما

يتوهم البعض بل ابيع سائر انواع المجارة الكريمة فاذا اشترت

الحلى لا اشترها الا بشمن جواهرها ولذلك لا يستطيع مزاحمتي

اسد لاني اشترى وابيع بأقل الاثمان

- لقد اشهر ذلك عنك فتفضل يا سيدي بالجلوس فانك من

فرائد الفورت اليس كذلك ؟

- هو ذاك - وأنت من اليهود ؟

- نعم :

- تريد أن ترى السيو رودريكوس .

- نعم - انه غائب .

- ابطول غيابيه ؟

- لا اعلم فقد يكون في قصره في شلساي غير اني لست

واثقاً من ذلك وفي كل حال فان ذلك لا اهمية له .

- دون شك فما زلت قد لقيتني فاني اخبرك بما حلني

على الجمي .

- كما تريد فهل استطيع أن اخدمك بشيء ؟

- نعم نعم واني اكون لك من الشاكرين .

- أنك ترجو أن تعامل السيو رودريكوس ؟

- هو ذاك فقد علمت أنه من كبار الاغنياء .

- ولكنه ليس غنياً بقدر ما تتوهم .

- لا محاول اقتناعي يا سيدي فقد سألت عنه وعرفت حقيقة

منزله وهو فوق ذلك في مقبل الشباب .

- هذا لا اخالفك فيه .

- ومن كان غنياً شاباً مقنياً في باريس فلا يسبد أن يكون

له خلية .

- لا تجهز بذلك فهو سري .

- اني من اهل الكتمان يا سيدي والذي اعلم أن الحظايا لمن

شديدات الميل إلى الحلى وراغبين لا ترد اما أنا فاني كثير البحث

عن مثل هذه الفرص ومتى عرفت فرصة اسرعت إلى اغتنامها

واجهدت نفسي في ارضاء الزبون بنية استبقائه فان الفتح بعد

انهاكك يتوق إلى الزواج ويحتاج إلى حلى اخرى من غير نوع .

- وأنت راقب ذلك ايضاً ؟

- دون شك ! ..

- اهنتك بهذه التجارة ولا بد أن يكون لديك كثير من الجواهرات ؟

- لا يوجد عند الجمهوريين يملتهم بعض ما عندي ولا امتلك يا سيدي كي لا يسمعا احد اني احمل كل ثروتي معي ولا اتمن عليها الصناديق كما كان يفعل بياس في العهد القديم .

- اري انك من أهل العلم والادب فمن ان اذاً زميلان غير أن الفرق بيني وبينك اني لا اعرف شيئاً من الاشغال ولا يروق لي غير مؤانسة كتي ولذلك لا افهم تجارتك .

- ولكنها جديرة بالاهتمام يا سيدي لما هي من سقط المتاع وقد استطيع أن ادعشك بما عندي .

- ربما ولكن كيف عرفت أن للسيو رودريكوس خلية لقد عرفت .

- لا شك أن خادمنا الأبله قد اخبرك .

- بل عرفت امراً آخر .

- ما هو ؟

- ذلك الزواج الذي سيعقد قريباً .

- اعرفت هذا السر ايضاً ؟

- نعم وهو سيترج بفتاة من اهل الثروة العظيمة فلا بد له من حل تناسب هذه الثروة !

فحك بيير اذنه وقال : لقد اتضح لي الآن كيف عرفت

فانك اغريت خادمنا بالمال ولكنك عرضته بذلك للمزل .

- دعني ارجو يا سيدي بان تكتم هذا الامر وتبقي الخادم في خدمته وأنت ايضاً يجب أن تحرص على الكتمان .

- اني اشبه الصناديق الملقفة ولكن الديك الحلي الموافقة ؟

- كيف تسألني هذا السؤال فانظر فاني ابدأ بحلي الخلية . ثم جعل يخرج الجواهرات من جيوب صدرته وسارته وبتطوئه ومن جيوب خفية لا تظهر للعيون فيضعها على المائدة ويقول :

أن من يشترني مني يتفصح له مجال الاختيار كما ترى والتمن عندي نصفه عند سواي فاني اعرف أن اشترني واغتم الفرص .

فدهش بيير حقيقة لما رآه وأخرج روزن ايضاً حقيبة من الجلد كانت حجارة الالماس مصفوفة فيها على تناسب صفرها وكبرها من الحجر البسيط الذي يسوي مائتي فرنك إلى الحجر الذي يسوي عشرين ألفاً .

- وهناك الزمرد والياقوت والفيروز واللؤلؤ على اختلافها وفي اسفل الحقيبة عقود لا يقل عن المقد منها عن مئة ألف فرنك

غير أن بيير تظاهر بعدم الاكترات وقال : لا اقول شيئاً في هذه الجواهرات فلكل هوى ولكني لا فرق عندي بين قطعة

الزجاج وبين هذه الماسة التي تجن بها النساء ! .

فهب روزن رأسه شات المشفق وقال : لا عجب فهذا شأن العلماء .

قال : كل ذلك جميل وثمين ولكنك تضيع وقتك في ما لا

يفيد فان المسيو رودريكوس غير موجود .

- متى يعود ؟

- ألا تزال مصراً على أغوائه ؟

- إذ لم افهمه أنا غواه سواي إذ لا يد له من الحل .

- إذن عد في فرصة اخرى ولكني اشفق عليك فانك كثير

الغنى وأراك لا تزال مجداً بجمع المال فأية فائدة لك من المزيد ؟

- لا فائدة لي منه ولكنه حب التجارة والطمع الذي

فطر عليه الانسان فلا يسلم منه غير من وهبه الله عقلا فريداً

كعقلك فمتى يجب أن أعود يا سيدي ؟

فجعل بيير يعد على اصابعه ثم قال : عد بعد اسبوعين

أيوافقك هذا الموعد ؟

- كما تريد .

- إذن عد في الخامس والعشرين من هذا الشهر فان المسيو

رودريكوس يكون هنا ..

- سأقبل يا سيدي ولكني ارجو ان تذكرني بكلمة خير

- لا أتأخر .

فشكره روزن وأعاد الجواهرات إلى جيبويه وإلى الحقيبة

وحاول الانصراف فقال له بيير .

كلمة ايضاً يا مسيو روزن فاني احب أن اسألك عن امر

لم افهمه .

- تفضل يا سيدي بالسؤال عما تريد .

- لماذا تحمل معك كل هذه الجواهرات ؟

- لامر بسيط - وهو ؟

- هو اني لا احب النفقات وانا اقم في منزل صغير .

- السمت إذن متزوجاً ؟

- كلا فاني حين احمل حقيقتي بيدي أشعر انها خير من

جميع نساء الارض

- ولكن يجب عليك أن تحذر فقد يفتلك اللصوص

إذا عرفوا بامرك .

- نعم ولكنهم لا يعرفون .

- وأرجو أن لا يعرفوا . إذن إلى اللساء في

الخامس والعشرين .

ثم ودعه وانصرف فلقي الخادم عند الباب فقال له :

خذ هذا الدينار مكافأة لك فقد كنت معي من الصادقين .

- بماذا !

- بما اخبرتني به عن الاستاذ فانه من رجال الخير .

- بل هو خير الرجال فهل أنت راض ؟

- كل الرضى !

- أرجو أن تبيهم شيئاً !

- بل سأبيهم الشيء الكثير .

- ومتى كان ذلك فرجائي أن لا تنسى ما وعدتني به .

- كن مطمئناً .

ثم تركه وانصرف وهو مفرح الصدر واثق من مساعدة

الاستاذ اما هذا الاستاذ فانه كتب بعد انصرافه إلى لندرا هذا

وحده فاضيه

# وحده قاضيه

التلغراف الآتي .

و نضجت الثمرة ولم يبق الا سقوطها .

وفي اليوم الثاني ورده جواب تلغرافي يتضمن كلمة واحدة

وهي « أحضر »

نور

ولتعد الآن إلى الأمير فيتراي فإنه سار في اليوم التالي توأ

إلى شربورغ وذهب إلى الشارع الذي أخبره عنه وكيله وهناك

لقي بقالا شيخاً جالساً عند باب دكانه فدنا منه وقال له :

اتعرف منزلاً صغيراً في هذا الشارع ملك الكونت دانتى ؟

فنظر إليه الشيخ نظرة التذمّل ثم وقف مسرعاً ونزع قبعة

وقال نعم يا سيدي الأميرال .

فجذب الكونت وقال له ، كيف عرفتنى ؟

قال لقد بمدت شهرتك يا سيدي فليس من يعرفك لا سيما

من كان مثلي له ولدان في البحارة .

- في اي اسطول ؟

- في اسطول الشرق الأقصى الذي هو بقيادتك .

- ماذا يدعيان ؟

- احدهما جورج بيلير وهو لا يزال جندياً بسيطاً والآخر

اشوه اميل وهو ميكانيكي وهما من اهل الجبل والوطنية .

- ألم يتزوجا ؟

- كلا يا سيدي الاميرال فان زواج اهل البحار غير طبيعي

وغير معقول - لماذا ؟

- لان الزوج يضطر إلى هجران زوجته زمناً طويلاً وفي

ذلك من الخطر على عفات المرأة ما فيه والامثال كثيرة عندنا في

شربورغ ولا سيما بين نساء الضباط ولكننا إذا كنا نعد المرأة

عندنا عند سقوطها بعد الهجران الطويل فان بحارتنا يحبون

الزواج ما أمكن اجتنابه في زمن الخدمة فان تاموس الزوج

يقضي على الزوجين بالانكلاف فاذا هجر الزوج زوجته زمناً

طويلاً ثم عاقبها لهفوتها الا يكون من الظالمين .

فعض الاميرال على شفته دون أن يجيب ثم غير مجرى

الحديث فجأة فقال له :

- لقد قلت لي أنك تعرف هذا المنزل .

- نعم فهو في الشارع العام على قيد بضع خطوات .

- أأنت هنا من عهد بعيد . - منذ خلقت .

- أذن أنت تعرف جميع السكان .

- على الاطلاق .

- وتعرف الذين كانوا يقيمون في منزل الكونت منذ عامين

- حق العرفان فقد كان يقيم فيه ثلاث نساء وهن ارملة

وبنتان .

- ما اسم الأرملة . - ارملة بوديت .

- واسمها الاخر . - بيرين .

- ماذا تعرف عنها .

- لا أعرف عنها شيئاً سوى انها كانت مجنونة ولكنه  
جنون هاديء لطيف وكانت من بريتانيا كما يظهر من غناها فانها  
كانت دائماً نشد انشد البريتانيين المعروفة .

فتنفس الاميرال تنفس ارتياح وقال له : اعلم من ابن انت  
لقد سمعتم يقولون انها انت من جرساي .

- ومن هما الابنتان اللتان كانتا معها .

- احداهما طفلة صغيرة كان عمرها نحو سنتين جيء بها إلى  
شربورغ .. - والثانية .

- آء ما أجلبها يا سيدي الاميرال .

- كم كان عمرها .

- نحو اثني عشر عاماً ولكنها قوية نشيطة لم ار أشد صبراً  
منها على المشاق - ابن من الآن .

- لا اعلم فانهن ومجرن هذه البلدة وقد سامني ذلك فقد  
كنت ارى الفتاة مراراً كل يوم حين تشتري حاجات المنزل من  
عندي وحين ذهابها إلى مدرسة الدير .

- ابن هي هذه المدرسة .

- هي تلك البناية المطيعة التي تراها امامك .

- ماذا كانت تفعل في تلك المدرسة .

- كانت تعلم اللغة الانكليزية وتتلقى العلوم في مقابل ذلك  
والحق يقال يا سيدي الاميرال أن المدهوازيل جانبيت ..

فقاطعه الاميرال قائلاً : ماذا تقول :

- انها كانت تدعى جانبيت يا سيدي وقد كانت فتنة

الايصار يجيب بها الناس بجهالها اعجابهم بأديها وكنت أود أن  
اخطبها لابني الميكانيكي ولكي خشيت أن يتعلق بها  
ويعتزل الاعمال .

- اذن لقد برحت هذه المدينة .

- منذ ثمانية عشر شهراً أو ازيد - لماذا ؟

- لم تذكر لي الاسباب .

- ولكن ماذا في اعتقادك سبب هذه الرحلة .

- انها في الايام الاخيرة كانت كثيرة التفكير والمهم وقد  
سألته يوماً عن سبب مها فقالت لي انها تلتهم عملاً ولا تجده

وانها باتت كثيرة النفقات بسبب مرض العجوز .

وعندي أن هذه العجوز وتلك الطفلة كانتا السبب في شقتها  
ولا بد أن تكون سافرت معها إلى بلد كبير يتسع فيه الرزق

اكثر من اتساعه في هذا البلد .

- لا يعلم احد إلى اين ذهبت .

- كلا وقد بحثنا بحثاً كثيراً في هذا الشأن ولكني اعتقد  
انها ذهبت إلى باريس . فقد ذكرت لي ميلها مراراً إلى الاشتغال

في هذه العاصمة .

- وبعد ذلك لم تكتب لاحد في شربورغ .

- كلا إذ لم يكن لها علاقة بأحد .

فأخرج الكونت قبضة من الذهب فدفعها إلى البقال وقال له :  
- اني سأنظر وارقيها إذا كانا جديرين بالترقي .

انا الآن عائد إلى باريس فأبحث عن العجوز والبتين وإذا

فراه ويدها بيد ابنتها وهي تنظر نظرات المندهن إلى هذه  
الحديقة الغناء .

حق إذا دخلوا استقبالهم البستاني وامرأته .  
فاخذ جان بيد جانيت وقال لها : انك الآن في منزلك فقد  
استأجرت هذا المنزل المائل الجمال وليقيني انك تحبين الوحدة  
ومناظر الطبيعة وهذه امرأه البستاني تحدمك مع زوجها وهما  
من أهل الصلاح فثقي بها .

ثم دخل إلى غرفة كان فيها جميع ما يحتاج اليه المعجوز  
وابنتها وقال لها : هذه غرفة مريبتك وابنتها فتعالي إلى غرفتك  
حيث تجدني انه لا يعوزك شيء فيها .  
ثم دخل بها إلى غرفتها فدهشت لما رآته من ذلك الاثاث  
الفخم الدال على سلامة الذوق فقال لها :

- انك زين كيف اتى اعددت لك كل ما يؤول لراحتك  
لأني اريد أن تكوفي سعيدة وأن تذكري هذا المنزل الذي  
يشبه الحمامة ذلك المنزل الذي تكتنفه الأشجار في شربورغ .  
اما البستاني وامرأته فهما يمتقدان أن المعجوز امك أنت  
جئت بها إلى هنا على رجاء أن تقيدها السكنينة وهذا الحلاء  
فتشقى من مرضها وعلى ذلك فان شرقك مصون ولا خوف  
عليك من التهم .

ثم فتح درج خزانة جميلة قرأت جانيت ثلاثة اعمدة من  
الدائير ورسالة مختومة فقال لها اما الدائير فهي هدية من صديق  
لك في الحدائة أرجو أن تقبلها وأما الرسالة فأرجو أن تقرأها

علت شيئاً من شؤونهن فاكتب لي إلى باريس وهذا عنواني .  
ثم اعطاء عنوانه ونظر نظرة حزينة إلى ذلك المنزل الصغير  
الذي سكنته ضحيته وهي الآن غير موجودة فيه وانصرف  
أسفاً حزيناً ولكن بقي رجاء وطيد ايمن انها لا تزال في  
قيد الحياة .

### عش الحمامة

بينما كان الاميرال فيتراي يبحث عن جانيت ليردها إلى  
امرأته ويخفف من عذاب هجرانها كان رودريكوس يبحث عن  
منزل في ضواحي باريس ليقبها فيه ويجعلها خليلته .  
وقد وجد منزلاً جميلاً قريباً من باريس تكتنفه حديقة غناء  
وهو معتزلاً لا يجاوره احد من الناس .

وكان هذا المنزل لاحدى شهيرات بنات الهوى وقد فرشته  
اجل فرش ينطبق على اذواق النساء ثم هجرته فاستأجره  
جان بفرشه .

وبعد ثلاثة ايام صرفها على اتمام معداته وفتت مركبة عند  
باب حديقته وكان جان راكباً في جانب السائق وظلام الليل  
يخفيه عن العيون .

فنزول من مجلسه وفتح باب المركبة فخرجت منها المعجوز  
الجنونة وابنتها الصغيرة وجانيت فتأبط جان ذراع جانيت  
ودخل إلى الحديقة لتقبها الجنونة وهي غير مكترثة لشيء مما

فقال لها بصوت منخفض : ليست هي الطيبة بل هو الحب  
فاحر وجه الفتاة وقالت له كيف تمود ؟  
قال : بالقطار وما هو بصفر فاستودعك الله .  
وعند ذلك انصرف فدخلت امرأة البستاني وقالت لها :  
إن العشاء معد يا سيدتي في غرفة المائدة وستكونين هنا على  
خير حال كما ستري .

وبعد هنيهة كانت جانيت وحدها مع المعجوز وابنتها واي  
فرق بين هذا المنزل الجميل الذي تقع فيه الآن وبين تلك المقبرة  
التي كانت تأوي إليها في باريس وأين هذه الوحدة والامان من  
ذلك الخوف الدائم ومجاورة أهل الفجور بل أين هذه الزخارف  
وهذه الرياض الفاخرة وتلك الأسرة الجميلة من تلك الطفلة  
والرطوبة والحصر المتقطع وفراش القش بل أين هذه الدناير  
الوهاجة التي كانت في درجها وهذا الطعام الشهي من ذلك  
الكيس الفارغ وذلك الحبز الجاف الذي كادت لا تتأله الا يبيع  
النفس بين السلع .

لقد قتل كل ذلك لعينها كاللناظر السحرية فحسبت انها  
حالة واسترسلت في التصورات إلى أن ابطلتها من سبات غفلتها  
تلك الفتاة الصغيرة التي كانت تدعوها بأختها وقد طوقت عنقها  
بيديها الصئيرتين وقالت لها .

- ما أجل هذا البيت يا اختي أعلنا نقيم فيه ؟  
فبظرت إليها جانيت نظرة حنو وكانت تحبها حسب اخت  
ورأت ما أصبحت عليه من حسن الرواء بتلك الملابس الجديدة

يا جانيت بعد انصرافي .

وكانت تصغي اليه وهي منقبضة القلب فانها منذ ثلاثة أيام  
وهي تتردد في قبول مساعدته وتؤنب نفسها لضعفها ولكن  
صوتاً خفياً في قلبها ولله صوت الحب كان يقلب هذا الضعف  
فاجابته قائلة : نعم سأقرأ الرسالة  
ثم اطرقت برأسها مستحبة وقالت : ما كان يجب علي  
أن أقبل ؟

قال : وإذا لم تقبلي مساعدتي وأنا خير صديق فما عسى  
كنت تصنعين وإلى أين كنت تذهبين ؟ - وأسفاه .  
- بل افكركي يا جانيت فماذا كان جرى لك لو لم  
يسعدني الحظ بلقائك ؟

فوجت ساكنة وقد ابتنت انه مصيب في ما قاله وأن لقاء  
هذا الصديق في ساعة من أيامها كان نعمة من السماء وأن المعجوز  
وابنتها ثومان جوعاً اذ لا يد لها من الموت انتحاراً ثم سمعت  
صوت جان يكلها ببارق عبارات الحنو فخفق قلبها وأصفت  
لصوت ذلك القلب ونظرت إلى جان نظرة مأوفاً الحب  
والاخلاص فقالت له :

- سأقرأ الرسالة .. هذه الليلة . حين أبيت وحدي .

فأخذ يدها بين يديه فضغط عليها وقال :

- إذن استودعك الله . - أنت ذاهب ؟

- لا بد من انصرافي .

- الله ما أطيب قلبك فدهني اشكرك .

التي اشرتها لها فقالت نعم أنك تقبيل هنا قاطموني .

وفي الساعة العاشرة نامت العجوز وابقتها فوقفت جانبتي عند رأس العجوز تتمتعني في وجهها وتسمع كلامها المنقطعة التي كانت تقولها دائماً قبيل النوم وهي « مورجابت ، قصر الغرام ، فيناري ، ثم دنت من الفتاة النائمة فلتنت شعرها المتراسل على كتفها وعادت إلى غرقتها ففتحت الدرج واخذت الرسالة وقرأت ما يأتي .

« عزيزتي جانيت .

« لا تستطيعين أن تعلمي مقدار سروري بهذا الاتفاق العجيب الذي جمعتي بك اني وحيد في هذا الوجود وقد انكرتني ابي الذي لا اعرف اسمه وماتت امي منتحرة لياسها من ذلك الاب فعشت وحيداً شريداً ليس لي من يعطف علي فأحبه ولا نصير لي على معارك الحياة وهي هائلة كما تعلمين فلم اكن اتعزى في شغائتي الا حين افكرت بك بحيث كنت خير بلسم لجراسي وخير رجاء وعون لي في مستقبل الايام اني لبيتك باجانيت بعد الفراق الطويل وعلت انا متساربان بالخط ووجدتك في اشقى حال ولكي لبيتك وتداركتك باذن الله قبل فوات الاوان .

« اني لا ابسط لك حبي ولا اذكر كلمة عن هذا الغرام الذي يلا قلبي مخافة أن تكون مساعدتي لأرب فأنت طليقة حرة غير مقيدة بشرط فاني لا أحب ان اسمع كلمة الحب الا من شفقتك « اني كنت اتزوجك امام الناس واقسم بالله على صدقي فيما أقول لولا حالتنا القريبة اذ اية فائدة من اظهار شغائنا لجميع

الناس فيعلمون اننا ليعيطان .

« لا شأن للناس بنا اينها الحبيبة وكل ما استطيع أن اقوله لك الآن اني احبك حباً لا تستطيع وصفه الاقلام وانني لم احب ولن احب سواك في هذا الوجود .

« اني لك بجمسي وروحي وملك جوارحي فاذا ابيت أن اكون حبيبك فلا ترفضني أن اكون اخاك .

« ولا تجزعي علي فاني اؤثر احتمال كل عذاب الدنيا مدى العمر على أن اراك ساعة تتألمين .

« والآن اية فائدة من الكلام فاني احبك وهذه الكفة وحدها تغني عن كل اسباب وشرح فتصرفي بمستقبلي ومستقبلك كما تشائين .

واني رهين اشارتك فلا اعود اليك الا حين تدعيني ، وقد قرأت جانيت هذه الرسالة مرتين ثم وقفت مفكرة في نافذتها ..

« وكان القمر يرسل اشعه الى الحديقة فيموج التسم تلك الأشعة على أوراق الشجر فتظهر من خلالها كالدخانير .

« وقد تم السكون فلم يسمع غير حفيف الاشجار وهينة التسم وصغير القطارات من حين إلى حين وقد تساقط الندى على تلك الاشجار فكان يشبه اللالي، فعمادت السكينة إلى قلب الفتاة بسكوت الطبيعة ونظرت إلى المستقبل بعين الرجاء وعلت انها محبوبة وأن لها نصيراً يعينها على مصاعب هذه الحياة وهي لو لبيت جان في غير ظروفها الحاضرة لما كانت النتيجة دون شك



## وحده فاضيه

شارع اكسفورد

لا شك أن الأنكليز شعب عظيم وأن انكلترا من أغنى البلاد فإن تجارتها لا مثيل لها وهي رابضة على صخرها الفحامي تشحنه بمراكبها إلى كل جهات المعمورة والقطن والسيج والحديد والآلات والأسماك المقددة والكتب وتحول كل هذا إلى أموال تكدها بالعملة الإنكليزية والذهب وفيها نوعان غريبان من الناس وهما الفرسان الذين يركضون على الجياد في حلقات السباق فقد نالوا أبعاد شهرة في السباق .

وإنيهما الصوص فان لصوص الإنكليز لا مثيل لهم في الأرض فانهم يسرقون الكحل من العيز وجزأون رجال الشرطة على براعتهم كل الهزء وكيفما سرت في تلك البلاد نجد كتابات التحذير من البوليس ولكنهم يسرقون مالك وأنت تقرأ هذا التحذير .

ولكن ما عسى يستطيع أن يفعل لص وحيد يمكن في المحطات وعند ابواب الفنادق وفي الحلات التي يكثر فيها الزحام

كما هي الآن .

ولكنها كانت دون عائلة تكره اباما وأما لتسوتها ولا سبها ان لم يكن يخطر لها في بال أن الام تتخلى عن ولدها وسواء كان من الأغنياء أو الفقراء فقد كان يوسمها أن يربياها وهي لو زوجت ورزقت يوماً ولداً لما تخلت عنه ولما تمكن احد سلبها إياه الا بعد قتلها .

اذن فهي دون معين وقد جاءها هذا الصديق فكيف يخطر لها انه يخدعها، اما هو الذي اتقدها بما هي وانتشلها من هذه الوحدة بعد بأسها .

وفوق ذلك فهي تحبه من عهد بعيد وطالما تنمت في خلوتها أن يكون لها وأن تكون له وقد اثرت بهارقة كتابه فعاتت إلى غرفتها بعد هذا الامعان فأخذت رسالته فقرأتها مرة لثمة ثم اخذت ورقة فكتبت عليها بيد ثابتة هاتين الجملتين .

« تعال حين تريد فانا أيضاً احبك »

وعندما انتهت من كتابتها سمعت وقع خطوات فخرق قلبها والتفتت إلى جهة الباب فرأت جسان رودريكوس أو جان موريس واقفاً في الباب وقد وضع اصبعه على شفتيه واتقدت عيناه بأشعة الحب ...

فدت يدها إلى الرسالة التي كتبتها ولا يزال حبرها طرياً وأشارت له اليها فلم يكده بقراً مدين السطرين حتى ضمها إلى صدره وكده يقطع عنها قليلاً ولف الهوى بين قلبيه فباتت له وبات لها منذ تلك الساعة .

وهو في كل محطة معرض للقبض عليه فان كل ما يستطيع فعله هو أن يفوز باختطاف بضعة دنائير من الجيوب يعيش بها بضعة ايام .

وفوق ذلك فان الانكليزي فطر على حب التجارة والأعمال الكبيرة ولذلك بات لصهم كبيراً كما قلمهم وعاملهم وناجرهم وقد خطر لأحدهم منذ بضعة أعوام أن يقدم على عمل كبير فاتفق مع شريك متجول وأنشأ عملاً كبيراً له فروع كالبنك كريدي ليونييه والبنك المئاتي وغيرها .

ولكنه كانت عملاً قاسراً على القوصية في الباطن وخاصة بالمسولة وبيع الجوهرات في الظاهر وله دفاتر منظمة وعمال ساهرون ورسمه حسنة وطريقة اشغاله أن يجمع حذائق الاصوص ويرسلهم إلى اورويها ويعدم بالمال السرقات الكبرى ثم يقتسم معهم الكسب بعد خصم النفقات وهو لا يرتكب سرقة على الاطلاق في بلاده بل أن جميع اعماله كانت قاصرة على البلاد الخارجية وأخصها فرنسا فلما جاء ببيير لاروش إلى لندن تعرف بهذا المهل وانتظم في سلك اعماله مع تلميذه فهو الذي ابتكر مسألة الزواج اما مسألة تاجر الجوهرات فهي من مبتكرات مدير المهل وهو تيمبلتون .

وكان هذا المهل في شارع اكسفورد وهو من اشهر الشوارع ويذكر القراء أن ادارة المهل قد دعت اليها ببيير لاروش من باريس فذهب إلى لندن مسرعاً واجتمع بالمدير فدار بينهما الحديث الاتي .

قال المدير : اذن لقد تعين موعد الاجراء ؟

فأجاب ببيير : وذلك بعد اسبوع .

- حسناً فاني وشريكي لا رغبة لنا في مثل هذه الأعمال وانما نقدم عليها من اجلكم فننقدكم المال ونشترى نتائج اعمالكم ولذلك كان عملنا شريعياً معقولاً .

- دون شك ا .

- صف لي دوزن هذا فهو يسويدي اليس كذلك ؟

- نعم وهو من فرنكفورت .

- أن هؤلاء الناس اشداء اذكياء لا يقفون باجتهادهم عند حد فهل أنت واثق من ثروته ؟

- أن جوهراته تبلغ قيمتها ثلاثة ملايين .

- لا اظن الا انك تبالغ ومع ذلك فستمنها وتأخذ حقلك

- اربعمين في المائة .

- هذا كثير ولكننا قد وعدناك ولا نرجع بوعدنا فانتا لم

تنتج هذا النجاح الا لوفائنا واخلاصنا لعمالتنا فقل لي الا تزال

راضياً عن وليم ؟

- كل الرضى فهو يمثل دور الخدم احسن تمثيل .

- اتنا نحتاج اليه فاحرص على أن لا يكون لبوليس ريب

- ولتعد الآن إلى دوزن فهل هو كبير الجنة ؟

- كلا بل هو معتدل .

- اهو قوي ؟

- كلا ولكن ماذا تقيد القوة ونحن اربعة ؟

- أن التعاريف التي وردتنا تشير إلى انه عازب يعيش وحده .
- هو ذاك - وانه بجمل ؟
- أبجل من فأر .
- أنت البخل اقرب طرق الثروة متى عزمت على الفراغ من شأنه ؟
- في مساء اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر .
- اذن فان الباروس ينقل جثته إلى الهافر وهو من العمال الامتاء فتق به كل الثقة .
- أرسل معه المجوهرات ايضاً ؟
- دون شك فان قوتنا كائنة بتبادل الثقة .
- الاتخاف مفاجأة أو خيانة ؟
- على الاطلاق .
- وإذا قضى الاتفاق على احد عمالك فقبض عليه في فرنسا .
- وعلى افتراض ذلك فابن وجه الضرر ؟
- أن الحماكم الفرنسية تحمك عليه .
- وبعد ذلك ا.. - يطرحونه في ظلمات السجون
- ولكنه يعتمد علينا وجميع عمالنا يعرفون حق العرفان
- اننا لا تتدخل عنهم حين الشدة فان القوة الحقيقية في هذا الوجود هي هذه ثم اشار إلى خزانة حديدية تكردست فيها الاوراق المالية وقال هذا هو المال فهو مفتاح الذمم والضمان وهو ايضاً مفتاح السجون ..

- نعم ايها الصديق فان المال اساس كل شيء في هذه الحياة وما الحياة غير بحر خضم هائج فمن اتقن السباحة فيه أمن الفرق .
- والان اخبرني عن المهمة الاخرى .
- مهمة الزواج .
- نعم فوالى ابن بلتم بها .
- انها سائرة على محور النجاح بفضل جان فهو ذكي الفؤاد جميل الوجه ذلق اللسان فلم اجد اقدر منه على ارضاء النساء .
- هل افنتت به الصبية .
- بل اصبحت هائكة به وقد تبودلت بينهما ايمان الحب .
- كم تبلغ ثروتها .
- تبلغ بعد موت ابها ثمانية ملايين وبعد موت جدها اثني عشر مليوناً .
- لا ابحت عن المستقبل فقد نوت قبلهم بل اريد أن اعلم كم يبلغ مهرها .
- ستقبض يوم التوقيع على صك الزواج مليونين من ابيها ومليوناً من جدها .
- ايكون ذلك نقداً .
- اما يكون نقداً أو اسهماً يسهل تحويلها إلى نقد .
- متى تعرف الحقيقة .
- قريباً - الإبخامر أبأها شيء من الشك .
- كيف يداخله الرب وقد ربيت جان تربية الامراء وهو

يمتد انه غني مثله .

- وماذا يريد أن يصنع بعد اتمام الزواج الذي لا يعقد

الا بفضلتنا .

- لا أعلم نيائه المستقبلية ولكنه يطبخ دون شك نصف

المهر حسب الاتفاق ولكنه لا يجب خطيبته .

- لماذا العل بها عيباً من العيوب .

- بل لو مثل الجمال لما مثل الا بها ولكنه لا يجيها .

- ذلك شأنه بشرط أن يحب المال ويفوز بهذا المعنى بفضل

حكمتك فقد اتفقت اليوم مع شريكى على التنازل عليك والاصحاب

بدهاتك فاذا فارقك تليذك بعد زواجه تبقي معنا على

خير حال .

- اني بمن لكما .

- وقد كنا مسميين بما صنعتي في مسألة رودريكوس فقد

كسبنا منها كسباً عظيماً وكذلك أنت وتليذك ولكنكنا اضمتا

كسبنا بالبورصة واخطأنا خطأ لا يقترف .

- اننا كنا نريد التماس الثروة من اقرب ابوابها .

- ولكن اشغال الصدقة كالقيار لا يقدم عليها غير

الكسالى الماجزين والمقاتل لا يطمع الا بالربح المضمون فان جمال

الاعمال متسع فقد اعددت خطة لعدة مشروعات سأعهد

بها اليك .

- اني رهين امرى - كيف تبشيان هناك .

- أن جان يضطر بسبب هذا الزواج ان يعيش عيش

بسطة ورخاء اذ لا بد له أن يظهر بظهور يناسب مقامه .

- ألتفق كل ما قبضتموه .

- كلا ولكن لم يبق غير القليل ونحن الان في حاجة

إلى المال .

- كم .

- الف وخمسمائة ليرة .

فنظر قتلون إلى بيير محدقاً ثم قال له :

- لقد اتفقنا كثيراً من المال على هذه المهمة وسوف ترى .

وقد قرع جرساً فجاؤه كاتب فقال له : اعطني حساب هبب

فذهب الكاتب وعاد بالدفتر وانصرف ففتح تيلتون الدفتر

وقال له :

- انظر فقد بلغ ما اتفقناه إلى الآن اثنين وخسين

الف فرنك .

- كل هذا مقيد عندي .

- وذلك عدا عن ثمن القصرين وما فيهما من الرياش .

- هو ذلك .

- ومع ذلك فاننا لم نظفر إلى الان بغير الرجوع .

- نعم ولكننا قد خطووا خطوة عظيمة ولا بد لنا

من الفوز .

- اتعده مضموناً .

- هذا لا يرب فيه وذلك عدا مهمة روزن فانها نضجت

وستجنيها بعد اسبوع أي في الرابع والعشرين من هذا الشهر

- وستقبض حصتك في نفس اليوم ولكن احذر من التاجيل إلى الخامس والعشرين .

- لماذا ؟

- لانه يوم لا يجوز الشغل فيه .

فضحك بيير وقال : اطمن فاننا من خيار المؤمنين .

- وفي ذلك اليوم أي حين تصل الينا الجوهرات نعلمها فنخصص النفقات ونعطيك اربعين في المائة مما يلقى ولكتك محتاج الآن إلى المال كما تقول فساعطيك خمماية ليرة ايكتيك هذا القدر

- لا بد لي من الاكتفاء به الآن .

فنادى قتلون الصراف وقال له اعطني خمماية ليرة اوراقا مالية فرنسية .

وبعد هنيهة جاء الصراف بالمال فدفعه إلى بيير .

وكانت الهادنة قد انتهت فوضع بيير الأوراق في جيبه وقال : إذن نعتد عليك في مهمة الزواج .

- يا ثبات فرتة رودريكوس حين الاقتضاء .

- دون شك فاذا احتجتهم إلى الثبات وضعنا المال في بنك

لندرا باسم جان رودريكوس وأرسلنا اليك الوصولات فقل لتلك أن ينهج مناهج الحكمة فيسكون من ابناء الأسرات الفغنية والآت فكيف حال المرعش عندكم ؟

- انه يبشر بمستقبل باهر فان التأهب له عظم .

- ألم يخطر لك خاطر بشأنه ؟

- لم افكر به بعد لانهما كي بالمهتين .

- ارجو أن يكون عام خير وسنفتكر نحن هنا ايضا هذا

المرض الذي سيكثر فيه الزحام فاذا خطر لك شيء بشأنه

فاكتب لنا عنه . - سأفعل .

- متى عزمت على العودة - الآن .

- بطريق كاليه . - هو ذاك .

- اذن اتقى لك سفراً سعيداً ولا تنس أن تراسلني كل يوم

بواسطة الجريدة بطريقنا .

وعند ذلك افترقا ففعل بيير عائداً إلى باريس .

## الرجاء

بينما كان بيير لاروش عائداً من لندرا بعد مقابلته رئيس

الشركة الانكليزية كانت مقابلة اخرى جارية في منزل الاميرال

دي فيراي في شارع هوسمان فان بلانش بعد مقابلتها الاخيرة

مع زوجها عاودتها الاحزان بشدة فان ذلك الذي كان قائماً في

قلبي انتب فجأة انتباه التذعر .

وذلك أن هذه المتكودة كانت إلى هذا العهد وثيقة من

شرف زوجها وكانت تقول في نفسها انه قد يمكن أن يطيل

ويستحق قلبها بانتقامه وكبريائه ويتصامم عن صوت ضميره

ويستمرس إلى عناده البريتاني . انه قد يفعل كل ذلك ولكنه لا

يمكن أن يلقي بطفة بريئة إلى هوة الفقر والشقاء .

وقد كانت تكره زوجها كرهاً شديداً ولكنها كانت واثقة من شرفه وانه لا يقدم على مثل هذه الجريمة .

ولذلك كانت مراعاة إلى هذا الفكرة وهي أن ابنتها لا تزال عاتشة بحماية الذي اغتطفها وأن كل انتقامه قاصر على أن لا يدع امها واماها فكانت حين تفكر بها تتمثل لها انها عاتشة بدمرة في احد الاديرة بمنابة الراعبات اللواتي يشفقن عليها دون شك ليشما فقرأها بعين التصور والحنو جمية قوية متعلقة تنمو نحو الأزهار .

وكانت تقول أن الزمن لا بد أن يلين قلب ذلك الزوج القاسي ويحط من كبريائه ويشفق على زوجته بعد رضوخها واستسلامها وحسن سيرتها وجدها فيرد اليها ابنتها التي طالما بكتها إشارة إلى الغفران واللسيان .

ولكن جميع تلك الاماني قد ثلاث فجاء فان الاميرال نفسه الذي جرحها هذا الجرح لم يعد قادراً على خدمة وهو نفسه قد جاءها اليوم يقول أن ابنتها قد اختفت منذ اعوام وهي لا تعلم إذا كانت ميتة أو في قيد الحياة فكانت تمر بها التصورات الهائلة فتعمرها الرقاد وتمنى الموت في كل لحظة .

وكان قد مر بها على اجتماعها الاخير مع زوجها اربعة ايام وهي ساجنة نفسها في غرفتها لا تقابل احداً ولا تأذن لاحد بمقابلتها إلى أن دخلت اليها وصيفتها في لية وقالت لها:

- اتأذن سيدتي لصديقة لها بزيارتها .

قالت : من هي .

- هي المركيزة جانيت ابان .

- نعم نعم فلندخل فقد عرفت سري وهي خير تعزية لي وبعد هنيهة دخلت المركيزة المعجوز فأسرعت ببلانش إلى استقبالها وقالت لها :

اشكرك يا سيدتي ولا انسى كرم اخلاقك .

قالت اني قادمة لتعزيتك .

- اية فائدة يا سيدتي فاني لا اتعزى .

- من يعلم يا ابنتي وفوق ذلك فانك تجدين تعزية على

احزانك لا يجدها كثيرات من الحزاني امثالك .

- كيف ذلك ؟

- ذلك لا ريب فيه فان احزنك شديد يجعل على الاشفاق

ولكن عيشك الرخي وتلك الثروة التي تنفقين منها كما تشائين

لا بد أن تخفف لواعج احزانك

- بل تريدنا .

- كلا فانك واهمة ولو افكرت مرة باولئك المنكودات

الغرواني يصبن بأشد من نكبتك ويذرفن الدموع فوق ما تذرفين

ثم لو افكرت بانك تسعين دموعك بتبدل بساوي الدينار

والدينارين وانهن لا يجدن مندبلا لمسح تلك الدموع فيسحنها

بالأملح لحف ما عندك واننا اقول ذلك على سبيل التشبيه

والمقابلة فهل رأيت الاميرال بعد تلك المقابلة ؟

- كلا .

- اني قادمة اليك بنياً - ما هو ؟

- هو انك لا ترين زوجك قريباً .
- ابن هو - عاد إلى طولون .
- أنت واثقة بما تقولين ؟
- نعم فقد عرفت ذلك منه - كيف
- برسالة ارسلها الي وهي معي .
- ربه انه اذن يش من لغائها .
- لماذا اليأس .

- انه ما تركني الا بعد أن اقسام لي بان يجد ابنتي ويرجعها الي ثم هرب مني حين يش من لغائها .

- انك تستكرين الافكار الداعية الى المم كى ودي في اسرناك .

- لو كان بقي له رجاء اما كان عاد الي .

- اطهشني يا ابنتي فان الصدفة أوقفته على ارضا .

فأسرعت بلانش إلى المركيزة فقبضت على يدها وقالت لها بلهفة اسرعي اسرعي يا سيدتي .

- اني لا اخبرك بالتفاصيل اشفاقاً على صبرك فان راجيتو يبحث عن ابنتك كما تطعين وقد عرف منذ بضعة ايام أن ارملة بوديت التي عهد اليها زوجك بابنتك كانت مقيمة في شربورغ فسافر الأميرال توأ إلى هذه المدينة .

- وماذا لفي هناك - اقرأي كتاب تطعي .

ثم دفعت اليها كتاب الأميرال فاخذته بلانش بيد وجف

وقرأت ما يأتي :

• سيدتي المركيزة .

لا حاجة إلى أن اظهر لك ما كان لتصانحك من التأثير على افكاري فقد رددتني إلى نهج الصواب الذي طالما دفستني للكبرياء إلى الزئج عنه . اني بعد اجتماعي بزوجتي تشجعت وذهبت إلى وكيلي المسير دافينو .. وهنا كتب المحادقا التي جرت بينه وبين الوكيل ثم قال :

ولم يبق عندي شك أن المرأة التي كانت في شربورغ هي بيرين ارملة بوديت التي عهدت اليها بالطرفة التي ولدت في صخرة مورجابت ولكن هذه المرأة فقدت عقلها على اثر نكبة لم اعرفها وبرتت شربورغ منذ ثمانية عشر شهراً إلى باريس فكتبت إلى وكيلي كي يبحث عن المجنونة وعن البنتين اللتين سافرتا معها فان باريس متسمة ولكن لا بد له أن يجدهن فيها فقد كلفته أن ينفق كل مالي في هذا السبيل وعلى ذلك فلا بد له من ايجادها في زمن قريب .

وقد دقت بالسؤال عن جانيت حين كنت في شربورغ فخرقت من الجيران أن الناس كانوا يمجبون يدها وجعلها وحسن صبرها وعلى الجملة فانها جديرة أن يكون لها غير هذا الحظ .

اني سأغيب بضعة ايام على رجاء أن يتدمل ذلك الجرح الذي اصيبت به بلانش وأن رجال البحار يكونون من اهل

الايان وأن تفتي بالله عظيمة فمسي أن لا يطول زمن البعاد

مدبقتك

« مالونيان فيتراي »

وقد قرأت بلانش هذا الكتاب بسطه ثم جعلت تنظر إلى  
المركيزة دون أن تتكلم فقالت المركيزة .

— كيف رأيت يا ابنتي فهذا رجاء جديد .

— رجاء !

— دون شك فقد عرفت الآن انها جميلة اديبة وانها في  
باريس وانها كثيرة الصبر الاتمدين ذلك رجاء .

فلم تجيبها الكونتيس ولكن صدرها كان يخفق بالامل فمادت  
المركيزة إلى الحديث فقالت : أن الاميرال يفعل كل ما  
يستطيع فعله ولم يبق سبيل إلى لومه .

فضحكت بلانش ضحكاً عصبياً ولم تجب فقالت المركيزة  
والتي لا اريد غير تمزيكك وتشجيعك فاني اعلم كل ما تكابدينه  
ولكن الاميرال كابد ايضاً مثل ما تكابدين .

— نعم غير انه انتقم .

— لا أشكر انه انتقم انتقاماً هائلاً ولكنك لا تفقرين له  
وأنت لا وتالي فتفكري بتلك المباراة ويقتل اودي .

فوقفت بلانش وقد اضطربت اعصابها من التأثير فقالت : أن  
خطاكم عظيم لحسانكم اني لا افكر الا بهذا القتل الذي لم اكن  
احبه غير حب اخاموا قسم على صدقي بالله أنه قتل في مبارزة ولم

يقتله زوجي قتل القادرين بل قتله قتلاً شريفاً حسب مصطلحات  
الرجال فانا لا الوم الاميرال ولا الوم اودي فكلاهما قد نهج  
مناهج الاشراف وقد تلخص الاميرال من رجل كان حلاً  
ثقيلاً عليه .

وأن الاميرال يقول أنه يحبني وأنت تميدين علي هذا القول  
ولكن اية فائدة لي من هذا .. من هذا الحب فقد بت لا ابالي  
بشيء في هذا الوجود الا بامر واحد وهو أن أرى ابنتي .

ويعد فقد جاء في الرسالة أن ابنتي في باريس ولكن اين  
اجدها وماذا اعرف من امرها ومن يضمن لي أنها لا تمشي عيش  
التكد والشقاء وانها طريفة شريفة تلتنس الحيز فلا تجده .

وهي جميلة كما يقول فما يكون مصير الفتاة الجميلة الفقيرة في  
مدينة مثل باريس إذا لم تجد عملاً شريفاً يضمن لها الارتاق الا  
يمكن أن تكون ابنتي قد سقطت في تلك المهوة وهي فقيرة ولا  
بد لها من أن تمول نفسها وتمول امرأتين لا سباً وأن احداهما  
مجنونة والثانية فتاة صغيرة .

انها لا بد أن تكون احببت المجهوز كأهها اذ هي التي ربتها  
ولا بد أن تكون احببت الفتاة كالختها إذ ربيت معها ومما  
عاجزتان عن الكسب فاذا رأتهما جاتعتين ولم تجد سبيلاً إلى  
المعمل فما يكون مصيرها في هذه العاصمة التي لا يدركون فيها  
معنى للرحمة والاشفاق ومما بلغ من ادبها وعفافها الا يغلب  
الجوع ذلك المغاف كما غلب معظم اولئك البنات التي تنص  
بين الارصفة والشوارع المحسبين انهن سقطن في هذه الهامة الا



بمعامل الفقر .

اتملين لماذا لم يعد الاميرال . انه لم يخش أن لا يجد ابنتي في باريس اذ لا يمكن أن تضيق صبية معها فتاة وامرأة مجنونة ولكنه غشي أن يعيدها وقد دفنها الفقر إلى الزلل وأنا بت خائفة خوفه فاني لا ارجو قرب لقاءها حتى اضطرب من الخوف لا من السرور .

فتركتها المركيزة حتى افرغت جراب احزانها ثم جعلت تفقد تلك الاوهام وتقول لها :

- أن سنوك قد دفعتك إلى هذه المخاوف وأن من كان لها ادب ابنتك وعلمها لا تقدم مرتزقاً شريعاً في هذه الماحصة وأن الباريسين لم تنزع الرحمة من قلوبهم كما توهمين .

وما زالت تعالجها بنيل هذه الأقوال حتى اطمانت وقالت لها إذن بماذا تشيرين علي ؟

قالت بالصبر والانتظار بضعة أيام فلا بد من ايجادها .

- ولكنها ستكون أيام مخاوف ولم يبق لي قوة تعيلني على الصبر .

- افتكري بابنتك تصبري .

- لا افتكري الا بها .

- وبذلك الفرح للعظم الذي ستجدينه عند لقاءها .

- افتكري بمقدار بفضها لي إذ لا بد أن تكون حسيتي من

غير قلب فكروعتي ولستقتي وكيف لها أن تعلم نكبتني وما ذرفت من الدموع .

- لقد قرب أو أن انفراج هذا الشقاء فاصبري يا ابنتي صبر الكرام فان المسيو دافينو من أهل الخلق والاقدام وهو مخلص لك اشد الاخلاص فلا بد أن يعيدها قريباً وأن قلبي يحدثني بأن مخاوفك كلها غير مبنية على اساس .

- انك تقولين هذا لي هذا القول بغية تعزيتي لكبرم قلبك فهو يعزبني ولكفي لا ازال في ريب .

- كفى جزعاً وتوكلني على الله فهو خير معين ودعيني انصرف مطمئنة فاني ذاهبة .

- اتذهبين الآن ؟

- لقد كان علي واجب اتمته وأنت تعلمين أن هذا الكتاب وأن كان قد ورد باسمي فهو بالحقيقة مرسل اليك .

- اشكرك ولكن ابني فاني ارى القيل طويلا ليس له آخر .

- كلا ولكن هذا من اضطرابك واحزانك التي افرتها عودة الاميرال ولكن اطمني واذكري التل الغائل وكل شيء فان .

والآن استودعك الله .

وقد ودعتها وساولت الانصراف ففا بلغت الباب عادت فجأة وقالت : اتملين النبأ الجديد ؟

- ما هو ؟

- هو أن الخطبة ستمقد في شناسي .

- اية خطبة ؟

- خطبة جان رودريكوس على ماري نورمان .

- ومتى تكون ؟

- لم تقرر بعد ولكنها قريبة كما يظهر .

- وقفها الله .

- وعند ذلك افترقتا فعادت المركيزة إلى منزلها ودخلت  
بلانش إلى غرفتها فذكرت ابتها وركعت وجعلت تبتهل إلى  
الله وتلتمس منه الرحمة .

### المفاجأة

مضى على ذلك بضعة أيام وقد ورد الربيع يوروده  
ورياحيته وتفتحت اكمام الازهار في سنساي فكانت  
تشبه الجنان .

وقد رق الهواء وابتسمت الشمس وكثر شدو الطير فما اسعد  
من يستطيع العيش في الحلاء ويمتع النفس والعين بحال الربيع !  
دقت الساعة الحادية عشرة في قصر نورمان في سنساي  
وكان موريس نورمان قد ذهب إلى باريس حسب عادته في كل  
يوم وزار خليته إذ كان له خلية على جمال امرأته وبلوغه حد  
الكهولة كما اخبرنا بذلك بيير لاوروش اذ كان اتبع له من ظله  
وقد تعبه مرة فمرف واستقصى امره فمرف دخائل سره .  
فبينما هو خارج من عند تلك الخلية إلى البورصة لتفقد  
الشؤون المالية كانت امرأته متيك نورمان واقفة في مشرف

مطل على الحديقة تتلشق نسيم الربيع البليل وتمتع النظر بآزهاره .  
وكانت قد رأت ابتها ماري تسير متنزهة في تلك الحديقة  
وقد لوارت عنها بين الأشجار الباسقة فلبثت في موقفها من  
المشرف تنتظر أن تخرج من بين الأشجار فتراها

وقد طال وقوفها ربع ساعة ثم رأها ظهرت في مكان بعيد  
في آخر الحديقة قرب بابها الخارجي .

هناك وقفت في ظل شجرة ونظرت إلى جهة القصر فلم تر  
امامها ما يريها .

وكانت بيدها رسالة ففما وثقت من انه لا يراها احد وأن  
نوانذ القصر مغلقة جعلت تقرأ تلك الرسالة بلهف وامها تنظر  
ليها بنظارة وهي مضطربة لا تفهم معنى ما وراء .  
ولبثت ماري تقرأ ولكنها كانت تنظر من حين إلى حين  
إلى ما حولها نظرة الخائف ثم تعود إلى القراءة .

أما امها فقد ادركت كل الأمر واضطربت اضطراب  
مباغتة لا اضطراب غضب فبرعت موقفها وخرجت إلى  
الحديقة فسارت في ظلال الأشجار وهي تحذر أن تنبه  
اليها الانظار .

إلى أن صارت بالقرب منها وهناك داست على غصن خفت  
أوراقه فالتفتت ماري منذرة واسرعت إلى تحبسة الرسالة في  
صدرها وقد احمر وجهها حتى بات كالوردة حين رأت امها على  
قيد بضع خطوات منها تنظر اليها نظرات الاندهال فقالت لها  
بلهجة ذعر :

- امي !

فأجابتها قائلة :

نعم ولم يبق سبيل للكتمان فقد عرفت كل شيء . ولكنك  
تخطئين خطأ عظيماً بما تفعلين .

فأطرقت الفتاة مستحبة وهي ترتجف ثم نظرت إلى امها  
فأرأها باسطة لها ذراعها وقد تغلب عليها الحنو فالتفت نفسها  
بين يديها ولتت رأسها على كتفها .

وقد كانت ماري في ربيع الحياة كما كانت الزهرة في ربيع  
العام اي انها كانت في ذلك العمر الذي لا يأنس القلب فيه الا  
باشعة الحب كزهرة الربيع التي لا تتعش الا بندى الفجر .

فهمست امها في اذنها قائلة :

- المحبين يا ابنتي ؟

فأجابتها بصوت خافت ضعيف قائلة : نعم .

فأجلست على مقعد هناك وجلست بجانبها وهي تنظر إليها  
بله الحب وقالت لها :

- اذن لك سر تكتمينه عن امك ؟

- أأسر على الاعتراف به ؟

- لا تكذبي يا ماري وقولي الحقيقة فهل غلظت غلظة

تؤنين عليها ؟ - نعم .

فامتزت الام حنوقها ولكن ماري اسرعت فقالت :

- نعم يا اماء وما كان خطأي الا بكتمان امري عليك .

وعند ذلك اخبرتها بكل امرها ففوت لها كيف انها حين

علت اول يوم بقدم جيرانهم إلى شنساي دفعها الفضول إلى  
رويتهم من الحديقة وكيف انها رأت جان رودريكوس وانها  
بالت تئنزه في ذلك المكان كل يوم وتجدده واقفاً في النافذة  
كأنه ينتظر مرورها ثم كيف تولد الميل بينها وكيف حملها هذا  
الميل على قبول رسالة منه واجابته عليها وهي تعلم أنها غطتة  
فيا فعلت ولكن حسرات هذا الفتر قد غلبتها فقد كان شديد  
الحب شديد الاحترام لم يتجاوز مرة سور الحديقة اليها بل كان  
يكتفي بالرسائل التي اتفقا على وضعها في مكان خفي من الجدار  
وكانت ماري قد بدأت اعترافها بلهجة الحائف المضطرب إلى  
أن شجعتها نظرات امها فاندفعت في حديثها ثم قالت : لقد  
حاولت مراراً أن اخبرك بما كان ، غير أن الحياء كان يعقد  
لساني على اني لا انكر خطأي ولكن ذلك كان فوق طاقتي وانا  
اعلم يقيناً انه لا خوف علي حين اكون معه .

وهذا كتابه اتى اليوم فاقرأه تعلمي عواطفه الشريفة .

فاخذت امها الرسالة بعد أن قمت قرأتها ثم قالت لها :

- لقد كان يقضي عليه واجب الادب أن يخبر اباك بشأنك  
لا أن يخبرك .

فدافعت ماري عنه غير دفاع ثم عانقت امها وهذا العناق  
غير صلاح تغلبها به وقالت :

- انك تحكمن علي حسب مصطلحاتنا وعاداتنا فان مثل

هذه المراسلات غير جائز عندنا واما في بلادهم فهو غير ممنوع

فانا وحدتي المحطتة وهو معذور اذ جرى على عادات بلادهم

الاميركية وفي كل حال فاقرأي رسالته يا امي تسدري  
شريف قصده .

ففتحت امها الرسالة وقرأت ما يأتي :

و عزيزتي ماري .

قرأت رسالتك امس بفرح لا اصفه اذ لا انصفه وقد  
حفظت غيباً فان كل كلمة من كلماته العذبة كانت تنطبع على  
صفحات قلبي . ثم ما اطيب قلبك ونحن متفقان في الافكار  
فاني لا احلم الا بالاقامة في مكان هاديء مطمئن لا ارى من  
حولي فيه غير الوجوه الضاحكة والقلوب المطمئنة .  
واية لذة اعظم من لذة احسان المرء الى الناس حين تساعده  
الثروة على هذا الاحسان .

ولكن كيف ابرح هذه القرية الجمية التي اذلم يكن لي من  
جمالها سوى اني رأيتك فيها لأول مرة لكفاهاجمالاً في عيني، اني  
ما تعلقت بالحياة ايتها الحبيبة الا منذ تلك اللحظة فقد كنت  
الى ذلك العهد يتبها اذ مات ابي وامي وانا صغير فنشأت غريباً  
وحيداً منذ حدائتي .

وما زلت اطوف في اميركا وأوروبا اطوف التائهين الى أن  
اتيت الى بلادكم الجمية ورأيتك فيها فعرفت معنى الحياة وصار  
لي مأرب في هذا الوجود .

نعم اني مدين لك بالحياة نفسها فانت التي اهتمتني معناها  
على انك اسعدتني يا ماري إذ لك أم تحن عليك وأنت ابلتها  
الوحيدة فكيف ابعد بك عنها وأسيء اليها هذه الاساءة ، نعم

ايتها الحبيبة فانك إذا رضيت بي ورضي بي ابوك لا ابرح هذه  
البقعة الطيبة ولا ابتعد ساعة عن جوارها .

ولكن فووتك ترعيني يا ماري وأخشى أن اتهم بحب المال  
اذ ابن لهم أن يعرفوا حقيقة ما يحول في قلبي .

ولا اريد بذلك اني اتقنى أن تكوني فقيرة ولكنك لو  
كنت فقيرة لاحتيتك فوق ما احبك الآن ولكنك خطبتك من  
ابوك من عهد بعيد .

الى اللقاء ايتها الحبيبة واعلمي أن روحي تفرغ عليك  
وهي بين يديك في كل حين وفي كل مقام وانني احبك حباً لا  
يحيط به وصف ولا يعادله غير ما يكنه قلبي لك من الاحترام،  
وقد قرأت امها بلاء الامعان تلك الرسالة التي كأنها لم  
تكتب الا لتطلع عليها اذ تضمنت كل ما يرضيها ولا سبياً باعرايه  
عن نيته بالاقامة بجوارها وأنه لا يريد أن يسافر بابنتها الى  
تلك البلاد النائية ..

وكانت تعلم انه وافر الثروة فلم يبق لديها شك انه غير طامع  
بالمال وانه يجب ابنتها حباً صادقاً فلم ترجع الرسالة اليها بل  
ادخلتها الى جيبها كأنها تريد أن تحفظها عهداً عليه بعدم  
الابتعاد بابنتها .

اما ماري فانها خافت من احتفاظها بالرسالة وقالت لها  
بلهجة المتوسل :

- ارجو أن لا تقشي سري على الاقل .

- لمن افشيه ؟ - لا بي .

وعند ذلك دق جرس القصر مؤذناً بالفداء فتأبطت الام  
ذراع ابنتها وسارت بها وهي تقول :

- لقد وجب أن نضع خطة فهل تتبعين نصائحي ؟  
- دون شك فمري يا اماء امتثل .  
- المحبين هذا الفق ؟  
- اني إذا كنت لا احب فانني اميل اليه كل الميل .  
- لا تواري يا ماري - اقسم لك .  
- قولي الحقيقة فانك تحبينه ؟  
- حياً طاهراً .  
- وانك تريدن الزواج به ؟  
- لا شك اني افضله على سواء .  
- اتعنت جيداً يا ماري ؟ - نعم  
- أن هذا الموقف الذي اوقفت نفسك فيه لا يمكن البقاء  
عليه فقد اخطأت بالكتابة اليه اذ انه يمكن أن يستفيد  
من رسالتك .

- ولكنك تسيئين اليه يا امي بهذه الطنون فهو من اجل  
الناس ادباً وأشرفهم عاطفة فلا يسيء إلى من احبته  
اصدق حب .

- اذن اريد أن تكتبي له ايضاً - أنا !  
- نعم ولكنك تكتبين له رسالة تكون الأخيرة .  
- ماذا اكتب له ؟ - ما أمليه عليك .  
وكانتا قد وصلتا إلى المنزل فدخلت بها إلى غرفتها وقالت

- ولكنك لم تهجي المنهج الذي عنك اياه يا ماري .  
فأطرقت الفتاة برأسها خجلاً فقالت لها امها :  
- اذن لقد كتبت له ؟  
- نعم .  
- وقد تحدثنا مراراً بحيث يت تعرفينه حق العرفان .  
- نعم يا اماء فهو من اطهر الناس قلباً وأعظمهم كرمًا .  
- ان هفوتك عظيمة يا ابنتي ولكن اصلاحها يمكن .  
- اذن أنت توافقين ؟  
- المحبين اني أريد غير سعادتك ؟  
- فـهـ ما اشد حنوك !  
- ولكني لست وحدي صاحبة الأمر .  
- نعم فان لأبي الكلمة الاولى فما عساه يقول ؟  
- سأرى ما يكون ولكني لا اريد هذه المراسلات الخفية  
- سأمتنع عنها .  
- اين هذا الصندوق الذي تضعان فيه الرسائل ؟  
فسارت بها ماري إلى جدار عرشت عليه الاعشاب  
فأزاحت العشب عن مكان منه وأرتها ثقباً في الجدار وقالت  
لها هذا هو .

فقالت مدام نورمان : يا لاشباب ؟  
اما ماري فقد ابتسمت ابتسامة رضى اذ تبينت أن امها  
باتت نصيرة لها فلم يبق يد من الفوز اذ بات لها حليف على  
ابيه إذا ابى هذا الزواج .

لها اجلسي واكتبي

فامتثلت الفتاة وأملت عليها امها ما يأتي .

و سيدي .

أن امي عرفت كل امرنا وأنا التي اخبرتها بكل نواياك  
فاعترفت لها اعترافاً تاماً بالحقيقة بجملتها بحيث لم يبق عليك  
الا ان تقول لأبي وامي ما قد تكون اخطأت في قوله لي . لا  
تتردد وأية فرصة خير من هذه الفرصة ؟ فاقبل تحيائي ودعائي  
لك بالتوفيق .

وقد رأيت ماري أن هذا الإنشاء لا يخلو من الجفاء بالقياس  
إلى ما تعودت أن تكتبه اليه ولكنها لم تجد بداً من الامتثال .  
وعند ذلك ذهبنا إلى قاعة الطعام وبعد الغداء ذهبت إلى  
الحديقة فوضعت الرسالة في الصندوق السري بعد أن اضافت  
اليها ما يأتي .

و أن امي اكتشفت المكان الذي تخفي فيه الرسائل  
وقرأت رسالتك الأخيرة بجملتها ولكنها طيبة القلب ففكرت  
لي وهي التي املت علي هذه الرسالة التي كتبت فيها  
هذه الحاشية .

لا تتأخر عن مقابلة ابي وتوحي انه سيلايك بالاحتفاء .

فان امي نصيرة لنا وأنت تعرف المثل القائل :

القصة السعيدة نهايتها سعيدة . اذن إلى اللقاء الغريب .

وفي الساعة السادسة من ذلك اليوم تسلق جان السور وأخذ  
الرسالة من موضعها وعاد بها إلى استاذة بدير الذي كان ينتظره

فلما قرأها برقت عيناه بأشعة الرجاء وقال له :

لقد احسنت تمثيل دورك يا جان وتمت الحديقة فلم يبق شك

بالانتصار . - لم يتم شيء بعد .

- لم يبق عليك غير أن تبذل الجهد الأخير فقد بانت الأم  
والبيت من حزمك وهما حليفك على الأب فيجب أن تضرب  
الحديقة وهي حامية .

- حسناً فسأرى موريس نورمان .

- متى ؟ - غداً

- لماذا لا تقابله هذه الليلة ؟

- لاني مشغول .

- احذر فما حبط مشروع الا وكان النساء سبب حبوته ؟

- الملك تشير بذلك إلى جانيت ؟

- هو ذلك .

- اذن فاطمنن فاني أحب جانيت وهي تحبني اصدق حب

فلاخوف علينا .

- هذا الذي ارجوه .

وفي الساعة التاسعة برح جان القصر إلى حيث تقم جانيت

فوصل اليها بعد نصف ساعة ولقيها تنتظر قدومه في النافذة

فقال له بصوت منخفض :

- اهدأ أنت ؟ - قال نعم .

- قالت اسعد .

وبعد هتية كان عندهما وهو يعد نفسه اسعد البشر فان

ماري كانت تجارته وثروته اما جانبيت فقد كانت  
غرامه وسعادته .

## أب وابن

كان جان رودريكوس وعد استاذة بير لاروش أن يزور  
نورمان في اليوم التالي وهو يوم احد لم يتقدم ذلك اليوم الذي  
تقرر فيه القضاء على بائع الالاس الا باسبوع .

وكان جان بعد أن لقي جانبيت لم يعد يتم بالامر الالجع  
المال بقية ارضاء عشيقته .

ولكنه عول على أن تكون هذه الجريمة آخر جرائمه فيقبض  
حصته من مهر ماري وحصته الثانية من بائع الالاس ثم يهرب  
بمبشيقته إلى مكان قصي ويعيش معها اهنأ عيش .

ففي اليسوم التالي وهو يوم الاحد المين للزيارة كانت  
ماري جالسة وراء النافذة وهي تنتظر بفارغ الصبر قدوم جان  
اذ كانت واثقة من قدومه بعد ان كتبت له تلك الرسالة ولم يخامرها  
شيء من الشك وكيف تداخلها الريبة بفتى يظهر لها في كل لحظة  
انه هائم بها وهي لم تتجاوز العشرين من العمر .

وكانت امها جالسة بجانبها تحادثها ففلسا بلفت الساعة  
العاشرة دون أن يحضر تبين القلق على وجه ماري فابتسمت لها  
امها وقالت لها :

- لا تخشي يا ابنتي فاني لك خير نصيرة وهو لا بد

أن يحضر .

اما موريس نورمان فقد كان جالساً في غرفة اشغاله  
يطالع الجرائد .

وقها هو على ذلك دخل احد الخدم يحمل صليبة من الفضة  
عليها رقعة زيارة فتناولها موريس وقرأها ثم سأل الخدم :  
أهو هنا .

قال : نعم يا سيدي انه في الردهة .

قال : ليدخل

وبعد هنيهة دخل جان رودريكوس فاستقبله موريس  
احسن استقبال وأجلسه بجانبه .

- اني أزورك يا سيدي الان لشأن دقيق ما تجرأت عليه  
الا لاني وحيد في هذا الوجود .

فاجابه موريس بلطف قائلاً : أنت وحيد ؟

- نعم يا سيدي ، فقد مات اهلي عني صغيراً لم اكد اعرفهم  
وانا التجاسر على مكاشفتك بما اتيت لأجله لما عرفته عن مكارم  
اشلاقك وهو ينحصر بجمعة وهي .

اني أحب الآسنة ماري وأتشرف بطلب يدها منك .

فحدث سكوت يشبه سكوت الطبيعة بعد العاصفة  
وحسب جان وقد رأى موريس اسند رأسه إلى يده انه يفكر  
بهذا الطلب الخطير .

ولكنه كان غطئناً فان موريس كان يحدث نفسه بامرین  
فكان يقول في نفسه :

« لقد سمعت هذا الصوت ورأيت هاتين العينين »  
وقد كان الأمر بعيداً على هذه الذكرى ولكنها شغلته عن  
زائره وعن الغاية من زيارته .

اما جان فانه مضى في حديثه فقال :

— ولا بد لي يا سيدي قبل أن اطعم بجوابك من أن  
اخبرك بما يجب أن تعرفه عن اسرتي وعن حالتي .  
اما اسرتي فهي من الاسرات الشريفة وأن السفارة الاميركية  
تشهد بها خير شهادة .

— لقد عرفت ذلك .

— وأما ثروتي فلا تمد عظيمة .

فعاد موريس إلى مناجاة نفسه فقال : ترى أين سمعت هذا  
الصوت وأين رأيت هاتين العينين ؟

وقد ذكر عند ذلك خليلته القديمة فاضطرب وقال في نفسه  
ما هذا الذي تولاني العلني أصبت بالجنون ثم التفت إلى جان  
وقال له :

— اين ولدت ؟

— في أورليان الجديدة .

— وفي اي سنة ! — سنة ١٨٦٣

— ماذا كانت تدعى امك ؟

— ماثيلا بالاكيوس — وأبوك ؟

— جوزيف بيدرو رودريكوس .

— متى فقدتها ؟

— لقد مات ابي بعد ولادتي بعامين وكذلك امي فقد قتلها  
الحزن عليه .

فقال موريس في نفسه : اذن لا شك اني أصبت بماره  
جنون ثم سأل جان قائلاً :

— اذن اخبرني عن مقدار روثك ولا تؤاخذني إذا دقت  
في هذا البحث فاني اعتقد أن المال اساس كل هناء في  
هذا الوجود .

— لا يخالفك احد يا سيدي في هذا الرأي .

— الك عقار في اورليان الجديدة ؟

— نعم — كم يساوي ؟

— نحو ستين الف دولار .

— اي ثلاثمائة الف فرنك .

— بالتقريب — اريد أن تبيعه ؟

— نعم — لماذا ؟

— لأنني عوات على الإقامة في فرنسا وعدم الخروج منها  
فإن ابي كان اسبانياً ولكنه ولد في بيون فهو اذن فرنسي .

— اريد أن تكون فرنسياً .

— إذا كان هذا شرطاً من شروط الزواج ارضى به لا بحالة

— سنعود إلى هذا البحث ولنتم الآن بمحنا في العقار .

— أن لي قصراً في شنساي وآخر في باريس .

— ومن النقد ؟

— هذه هي قافئة كنت فيها ما امتلكه من الاسهم وما



أودعت في المصارف .

فأخذ موريس القائمة وجعل يقرأها بامعان ويقول في نفسه  
انه سيكون دون شك غير زوج لا بنتي فان ربح هذه الأسهم  
المالية وحدها يبلغ مائة الف فرنك .

فقال جان : انها ثروة قلبية دون شك ولكني ارجو أن  
تكفي للمعيش بسعة .

- بل هي ثروة كبيرة فكم يبلغ ربح ارضك في اورليان

- نحو ثلاثين الف فرنك في العام .

- المحب استبقاها ؟

- إذا اشترت علي بذلك فقلت .

فرد موريس القائمة اليه وقال :

- اني مرآح إلى طلبك يا سيدي ولكن مثل هذه الامور  
تحتاج الى التمعن والاستشارة وأعدك اني سأفعل .

- اناؤذني ان ارجو ؟

- دون شك فانك غني ولا تزال في مستقبل الشباب .

- ولكن ثروتك تخيفني فان ثروتي لا تذكر في جانبها .

- ومتى كانت الثروة تخيف يا بنتي ؟

- اريد يا سيدي أن المدموازيل ماري يكثر طلابها لهذه

الثروة ولما لها من الادب والجمال .

- أن الطلاب كثيرون ولكن الفالسين قلائل وسأفتكر

بأمرك كما وعدتلك فان عهرك سبعة وعشرون عاماً كما تقول ؟

- سأبلغ هذا العمر بعد بضعة أيام .

- وليس لك عائلة ؟

- كلا وأسفاه وسأكون سعيداً حين اجد لي عائلة .

- ستكون سعيداً بأذن الله .

وعند ذلك نهض جان بجاول الانصراف فشيعة موريس إلى

الباب الخارجي وهناك قال له :

- لا تلس ما قلت لي وهو انك مرضى أن تكون فرنسياً

- اني ارضى مقدماً بكل ما تقترحه علي من الشروط

فليست المصلحة التي تقودني بل الحب .

وعند ذلك افترقا فذهب جان في شأنه وعاد موريس إلى

المنزل وهو يقول في نفسه :

- ابن اجد لها مثل هذا الزوج ولكن ما هذه النظرات

وما هالان العينان .

وقد وضع يده على جبينه كأنه يريد أن يطرد خيالا يعنقه

إلى أن وصل إلى غرفته وكانت امرأته تنتظره وحدها فيها

فسألته ماذا حدث ؟

- انه غطب إلي ماري - وهل رضيت به خطيباً .

- اظن أن رضائي به لا يرضي فرنند الذي لا يوالين

تفتكرين به كما اظن .

- لست انا التي تريد الزواج وإذا كنت قد دافعت عنه فما

ذلك الا لاني كنت اعتقد أن سعادة ابنتي بزواجه فاني استمره

وأشفق عليه لأنه يحب ابنة عمه .

- وتحسبن انه يحبها .

- نعم وسيتعذب كثيراً أزواجها بسواه .

- وماري .

- انها تحترمه وتحبه حسب اخاء .

- وجارها - انها تحبه

- من انبأك بذلك .

- لا حاجة إلى اخباري فقد عرفته من نفسي فان الام لا

تخفاها خافية من عواطف ابنتها .

- ومع ذلك فلا بأس من أن تسألها كي نكون على ثقة .

- لا فائدة من ذلك لماذا اجبت الحاطب .

- قلت له سنتمن . - ولكنك قد تمننت كما اظن .

- ربما - فهذا خطر لك .

- انه زوج صالح فقد بسط لي حالته بتم الجلاء وأبقت

أن روثه تبلغ ثلاثة ملايين .

- وهي ثروة كافية .

- بل كنت أود أن تكون ملايين خمسة بدلا من ثلاثة

ولكن فتیان اليوم يحبون الزواج حين يكون لهم مثل

هذه الثروة .

- اذن فان الامر ميسور من هذا القبيل .

- بل من كل قبيل فانه يرضى بجمع ما اشترطه عليه .

- كلها ؟ - دون استثناء .

فتنهت تهتد الارتياح اذ كانت تخشى من معارضة زوجها

وركته وانصرفت فعدت إلى ابنتها فأخبرتها بهذا النبأ السار

وبينا كانت الأم وابنتها يتداولان بهذا الحديث كان الاستاذ

وتلميذه يتداولان ايضاً فان جان عاد تواقاً إلى بيير فسأله

بيير قائلاً : ما وراءك من الاخبار ؟

- لقد جرت الامور خير مجرى .

- ومتى يكون الجواب ؟ - في وقت قريب .

- المحسب انه يجيبك بالرضى ؟ - هذا لا ريب فيه .

- يورك فيك يا بني فقد اعطيتك مهلة عام ولكن هذه

المهلة ستنتضي قبل العام فتتال ما تتمناه من الثروة .

- بل أن مرجع الفضل اليك فانت قدت خطواتي في

هذا السبيل .

- يسرني اعترافك بالجميل يا جان .

- ولكن هذه الجريمة ستكون آخر جرائمي ؟

- دون شك فان مهمة اليهودي ستنتضي قبل مهمة الزواج

وكانا عند ذلك على المائدة فرفع جان كأسه وقال :

- اني اشرب تحب سيدي الاستاذ .

فأخذ بيير كأسه ايضاً وابتم ثم قال :

- واني اشرب تحب تلميذي العزيز .

وكان الانكليزي شريكها الذي يمثل دور الخادم يخدمها

على المائدة فقال في نفسه :

اني لا اعلم ما يبغيه هذا الحبيث من موريس نورمان ولا

ادري إلى اية هوة يريد أن يقذف هذا الغني ولكنني على غناه

وفقرتي لا اقتصى أن أكون مكانه .

## الفصل الخامس

### بعض الجلاء

كان ذلك المنزل الذي اختاره جان لحليفه من اجل المنازل ولا سيما تلك الحديقة الغناء التي كانت تحديق به . وكانت المجنونة تلقى فيه كل اسباب الراحة وكذلك اقبلتها الصغيرة فانها لم تكن تصدق ما تراه وقد انتقلت فبجأة من جهنم إلى الفردوس فكانت تسأل جانيت في كل حين عن دوام هذا النعيم كي تطمن ثم تسألها عن هذا الفس التي كان يزورها في كل لية وإذا كان هو السبب في هذه النعمة . فتضطر جانيت إلى استعمال الاكاذيب في جوابها وتخلو إلى نفسها فتبكي بكاء كثيراً وتندم الندم الشديد على زلتها . ولكنها لا تلبث أن ترى جان حتى يمسي ذلك الندم ويتبدل الحزن بالسرور وذلك البكاء بالابتسام . ذلك لأنه اخذ بمجامع قلبها وباتت تحبه حباً ليس بعده حب وقد اقامت لية تنتظره وقد تأخر عن ميعاده حتى الساعة العاشرة فجاء ودخل إلى المنزل وهو بمهم الوجه فلم يعانقها حسب عادته بل القى جرائد كانت معه على مقعد وجلس على

كرسي وهو يقول :

- لقد كنت اخشى أن لا اصل .

وكانت هيأته تدل على اضطراب شديد فدعرت جانيت

وقالت له :

- ماذا اصابك .

فاظهر الدهشة وقال لها : لماذا تسأليني هذا السؤال .

- لأن هيأتك تدل على اضطراب شديد .

- ولماذا اضطرب .

- لا ادري ولذلك اسألك .

- ربما اكون قد اخفقت .

فحاولت أن تبسم وقالت : كلا ولكنني اراك حزينا

- بل اني متكدر - لماذا

- لأنني مضطر إلى فراقك الآن .

-- تفارقني طويلا .

- كيف استطيع فراقك عهداً طويلا وأنت حياي .

- احق ما تقول .

- كيف ترافين بقولي - إذن لماذا تفارقني .

- لأنهم ينتظرونني في منزلي في باريس لشأن خطير .

- من هذا الذي ينتظرك .

- اصدقاء لي من لندرا حضروا على غرة .

- ابقيمون هنا زمناً طويلا .

- كلا بل يسافرون غداً .

- إذن متى تعود الي .

- غداً - دون شك فان كدري عظيم لفرارك الآن .

ثم قبل جبينها وقال لها : لو لم اكن احبك ما كنت احضر اليك من باريس لأراك خمس دقائق .

- وأنا ايضاً احبك لكرم اخلاقك وحنوك على فتاة فقيرة مثلي ولكن اسدر أن تحزنني .

- اللعلك تغاربن علي .

- اي حب يكون بغير غيره فانك كنزي الوحيد في هذا الوجود فاذا سلبتكم مني امرأة اخرى فهاذا يكون مصيري وماذا يبق لي .

- فhez كتفيها وطمانها وأكد لها مواليقه أنها ستكون امرأته قريباً امام الله .

ثم نظر في ساعته وقال لها :

- أن استاذي طلب الي أن اعود وأنا اعد رجاءه بمثابة أمر فان هذا الاستاذ يأمرني كما يشاء اذ لا يزال يعتقد أنني ابن خمسة عشر عاماً .

ثم ودعها وانصرف فشيخته إلى باب الحديقة وعادت إلى مربيتها فالتفتا على عاداتها تهذي وتغني وتقول من حين إلى حين هذه الكلمات .

- البحر .. الضابط .. صخرة مورجايت .. جانيت .

فدلت جانيت منها كي تستلفت اليها نظرها قائلة اماء .

فالتفتت للمجوز اليها وقالت لها : اهدا أنت ؟

- نعم فاني ساهرة عليك فهاذا تصنعين ؟

فابتسمت المجوز وقالت : لا اعلم .

- انك شديده الضعف ويجب أن تنامي .

- لا استطيع النوم هذه الليلة - لماذا !

- لأن افكاري تعذبني .

- بماذا تفكرين فانك كنت تتكلمين عن الماضي فاجتهدي أن تذكري وان ابتكك تلتمس منك ذلك .

- لماذا تقولين انك ابنتي فما انا امك .

- ولكنني احبك اكثر مما لو كنت فاجهدي نفسك قليلاً وقولي من الذي عهد بي اليك .

وقد حدثت بها وحصرت كل ارادتها بنظرها كي تهيج ولو لحظة تلك الذاكرة المنضوية فاجابتها المجوز قائلة : من ؟

- اهو ابي ؟

- كلا كلا - اذن من هو

- لقد ذكرت الآن .. أن اباك مات .. ان الأب قتل .

انه مات في اعماق المياه .. هناك .. اما الاخر .. من هو .. اني لا اعلم .

- تذكري - لا استطيع

وهنا عاد اليها هذيانها فمادت إلى الغناء .

وقد خامر قلب جانيت شيء من الرجاء في البدء وأملت أن

تعود إلى المهنونة ذاكرتها ولكن جهدها ذهب عبثاً فصبرت على

المجوز حتى نامت وذهبت إلى غرفتها وكانت الساعة قد

بلغت الأولى بعد انتصاف الليل فضلمت ملابسها وحارت  
الرقاد فأرقت لاضطرابها ولم تستطع النوم .

وفيا هي على ذلك رأت تلك الجرائد التي جاء بها جان وقد  
نسبها عندها فاخترت من بينها جريدة الفيغارو وجعلت تطلع  
فيها فقرأت فصولها الأدبية ومقالاتها الانتقائية وانباءها  
السياسية إلى أن وصلت إلى اخبارها المحلية فلم تكدر تقرأ الخبر  
الأول منها حتى ارتعشت واختلج صدرها اذ قرأت هذا  
الاعلان الذي نشر في اول المهليات استغفانا للأنتظار وهو .

« يطلب الافادة عن ارملة من ولاية بريطانيا تدعى بيرين  
بوديت فمن عرف ابن هي فليخبر السيد دافينو في شارع النجو  
وله مكافأة حسنة » وقد كان الاسم واضعاً جلياً لم يبق لديها  
شك بانهم يسألون عن مريبتها ثم انهم لا يسألون عن المرضع الا  
بشية الوصول إلى الرضيع إذن فهم يبحثون عنها نفسها ولكن  
ترى من هذا الذي يبحث عنها بعد أن انكرها وتخلت عنها  
عشرين عاماً .

وقد قرأت هذا الاعلان السري عشر مرات فكثرت ظنونها  
وعولت على أن تستشير جان في امرها فنامت وقد قررت أن  
تذهب اليه صباح غد لتستشيره بما يجب أن تصنع .

## قول بيير لاورس الاول

كان اليوم التالي يوم السبت وهو اليوم الموعود لانهاء مهمة بائع  
المجوهرات ولذلك قضى بيير على تلميذه أن يسهر تلك الليلة  
عند خليلته لأعداد ما يقبض عليه من المئات .

وقد عاد من عند خليلته في منتصف الليل تواقاً إلى منزله في  
باريس ولقي استاذة لا يزال ينتظره وهو يسير في غرفته فهاباً  
وابياً مفكراً فقال له اقتكر بهمة القدر .

— كلا فقد قررت وأعددت لها عدتها ولكنني اقتكر بالمهمة  
الثانية وانها تستير بعد الآن على جناح السرعة .

— حسناً فاني انا ايضاً اريد الفراخ من هذه الشؤون .

— وبعد ذلك ماذا تصنع .

— أقعب من باريس إلى مكان لا تدركني فيه الأرصاء .

— اتذهب وحدك — كلا .

— مع من .

— مع خليلتي ثم معك إذا اردت أن تلبث معي .

— ذلك لا ريب فيه لاني لا افارقك يا بني ولكن ماذا  
تصنع بالأخرى .

— اقبض مهرها .

— حسناً فاقبض المهر ثم ترى ما سيكون لنا من هذا المهر  
ومما ستقبضه من مال روزن ما يكفيننا للمعيش إلى آخر العمر  
عيش الأغنياء .

- اذن لقد تقرر امر هذا الرجل .

- دون شك - متى ؟

- غداً في الساعة التاسعة يزورنا وفي الساعة التاسعة ونصف يقضى الامر وفي الساعة الثالثة نكون في شارع برجوليس .

- أي شأن لنا في هذا الشارع .

- لا بد من الذهاب اليه لحضور تدشين المعرض وقد استأجرت لك لوجاً بجانب لوج خطيبتك .

- كيف عرفت نمره لوجها .

- من احد خدم ابنيها .

- انك الشيطان بعينه ايها الاستاذ ولكن اتحسب أن حقيقة روزن فيها من الجوهرات ما يستحق هذا العناء .

- لقد رأيتها بعيني فاذهب الآن ونم فيما عليك الا أن تستقبله غداً في الساعة التاسعة .

وقد افترقا فنام جان تلك الليلة نوماً مضطرباً وفي صباح اليوم التالي اقبل بائع الجوهرات وسأل عن جان رودريكوس فادخلوه اليه .

كان خدم القصر مؤلفين من ثلاثة رجال اشداء وكلهم من عصابة الشركة الانكليزية فكانوا مع بيير وتلميذه خمسة وهم متفقون تجميعهم غاية واحدة كما تجمع الكف الاصابع .

اما روزن فانه دخل إلى جان وكان بيير عنده فوضع حقيبته على المائدة وقال له مشيراً إلى استاذة :

- أن هذا الاستاذ قد اخبرني . وذلك طبيعي فان من كان له ثروتك وشبابك لا يأتي إلى باريس كي يضجر .

ثم ابتسم وقال : اهي شقراء ام سمراء ؟

- لماذا هذا السؤال .

- لاختر لها حلياً توافق لونها - انها شقراء .

فأخرج من الحقيبة عقداً مرصعاً بالماس وفي وسطه باقوته فقال : أن هذا العقد يوافقها كل الموافقة وقد اشترته بنصف قيمته من احد المسرفين وسأبيعهك ايام بريح زهيد فاني لست من اهل الطمع .

- كم يساوي ؟ - سبعة آلاف فرنك ؟

- ما هذا الغلاء !

- انك تستطيع أن تثنه عند من تشاء ولكني اقسم لك انه لو كان في مخزن ببشرون لما اشترته الا بثلاثة اضعاف هذه القيمة .

- ربما ولكني لا احب الأسراف لا سياً وقصد اثبتني في ساعة ازمة ! - انك تمزح يا سيدي دون شك .

- كلا فقد وردتني انباء من البورصة تفيد أن جميع الاوراق المالية في هبوط .

- إذا هبطت اليوم فهي سترتفع غداً .

- هذا الذي اتناه .

- اذن لا رغبة لك في شراء هذا المقد - كلا

- كما تريد غير انك عخطي، فانها خير فرصة تفتت .

- ربما غير اني قليل العناية بهذه الامور .

- ولكن لا بد لك قريباً أن تعتمني بها - لماذا

- لأن يوم الزواج قرب موعده ولا بد من الهدية : انظر يا سيدي إلى هذا الخاتم الجميل وإلى هذين القرطين وهذا السوار فانها متناسبة اتم التناسب وقد اشتريتها بأبخس الاثمان .

فنظر جان اليه نظرة الفاحص ثم قال له : كم ثمنها .

- عشرة آلاف فرنك فقط .

فقال جان لاستاذة : ماذا تقول .

- انها نقود تल्ली في البحر اذ لا فرق عندي بين الزجاج

والماس ولكن لا بد لك من الهدية يوم الزفاف فهذه مصطلحات

الناس ..

- وما رأيك في الثمن .

- لم يرد ذكر هذه المسافس في ماليدي من الكتب ولكني

اتوسم الصدق بهذا التاجر .

- اذن سأعطيه ثمانية آلاف فرنك .

فأقسم روزن بالتوراة والتلهود والوصايا العشر انها صفقة

غير رابحة وانه لا يستطيع أن يخفض درهماً من الثمن وانه لم

يطلب هذا الثمن البخس الا على رجاء أن يكون من زبائنه وما

زال به حتى اقنعه فقال له لقد رضيت بهذا الثمن .

- الا تريد يا سيدي أن ترى ما عندي من الزمرد والياقوت

والآلء فان لدي منها ما يدهش الابصار .

- سزى ذلك فيما بعد .

- بل ارجوك يا سيدي أن تنظرها الآن إذا لم يكن على

سبيل الشراء فعل سبيل الفرحة .

وانما قال ذلك بقية اغوائه كي يستمده إلى الشراء فبسط

كل ما لديه من تلك الحجارة الكريمة على المائدة وبير ينظر

اليها نظرة اللندش

ولكن جان لم يظهر اكثر مما لها وقال له : لا احتاج الآن

الى غير ما اشتريته ولكني سأشترى منك بعد شهر بعض

هذه الجواهرات .

- اتعدني بذلك يا سيدي

- ولماذا افضل سواك عليك .

فشكره روزن وأعطاه جان حوالة بقيمة ما اشتراه فوضع

الحوالة في جيبه ورد الجواهرات الى الحقيبة ونأهب للانصراف ،

ثم ودعه شاكرأً وأخرج من غرفه الى رواق طويل يؤدي الى

الردفة فأقبل جان الباب ووقف وراءه مصعباً فلم تكن غير

هنيئة حتى اضطرب وتيبلت في وجهه علامت الرعب فانه سمع

صيحة الم شديدة في الرواق .

وقد اضطرب ببير ايضاً اضطرابه فان اقل هفوة تفسد

خطته وقد غشي عواقب هذه القضيحة ولكن الفصر كان بعيداً

عن الجيران ولا يصل الصوت منه الى الشارع ولم يكن في

الفتزل الا رجال المصايبه واليك ما حدث فان بائع الجواهرات لم

يكند يتوسط الرواق حتى يادره رجل قوي ويده مطرقة من  
حديد فضربه بها ضربة هائلة على رأسه فصاح تلك الصيحة وسقط على  
الأرض لا يمي فأصرح ذلك الوحش فلف حبلا على عنقه وأتم  
قتله بالحقق .

وبعد هنية خرج بيير وجان إلى الرواق وأيقنا من موت  
اليهودي فأخذنا حقيبتيه وعاونتها الخدم فنقلوه إلى الغرفة .

وبعد نصف ساعة كان احد رجال العصابة يسير به في  
طريق الهافر وقد وضعه في صندوق من صناديق السفر الكبيرة  
مع كل مجوهراته حيث كان ينتظره ذلك البحث الخاص  
بالشركة الانكليزية وقد فرغت تلك العصابة الجهنمية من مهمتها  
الأولى ولم يبق غير مهمة الزواج

أما جان فإنه بعد نقل بائع الجواهرات إلى الغرفة خرج  
منها وذهب إلى الردهة .

وحين وصل إلى بابها وقف منذهلا خائفا إذ رأى غليته  
امامه ولكنه أمن خوفا حين رأى احد الخدم يشير إليه من  
ورائها إشارة مفادها .

« لا تخف فانها لا تعلم شيئا » غير انه كان غطشا فان  
جانيت لم تلف على تفاصيل الجناية ولكنها ايقنت من حدوث  
جناية في هذا العصر القمقم الذي دخلت إليه

وذلك انها قررت الليلة السابقة بمد أن قرأت ذلك الاعلان  
أن تأتي إلى عشيقها في الصباح فتمتشيده بشأنه .

وقد ركبت في الصباح الطيار البخاري وجاءت به إلى

محطة باريس وهناك ركبت مركبة وأمرت السائق أن يذهب  
بها إلى باسانو وعند وصولها إلى منزل عشيقها رأت رجلا يفرع  
بابه وعلت انه يهودي من شكله .

فأوقفت مركبتها على قيد بطع خطوات من الباب وانتظرت  
فيها إلى أن يخرج لأنها كانت تود أن ترى عشيقها وحده .

غير انها شعمت الانتظار في المركبة لطول مدة اقامته  
فخرجت منها وقرعت باب المنزل .

وقد فتح لها خادم وسألها عما تريد .

فقال له اريد المسيو رودريكووس .

وكان هذا الخادم من رجال العصابة فأدخلها إلى غرفة في  
جانب الردهة وقال لها : تفضلي بالانتظار يا سيدتي قليلا ثم  
خرج من الغرفة وأقبل بابها فإنه كان يعرف انها خلية جان  
وقد باغتنه بالدخول حين فتح الباب فحاض أن يشير ظنونها إذا

قال لها : انه غير موجود في المنزل إذ قد تكون متفتحة وإياه على  
هذه الزيارة أو تقول له اني اريد أن انتظره فلا يسمعه مخالفتها

وكان الموقف حرجا فإنه قد سمع صوت جان يودع اليهودي  
فقرأ أن خير ما يفعله أن يسجنها في هذه الغرفة بغية الانتظار

دون أن تعلم انها سجينه وبعد هنية صاح اليهودي تلك الصيحة  
الهائلة حين فوجيء بالضربة فسمعت الفناة تلك الصيحة ورجف

قلبا من الرعب وايقنت من حدوث امر غريب في هذا المنزل  
لا سيما وأن الخادم حين استقبلها لم يخف عنها .

وعند ذلك تبادلرت إليها كل الطنون السيئة فذكرت أن



عشيقها كان يدعى جان موريس في شربورغ فصار يدعى جان رودريكوس في باريس وانه كان فقيراً هناك فبات هنا غنياً من اصحاب القصور فكيف غير ذلك الاسم ومن اين جاء بهذه الثروة .

وقد اسرعت إلى الباب فوضعت اذنها عند قفله وجملت تصني فلم تسمع شيئاً ولكن صيحة ذلك المتكود كانت لا تزال تدوي في اذنها فاقامت مضطربة خائفة وقد نسي الخادم امرها لانها كاه في معاونة رفاقه .

ثم سمعت وقع خطوات في الردهة ورأت من خلال ستائر النافذة انهم ينقلون صندوقاً كبيراً فلم يدم ذلك اكثر من عشر دقائق ويعد نقل الصندوق إلى المركبة التي ذهبت به إلى المحطة عاد الخادم ففتح النرفة التي كانت فيه جانباً وقال لها :

تفضل بالسير معي يا سيدي فان المسيو رودريكوس ينتظرك واني اسألك العذرة يا سيدي لابطائي بالرجوع اليك فقد حدثت حادثة في المنزل هي أن احد اصحاب سيدي سقط على السلم اذ عثرت رجله ولكنها كانت سليمة بحمد الله فلم تعفه عن السفر إلى لنديرا .

فأظهرت جانباً عدم الاكتراث اذ كانت قد وضعت خطة لنفسها وتجاهلت كل ما حدث اما جان فانه حين رآها صاح صيحة دهش قائلاً : اهذا أنت ؟ وكانت علائم الاضطراب باديه عليه فقالت له : اظن أنني

ازعجتك بمحضوري .  
فابتسم وكان قد اطمان لاشارة الخادم وقال لها : كيف يخطر لك أن حضورك يزعجني فادخلي .

ودخل واياها إلى غرفته فجمعت تنظر إلى ما حوالها نظرة الباحث وهي ممجبة اذ لم تجد ايراً للخصام فقال لها :

— ما بالك تنظرين هذه النظرات وعن أي شيء تبحثين  
— اني لا ابحت عن شيء ولكني اعجب بهذه الرياش الفاخرة فمن الذي كان عندك الآن ؟

— اصحاب لي من لنديرا وهم الذين اخبرتك بهم ليلة امس  
— نعم لقد ذكرت فهل انت عازم على الانصراف الآن ؟  
— نعم فسائقدي مع استاذي في النادي .  
— ما كنت أود أن ازعجك .  
— كيف تزعجيني ايها الحبيبة فاخبريني ما الذي دعاك إلى زيارتي .

— ساخبرك بذلك فيما بعد أي بعد أن تعود .  
— لماذا لا تخبريني الآن ؟  
— لأن ما اخبرك به يحتاج إلى وقت طويل وما هو من الامور المستعجلة . — اذن ماذا تصنعين ؟

— اعود الى مريتي  
— ولكن هياتك تدل على الحزن .  
— هو ذاك فاني حزينة عليها فان المرض قد اشتد بها وأخاف أن اقعدها قريباً .  
— ولكنها تستريح من عذابها فهل تريدن أن ارسل اليها طبيباً .

— لقد عادها طبيب القرية واية فائدة من المعالجة فلقد

اصبت بما قلته فان الموت يريح المرضى بل يريح جميع الناس .  
- ما هذه الالهجة التي تتكلمين بها يا جانيت وما  
يدعوك اليها .

- لا شيء ، وانما ذاهبة فاني اعيقك عن الغداء كما ارى .  
وقد همت بالانصراف ولكنه قبض على يديا وارجعها ثم  
حذقني بها وقال انك تكذبين وانك تكتمين عني امراً .  
فارتعشت جانيت وقالت في نفسها : العله يريد قتلي ولكنها  
دفعت هذا الحاطر وقالت له :

- كلا اني لا اكنمك شيئاً .

- اتمدني بذلك ؟ - دون شك .

- وقد حاولت الانصراف ولكن بدير دخل عند ذلك  
وقال لتليذه وقد رأى جانيت اسرع يا جان لقد حان الوقت  
وهم ينتظروننا ثم قال له بصوت منخفض دعني وايها فصاقح  
جان يد جانيت وخرج من الغرفة .

فالتفت بدير إلى الفتاة وقال لها متكلماً للطيبة والمسكنة :  
اسألك العفو عن ذنبي بسلبك اياه ولكنهم ينتظروننا وقد حان  
الموعد . وقد سألت نفسي ترى ما الذي جاء بها إلى هنا ثم قال  
لها : أن جان اخبرني بكل شيء وارجو أن تكوني سعيدة  
وهو انما اخبرني بامرء لاني ربيته منذ طفولته فهو لا يكنفي  
شيئاً وعلمت منه انه يعبدك فكانت الومه حتى رأيتك فعندته  
ورجائتي أن تمذربي يا ابنتي فاني من رجال العلم ولا افهم بلغة  
القلوب ولكن من يراك يتعلم هذه اللغة بلحظة فهل لك حاجة

في باريس تريدن قضاءها ؟

وكانت جانيت تحدث نفسها وهو يحدثها فتقول :

- أن الجناية قد حدثت لا شك وقد قال لي جان انه كان  
عنده اصدقاء له من لندرا في حين أنه لم يكن عنده غير  
اليهودي وهذا اليهودي انه دخل ولم أره قد خرج واضطراب  
الخادم وجان كان ظاهراً حين رأيتي فاذا كان هناك جناية وهو  
الارجح فلا بد أن يكون هذا الكهل شريكاً فيها إذا لم يكن  
هو الذي درها .

فلما سألتها هذا السؤال اجابته قائلة :

- نعم كانت لي حاجة في باريس .. ولكني كنت

استطيع الانتظار ..

- انك تقصين في الحلاء على طريق شنساي ؟

- هو ذلك .

- أن جان يحبك حباً لا يوصف فهل زرته الآن لهمة ا

- كلا ولكني كنت اريد أن استشير به بامر .

- استشيرين جان يا ابنتي فانه منذ رآك اختبل به فلم

يعد جديراً باسداء النصائح فلما استشرت رجلاً مجرباً مثلي ؟

وكان يكلمها بلهجة اب رؤوف وعيناه تدلان على السلامة

والدعة بحيث كاد يزيل شكها به ويعد فاني خوف إذا اخبرته

بالسبب الذي جاءت من اجله واستشارته بشأنه فقالت له :

- اني إذا اذنت لي استشرتك فلا ريب عندي بحسن رأيك

- نعم أذن لك يا ابنتي فقولي وأوجزي .

فأخرجت الجريدة من جيبها ودلته على الاعلان فقرأه وقال  
 بيرين .. بوديت .. ما هذا ؟  
 - انها امرأة برتانية ربتني وهي مقيمة معي .  
 - انها مجنونة اليس كذلك ؟  
 - نعم .  
 - لقد ذكرت الآن فانك لا اعمل لك مثل جان  
 - هو ذاك .  
 - اذن تحسبن هذا الاعلان خاص بك ؟  
 - هذا الذي اطنه .  
 - اذن أنت تظنين أن اهلك قد ندموا لتخليهم عنك  
 فجمعوا ينشدونك بواسطة المسيو دافينو .  
 - هذا الذي خطر لي .  
 - والآن فانك تريدن نصيحتي ؟  
 - نعم يا سيدي  
 - نصيحتي اليك أن تعودى إلى منزلك وأنا سأرى المسيو  
 دافينو وأكله بشأنك ثم اخبرك بما يكون .  
 - ايني اشكرك يا سيدي .  
 - ولكنه قد يكون غائباً عن باريس فانه كثير الاسفار  
 فاذا ابطأت عنك فلا تقلقى وإذا لقيته وعلت منه نبأ ساراً  
 اسرعت اليك لفورى . - لا اعلم كيف افيك هذا الجميل  
 - بكتان هذا الامر عن جميع الناس حق عن جان .  
 - سأفعل - وانا سأرى المسيو دافينو .

- اذن إلى اللقاء يا سيدي .  
 ثم ودعته وانصرفت فنهز رأسه وقال في نفسه :  
 - ترى ما هذا السر وما دخل دافينو فيه .  
 وعند ذلك دخل جان فسأله قائلاً : كيف وجدتها يا  
 استاذي ارأيت ابداع من هذا الجمال .  
 - أن اشد الناس جمالا اشدمن خطراً ولكنها لا تعلم شيئاً  
 لحسن الحظ .  
 - أنت واثق ؟ - كل الثقة .  
 وكذلك كان الحادام وجان ولكن الثلاثة كانوا غمطين .

### الخطبة

في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم نفسه كان جان واستاذاه في  
 القاعة التي اعدت فيها حفلة تدشين المرض وقد غصت باصحاب  
 اللعاقات العالية .  
 وكان لوجه محاذياً لوجج ماري نورمان فكان لوجهها  
 شبه طاقه من الزهر اذ كانت فيه متبذ نورمان وابتقتها ماري  
 وصديقه لها حسناء تدعى برت وابوها موريس .  
 وقد رأت ماري جان في الوجج يحوارها فمخفق قلبها سروراً  
 ودلت صديقتها عليه ثم قالت لها : كيف تربنه ابنتها العزيزة ؟  
 - انه الجمال مثلاً فاذا كان له من جمال النفس ما له من جمال  
 لوجهه كنت لا محالة من اسعد النساء .

وقد التقت النظرات فابتسمت له ماري الطف ابتسام  
فاشارت اليه اشارة خفية أن يحضر .

فاختلج فؤاده اذ ايقن أن هذه الدعوة لم تكن عبثاً وأخبر  
استاذة بما رأى فأمره أن يذهب في الحال اليها .

فامتثل وذهب إلى ذلك اللوح وهناك قالت ماري لصديقتها  
على مسمع من الحضور .

اعرفك ابنتي العزيزة بالمسيو جان رودريكوس خطيبي .  
فكان هذا القول بمثابة اعتراف بالخطبة وكاد جان يطير

سروراً فالتفت إلى ابنتها وقال له : اشكرك اجزل شكر  
يا سيدي .

أما ماري فانها اسرعت قبل أن يتكلم ابوها فقالت  
لخطيبها سيكون عندنا حفلة رقص في هذه الليلة وانك ستحضر

الليس كذلك .  
فاجابها بالامثال وسأله ابوها قائلاً :

— من هذا الذي يصحبك اهو استاذك القديم ؟  
— قال نعم وهو يرجو أن تعذروه لعدم تشرفه بتقديم

احترامه لكم فانه شبه الأرانب البرية وهو لا يروق له غير  
مطالمة كتبه ولكنه من اطيب الناس فطرة .

وبعد هنيهة خرج جان من اللوح وعاد إلى استاذة فاسرع  
إلى سؤاله قائلاً :

— ماذا ؟  
— لقد قضي الامر وفقاً لما تريد .  
— اتت الخطبة رسمياً ؟

— نعم وسأتمشى عندهم في هذا المساء .

— ومتى تقبض المهر ؟

— سأخبرك بذلك غداً .

فنظر بيير إلى موريس نورمان نظرة الباشق إلى فريسته  
وقال في نفسه : لم يبق لك مناص من يدي اياها المتعجرف  
وسأسقطك عن عرش كبريائك .

وفي تلك الليلة اجتمع كثير من المدعوين في منزل نورمان  
وأعلنت خطبة جان رودريكوس على ماري نورمان فتسابق

اليها المهشون ..  
وكان بين الحاضرين فرند نورمان ابن عم ماري وهو يحبها

حبا عظيما تقدم لنا وصفه وكانت يعتمد على امها بتسهيل عقد  
الزواج بينها .

وقد عرف القراء أن امها كانت تقبل اليه كل الميل وانها  
شاربت زوجها بذلك مراراً فأبى مصاهرة ابن عمه لفقره .

فلاعلم فرند بتلك الخطبة علم انه قضى القضاء للمهر على كل  
امانيه وكاد يحين من يأسه اذ لم يبق له شيء من الرجاء .

وبعد العشاء اقترحت مدام نورمان على المدعوين أن  
يتنزهوا برهة في الحديقة قبل الشروع في الرقص فاعتتم فرند

هذه الفرصة وذهب إلى ماري فقال لها بلهجة خطيرة :  
— لي كلمة اقولها لك يا ماري ايريدين ؟

فمجبت لهجته الكشيبة وقالت : : كيف لا اريد يا فرند  
فماذا تريد أن تقول فاني مصفة اليك .

- ارى أن هذا الزواج قد تقرر نهائياً .
- هو ما وراه يا فرند فقد اعلن رسمياً .
- شهد الله اني لا اتنى لك غير السعادة والهناء .
- ومن يشك في ذلك يا فرند ؟
- على انى لو كنت واثقاً من نيل هذه السعادة لما فهدت بكلفة ولكن ... ماذا ؟
- اني من المهامين يا ماري وأنت تعلمين أن هذه المهنة تدعو اصحابها إلى الظنون لكثرة ما يروونه من اساليب الخداع والجرائم الخفية فهل تعرفين هذا القريب حق العرفان ؟
- ارجو أن لا تكون ظنونك منحصرة به .
- كلا كلا ولكني اكون من القانطين إذا اصبت لا سمح الله باقل تشفيص فإلك صديقتي منذ الحداثة وانا وحيد في هذا الوجود لم يكن لي بد من عطف أكيد على من احن اليه وأنت تعلمين عطفى عليك من عهد بعيد .
- هذا لا ريب فيه وهو متبادل بيننا ولكن لا تخش يا فرند .

- أنت واثقة به ؟

- كل الثقة - التحيينه ؟

- نعم فلم يبق سبيل للاخفاء فلا تخشى يا فرند فان اني ند بحث عنه ادق بحث ولا شك انك ستكون من خير اصحابه متى عرفته وتعمقت في عشرته فيتم سعدي ويأتي دورك بعدي
- كيف ذلك ؟

- اني اجد لك زوجة جديرة بك .
- أني لن اتزوج وانما اردت مقابلتك الان لأودعك .
- كيف تودعني الطلك مسافر ؟
- نعم ولكن غيابي لا يطول .
- ما هذا السفر الفجائي .
- لقد اضطررت اليه لمهمة عرضت لي .
- ولكني ارجو أن تعود قبل عقد الزواج .
- متى يكون هذا العقد .
- بعد شهر .
- بعد شهر فقط !
- نعم فقد عين له اليوم الخامس من شهر يونيو .
- أن رجاءك بمثابة امر وسأحضر .

### رجاء وريب

لم تكن ماري غخطئة بما توعدت فان الاميرال لم يعد إلى باريس الاثوفا وقد كان شجاع القلب كثير الصبر ولكن الرجل مها بلغ من حسن صبره وكال مروءته وطول اناته لا يستطيع أن يعيش مع امرأة في خصام دائم وحرب لا مهادنة فيها لا سيما بعد أن يكون قد اساء إلى هذه المرأة اساءة لا تقتفر واصابها باحزان لا تداويها الايام .

وفوق ذلك فان الاميرال كان من أهل الشرف والكبرياء فهو

لا يطيق أن يعيش مع امرأته عيش الأدلاء الصاغرين ويكره  
أن يعاملها بالعنف والشدة .

فأعاصه يصنع في هذا الموقف المخرج إلا أن حـرب ويجري  
على التهج الذي خطة لنفسه وينظر .

وكان قد بات واثقاً من أن جانيت في باريس فخاف أن  
يبعث بنفسه وعهد إلى وكيله بهذا البحث وهو يعتقد أنه لا بد  
أن يجدها ولذلك كتب إلى وكيله دافينو كتاباً مسهباً وعهد  
إليه أن يبذل آخر درهم من ماله في سبيل إيجادها .

أما دافينو فقد كان من أهل العزم فكان أول ما فعله أنه  
نشر ذلك الاعلان في جميع الجرائد وقد اطلمت عليه جانيت  
كما تقدم .

فلم يمض على نشره يومان حتى جاءت امرأة عجوز كانت  
بوابة في ذلك المنزل الذي تقيم فيه جانيت قبل أن تنقل إلى  
المنزل الذي استأجره لها جان بما كانت تعلمه عن تلك المهنونة  
التي كانت تقيم مع بنتين احداهما صبية والآخرى في سن الحدائة  
فصدق في سؤالها وكان يكتب مذكرات بكل ما سمعه منها  
فابقن أن الفتاة هي نفسها واطمأن قلبه حين علم من تلك العجوز  
انها لم تكن سيئة السيرة ولكن وجهه تجهم حين علم انهن تركزن  
ذلك المنزل وأن العجوز لا تعرف المكان الذي اقرن فيه غير انه  
كافأها مكافأة حسنة وصر من نتيجة هذه الاعلانات فواظب  
على نشرها وهو واثق من الفوز وكتب إلى الاميرال يخبره بما  
وقف عليه .

وأما جانيت فانها خرجت من منزل عشيقها وهي منقبضة  
تقول في نفسها .

- رباه ما هذه الجناية التي حدثت في المنزل اذ لا شك  
عندي في حدوثها فان تلك الصيحة الأليمة لا تزال رن  
في اذني .

ويابوع نفسي بما جنيت عليها أحتمل ما لم يحتمله بشر من  
الشقاء صيانة لعرضي ثم احب جانيتاً لثيا .

وقيا هي تسير الهوينا مرت بها مركبة كان فيها جان  
واستاده وهما يبتسمان وعليها علائم السكينة والارتياح فجمدت  
في مكانها وحياها جان الطف تحية فقالت في نفسها :

- كيف يمكن أن يكون هذان الرجلان جانين وهما  
باسان ساكنان فاذا كان هناك جناية الا يضطربان لها على الاقل  
أن كل ظواهرها تدل على البرامة ولكني سمعت الصيحة ولا  
يزال اثرها في ذهني .

وقد عادت إلى منزلها كثيبة حزينة واخذت تفكر في  
عشيقها فتقول :

انه كان فبيراً معدماً في شربورغ فكيف نال هذه الثروة  
العظيمة في مدة لا تزيد على خمسة اعوام وأي كسب شريف  
يبلغ هذا الحد في هذه المدة الوجيزة ثم ما باله يكتم عني مصدر  
هذه الثروة وقد وعدني بإخباري اكان يكتمه عني لو كانت  
ثروته هذه جاءت من مورد شريف :

وقد لبثت تتنازعها هذه الافكار المقلقة إلى أن انتصف

الليل وسمعت وقع خطوات جان ثم دخل إليها وقبلها  
دون أن تقبله ولكنها لم يفتبه إلى ذلك لانشغالها به فقال لها :

- انك لم تكوفي تتوقعين حضوري هذه اليلة ؟

- هو ذاك .

- المحسبين اني استطيع أن اقيم ليلة دون أن اراك ؟

وأقام معها ساعتين يتحدثان بامور مختلفة ثم نهض وقال لها  
اني سأغيب يومين أو ثلاثة تمر بي مرور الأدهار .

- لماذا هذا الفراق الطويل !

- لأنني أريد أن اهتم بهنالك فاني آخذ بمشروع سأخبرك  
عنه فيما بعد وهو يتعلق بنا فاني لا احب أن افارقك لحظة .

- اتقول الحق ؟

- بل اقسم لك على صدق ما اقول فاذا تصنعين في مدة

غيابي وكانت عيناه تضيئان حباً فقالت له :

- ماذا عساي اصنع غير التفكير بك إلى أن تعود .

ويعد انصرافه وضمت رأسها بين يديها وقالت :

- رباه الا يمكن أن اكون منخدعة .. ولكن ما كانت

تلك اللصبة أني كنت اود أن اخسر عشرة أعوام من عمري

ولا اكون قد سمعتها ولكن قضى علي بالعذاب قدر الله لي

العذاب فلو اسكنت جناته لكنت اعذب .

## اليقين

كان اعضاء تلك الشركة الانكليزية يشبهون تلك العقبات

الكواسر التي لا تتغذى الا بلعوم الطير فانهم قتلوا ذلك

اليهودي المنكود لسلبه ماله وحلوه في صندوق سفر إلى

البحر الذي كان ينتظرم في ميناء المافر فاقطع بهم وبالجثة

والمجوهرات حتى إذا بلغ بهم عرض البحر اخرجوا الجثة من

الصندوق فدفنوها بين الأمواج وعادوا بالجواهر إلى مدير

الشركة فنزع الحجارة الكريمة من الخلى كمي لا تعرف وبعد أن

ثمها وزع بنفسه الحصص على الشركاء فاصاب بيير وتلميذه نصف

مليون فرنك اي اربعين بالمائة حسب الاتفاق .

وقد كان بائع المجوهرات يقيم في منزل بسيط في باريس ولم

يكن عنده احد من الخدم لشدة تجده وحرصه على ثروته وخوفه

من السرقة فكان بواب المنزل يصعد اليه كل يوم وهو فيه

فينظفه حتى إذا اتم ترتيبه ذهب في شأنه واقتل اليهودي الباب

وانصرف وكان من عادته أن يعود إلى منزله كل يوم عند الظهر

وفي المساء فمضى اليوم الأول والثاني دون أن يعود فاضطرب

البواب وذهب إلى قومي سير البوليس في الشارع الذي كان فيه

واخبره باختفاء اليهودي فسأله القومي سير قائلا :

ماذا كان يشتغل هذا الرجل .

- انه تاجر مجوهرات .

- ألم يعلم المستخدمون عنده اين ذهب .

يخرج ولذلك فقد كانت تلك الصبغة المولة صبيحة وكان ذلك المنزل مغارة لصوص وكانت هي عشيقه لص مفاك وهذا المنزل الذي تقيم فيه والرياش الفاخر الذي تمتع به والاموال التي تنفقها انما هي من لص وانها تأكل من فضل الجناية والدم المسفوك .

وعند ذلك رعبت رعباً عظيماً وحسبت نفسها حاملة أو انها اصيبت بالجنون كريبيتها ولكن الجرائد التي كانت بين يديها كانت تثبت لها تلك الحقيقة الهائلة فتعود إلى قراءتها وهي ترجو أن ترى سيلا إلى الشك .

غير أن الحقيقة كانت ظاهرة اتم الظهور بحيث لم يبق عليها الا أن تفكر بما يجب أن تصنعه اذ بات يستحيل عليها أن تقيم يوماً واحداً في هذا البيت أو تنفق درهماً من المال الذي اخذته من ذلك الأثم فكان أول ماخطر لها ذلك الاعلان الذي قرأته منذ ايام فقالت في نفسها :

— لماذا لا اذهب توأ إلى المسبو دافينو فقد يكون الخلاص بهذه المقابلة .

وكانت الساعة قد بلغت العاشرة من الصباح فلبست ثيابها مسرعة وبعد ساعة كانت في باريس تقرق باب دافينو وكيل الاميرال دي فيتراي .

## لقاء غير منتظر

عندما كانت جانيت في منزلها تقرأ تلك الجريدة التي كتفت النقاب عن ذنوب عشيقها كان دافينو وكيل اشغال لكونت دي فيتراي جالساً في مكتبة وقد دخل اليه رجل يدهي باروا وهو المندوب السري الذي انتدبه للبحث عن امرأة بوديت فلما خلا به سأله قائلاً : ما وراءك من الاخبار - لم اوفق بعد إلى اثر جديد سوى أنني لقيت امرأة بوابة بجوار البيت الذي كانت تقيم فيه المجنونة مع البتتين فأخبرتني بأمرها وأنها لقيتها ايضاً .

— تبأ لها من منافقة فانها لم تذكر لي شيئاً من ذلك كي تنال الجائزتين على اني لم اعلم منها إلى اين ذهبت بعد مبارحتهن المنزل ولم التوقف إلى لقاء السائق الذي ذهب يهن لكن لا بد لي من بلوغ الزهن وكل ما علمته أن جميع الذين عرفوا الفتاة متفقون على امتداح جمالها وادبها .

— ماذا عزمتم أن تصنع ؟

— عزمتم على مواصلة البحث ولا بد لي من ايجادها .

— ابحث يا بني ولا تقصر ابحاثك على باريس فقد تكون في الضواحي وبعد فإماذا حدث في امر بائع الالماس ؟

— انه رجل ذبه كان يجمع ثروته كلها في حقيبته فلم تقفل عن عين اللصوص .

— المحسب انه قتل ؟



- ذلك لا ريب فيه عندي ولا شك أن قائله من حذائق  
الصوص . - ألك ما تقوله لي غير هذا ؟  
- كلا سوى انه يجب أن لا تقتصد في سبيل البحث  
عن الفتاة .

- ومتى رأيتني مقتصداً ؟ فهل فرغ منك المال ؟  
- نعم .

- خذ هذه الورقة بألف فرنك ولكني لا أمهلك أكثر  
من اسبوع .  
- سوف ترى يا سيدي ورجائي أن أوفق إلى لغاتها قبل  
هذا الزمن .

ثم تركه وانصرف وبعد انصرافه بلعظة دخل اليه رجل  
آخر وهو صاحبنا بيير لاروش فقال له :

- هل أنت هو يا سيدي المسيو دافينو ؟  
- قال نعم . - اني ايتتك بأنباء همك .

- في أي شأن ؟  
- في شأن اعلان قرأته في الجرائد اتفاقاً .  
- تفضل يا سيدي بالجلوس وقل لي ما تعلمه .  
فجلس بيير وبدأ حديثه فقال :

- اني استاذفتي من كبار الاغنياء اقيم في قصر في شارع  
باسان ولكن ليس هذا الذي ايتت من اجله فانك تبحث يا  
سيدي عن ارملة بوديت .

- هو ذلك .

- لقد عرفت هذه المرأة منذ بضعة أعوام حين كنا نقيم في  
جرساي فقد كان زوج هذه المرأة لا يزال حياً في ذلك العهد  
وكان يبيعنا السمك وتركب قاربه حين نريد التنزه .

وقدمت هذا الرجل قبل أوامره لفرط ادعائه على الحر  
وغادرت امرأته جرساي فعادت إلى فرنسا تصحبها بنتان  
رأيتها مراراً كثيرة وقد عهد إلى الائمة بتربية كبرى هاتين  
البتين واخبرتني بشيء من امرها فتأوت لحكايتها  
وبالاختصار فاتها حين برحت جرساي ذهبت توأ إلى شربووخ  
- هذا اكيد .

- اذن لم اخبرك بنياً جديد .

- كلا فاني اعرف هذه التفاصيل .

- سأخبرك بغيرها فقد قلت لك اني رأيت هذه الفتاة  
مراراً كثيرة وكانت بارعة الجمال وافرة الذكاء بحيث طبع  
رسمها في ذهني ثم توالت الايام والسنون دون أن أراها إلى أن  
قرأت ذلك الاعلان فذكرتها وأسفت لحالها واتفق لي بعد ذلك  
بهنية اني كنت ماراً بركبتي في ضواحي شاتليت فرأيت  
فتاة ابقت اني اعرفها وانني رأيتها مراراً من قبل بل ابقتت  
انها هي بعينها بعد أن اجهدت ذاكرتي وبعدت عنها نحو مائة متر  
فصارلت ان اعود فأدركها ولكن اتفق لسوء الحظ اصطدام  
مركبتين سد الطريق بضع دقائق ففات الاوان ولم  
استطع ادراكها .

وانا كذب عليه هذه الكذبة لأن اجتماع جانيت بأهلها

يحبط مشروعه فاراد أن يحول انظار الباحثين عن المكان الذي  
كانت فيه .

اما دافنيو فقد قال له : هل أنت واثق ايها الاستاذ اني  
كانت بعينها ؟

- كل الثقة - متى كان ذلك ؟

- منذ يومين ولا بد أن تكون مقيمة في ضواحي شالين  
وامها جانيت فلو كنت اعلم ان البحث عنها لخيرها لضمنت ان  
اجدها في مدة اسبوع .

- اتنا نبحت عنها لخيرها ولخير امها .

- الا تزال امها في قيد الحياة ؟

- نعم وهي لم تتجاوز الاربعين ولها جمال نادر .

- لماذا لم تبحت عنها من قبل ؟

- لاسباب خطيرة منعتها عن البحث بالرغم عنها .

- لا شك انها غنية ما زالت قد عهدت إلى ممتلك بيديها

- ربما كانت غنية ولكن سرها لما .

- لقد فهمت فان في حياتها سرا لا يجب افشائه .

احاول الاطلاع على هذا السرف فان كل ما ابيهه خدمة هذه

وقد حاول بيير أن يقف على شيء من سر مولدها بأساليب

دقيقة ولكن دافنيو كان ادق منه .

غير انه علم أن أمها غنية وانها لا تزال في قيد الحياة

عليه الا أن يعرف اسم امها فخدمته الصدفة كما ترى

انه دخل خادم إلى دافنيو وقال له بصوت منخفض .

لقد اتت الكونتس دي فيتراي تصحبها المركيزة سانت  
بيرون فسمع بيير اسم دي فيتراي فنفض مستأذنا بالانصراف  
وهو يقول :

- هذا هو عنواني ياسيدي فاذا احتجت الي في امر فاني  
وهين اشارتك فشكروه رافينو وشيعة إلى الباب وهناك لثي  
امرأتين احدهما عجوز والاخرى صبية وقد دخلتا بمد  
انصرافه إلى غرفة دافنيو فلما رأى جمال الصبية قال في نفسه :  
لا شك انها أم جانيت فهي جبهة كما وصفها وملابسها تدل  
على الثروة .

وكان في الردعة التي مر بها كاتب يكتب على منضدة فدنا  
منه وسأله بلطف قائلا :

- يخال لي ايها الصديق اني عرفت هذه السيدة الحسناء اما

هي الكونتس دي فيتراي ؟

- نعم - امرأة الاميرال ؟

- هي بعينها وهذه العجوز التي تصحبها المركيزة

جانيت ابان .

فشكروه وانصرف ولو بقي دقيقتين ايضاً لرأى زائرة ثالثة

قد دخلت إلى غرفة دافنيو فان جانيت كانت تسير في عطفة

الشارع حين كان بيير يسير في الشارع الذي يقابله فلما قرعت

الباب وسألت البواب عن السيد دافنيو قال لها انه مشغول

الآن فتفضلي ياسيدي بالانتظار .

## الأم وابنتها

كانت مدام دي فيتاري لابسة ملابس السواد وقد أصغر وجهها وتبين التصب في عينيها خلافاً للمركيزة فقد كانت تنظر إلى الأمور نظرة الشيوخ المجربين الذين يحذون بالمصائب الانسانية لكثرة ما رأوه منها .

ولكنها مع ذلك كلت تهتم لأمر الكونتس اعتماداً شديداً حتى انها كانت تزور دافينو في اكثر الأحيان للوقوف على ما اتصل به من الابعاث .

وكان دافينو يحلها اجلا اعظيها ويجب الكونتس حسب المشفق عليها لنكبتها فلما دخلنا اليه قالت له المركيزة .

- لقد جئتك بالكونتس على رجاء أن تطمئنتها فان بأسها قد بلغ اقصى مدهاء وقد اتينا نسألك عما فعلت فانك لم تحبها بشيء منذ ايام .

- ذلك يا سيدتي لاني لم اقف على امر جديد فأخبرك عنه .  
- رباه ما اشد الانتظار ؟

- ولكن لا بد لك من الصبر يا سيدتي .

- أن هذه الكلمة يسهل قولها عليكم انتم الرجال فانكم تشغلون عن اسزائكم باعمالكم ومطامعكم اما نحن النساء فلا شاغل لنا غير هذه الافكار التي تزيد في عذابنا فيجب الاسراع ولا ارى الامر صعباً إلى هذا الحد فان المراد ايجاد فتاة موجودة في باريس .

اما هي فيها ؟

- ذلك لا شك فيه .

- وإذا كان فان باريس ليست متسعة إلى هذا الحد .

- ولكنها ليست صغيرة ايضاً يا سيدتي .

- إلى اين وصلت في البحث ؟

- لقد قربنا واعتدينا إلى اثر .

فقالت له الكونتس : اتعتقد انك تجدها ؟

- دون شك !

- اذن لقد عرفت شيئاً عنها فماذا تصنع اهي فقيرة ؟

- نعم يا سيدتي .

- أتعيش وحدها ؟

- كلا بل هي مع امها .

اريد بذلك يا سيدتي انها مقبلة مع امرأة كان لها بمثابة ام

ومع فتاة تمتعها كاختها .

- من اين عرفت هذه الاخبار ؟

- من مصادر مختلفة .

- كم كنت اود أن اسمع أنا هذه الأقوال عنها .

- صبراً يا سيدتي فاني أرجو أن لا تنضي بضعة ايام حتى

تلقي الخبر اليقين وعند ذلك دخل الخادم وهمس في اذن دافينو

بضم كليات فقالت له المركيزة : ألعلمها زيارة لم تكن تتوقعها ؟

فاشار دافينو برأسه اشارة ايجاب ثم قال للخادم قل لها أن

تدخل وأن من طبع النساء حسب الوقوف على الحوادث فقالت

- لا بد لي من الايضاح كما ارى فاني متصلة بفتاة ...  
بابتها التي ربتها .

- ماذا تدعى هذه الفتاة ؟

- جانيت .

وكانت المتكودة تجيب بلهجة المضطرب لأنها كانت تكره  
الكذب ولم تعودده ولكنها كانت مضطرة كما يظهر إلى أن لا  
تقول كل الحقيقة وكان رافينو ينظر إليها نظرة الفاحص وقد  
رايه لتلجج لسانها وقد فتحت المركيزة باب الغرفة التي كانت  
فيها مع الكونتس دون أن يسمع لفتحها صوت فان اسم جانيت  
تد ون في اذنها وإذن تلك الأم فقطعت انفاسها كي تسمع كل  
ما يقال عن ابنتها !

اما دافينو فانه سأل الفتاة قائلاً : ماذا تعرفين عنها ؟

- إذا كنتم تريدون لها الخير في هذه الأبحاث فاني اجتهد  
أن اراها واخبرها .

- إذن لماذا نبحت عنها يا ابنتي فهل تعلمين أين تقع ؟

- لقد قلت لك اني استطيع أن اعلم .

- كيف حالها وحال من يقم معها ؟

- لقد لغيت من الشقاء ما لم يلقه بشر فان جانيت كان  
عليها وحدها أن تعول أرمة بوديت التي ربتها مع ابنتها فاقامت  
في باريس ثمانية عشر شهراً لم تستطيع في خلالها أن تكسب  
لأنها لم تستطيع الاستخدام في المنازل لاضطرارها إلى الاعتناء  
بالمعوز وابنتها الصغيرة .

المركيزة له: اننا سنتظفر في هذه الغرفة بجوارك إلى أن تفرغ من  
شانك مع هذه الفتاة إذ لي ما اقله لك ايضاً .

فابتسم دافينو ولم تكدم المرآة تحتجبان حتى دخلت الفتاة  
فدهش دافينو لما رآه من جمالها فقد زادها جمالا ذلك للثوب  
الاسود التي كانت تلبسه كأنها تريد الاقتداء بماها

ويعد أن قدم لها كرسياً وعمن هنيئة بوجهها الصبوح قال  
لها : ماذا تريدين يا ابنتي أن تقولي لي ؟

- اني ابيت بشأن أرمة بوديت .

- الملك تعرفينها ؟

- رباه .. نعم .. حق العرفان .

- ربما كنت مقيمة معها .

- كلا .. ليس الآن ... فقد كنت مقيمة بقرها مدة ..  
في منزل واحد .

- اكان ذلك من عهد بعيد ؟

- منذ بضعة أشهر .

- والآن ... - انها غيرت محل اقامتها ؟

- الا تزالين ترينها . - ولكن ...

- اترفين عنوانها ؟

- كلا ... ولكنني استطيع أن أعرفه . إذا كان ذلك  
واجباً فقد كانت تقع في فندق منذ بضعة اسابيع بعد أن اقامت في  
اقبح شوارع مونتارتر .

- كيف عرفت ذلك ؟

- ولكن هذه العجوز ليست امها والفتاة ليست اختها .  
- أن ام الولد الحقيقية يا سيدي هي التي تربيته فان بيرين  
بوديت هي التي ربى صديقتي جانيت فكانت لها خيراً من ام  
وكانت جانيت من ابر الناس بها فاذا اصابته رغباً اقتسمته مع  
العجوز واينتها وذلك انها لم تعرف عائلة غير هذه العائلة .  
اما عائلتها الحقيقية فانها لا تعرفها وهي قد تصفح عنها  
لتخليها عنها ولكنها لا تحبها .  
- اذن أن صديقتك تكره امها الحقيقية .

- لقد لغيت جانيت شقاء كثيراً كما قلت لك وهي تتعذب  
الآن عذاباً شديداً تمجج معه كيف انها لا تزال على صوابها فهي  
حين كانت تفكر بأماها كانت تحمك عليها حكماً صارماً وتمدها  
من غير قلب فاذا كانت امها موجودة فغير لكم أن لا  
تكلوها عنها .

وكانت تتكلم بلهجة تدل على تأثير شديد بحيث خامر  
دافينو الشك بل بات وثاقاً أن هذه الفتاة هي نفس التي يبحث  
عنها لا سيما وقد رأها تشبه الكونتس دي فيراي بعض الشبه  
بالبنيين ولون البشرة والقامة والشعر فقال لها :

- اصفي الي يا اينتي فانك هنا مع رجل صديق لأمك .  
وقد علمت أن أم هذه الفتاة التي تبحث عنها كانت معذورة  
وهذه هي حكايتها بضع كلمات فانها زوجة رجل شهير شديد  
الحرص على شرائع الشرف .  
- اني لست تلك الفتاة بل اني صديقتها .

- ليكن ما تريدن فان هذه الفتاة ولدت بهفوة من امها  
فهاج غضب الزوج حين عرف بهذه المذلة ولكنه علم بمد ذلك  
أن امك ...

- ليست هي امي يا سيدي .  
- ليكن فان هذه الام الكونتس لم تسقط تلك السقطة الا  
بعد حوادث شديدة قضت عليها بتلك الهفوة فمرف الكونت  
عندها ومرت به السنون فطلقت حده ثم ندم على اخفاء البنت  
عن امها وعد نفسه ظالماً فاراد اصلاح خطائه ولذلك فانهم  
يستقبلونك بلاء الترحاب .. اريد انهم سيستقبلون صديقتك  
فلتخض وتظهر نفسها وانا اخمن لها المستقبل الزاهر فان اهلها  
من كبار الاغنياء وزوج امها من أشهر الرجال .  
- ولكنك قلت يا سيدي انه شديد التمسك  
بشرائع الشرف .

- هو ذاك غير أن سر هذه الولادة بقي مكتوماً عن جميع  
الناس فلم يعلم به غير الزوجين وبعض الاقرباء المخلصين بحيث  
بات اسم الكونت وزوجته سالماً من كل وحمة !  
فكانت المنكودة تصفي اليه ويقع كلامه على قلبها وقوع  
لغراض الذائب فقد هالها شرف هذا الكونت الخطير فقالت  
له بصوت يرتجف : وإذا كانت هذه الفتاة لم تمد جذيرة بأهلها  
- لماذا ؟

- لانها قد يكون دفعها الشقاء كما يدفع سواها من  
البائسات إلى تلك الهوة الشائنة فكيف يكون مقامها بين قوم

يحرصون على شرف العائلات ثم عقبته على كلامها بلهجة  
التهكم فقالت :

- وإذا كانت وجدت نفسها لقيطة شريفة لا نصير لها بل  
ليس لها ما تأكل فالتحنت لها عشيقاً وباعت نفسها ببيع السلع  
- أن تسامح الأمهات وحزوهن لا حده .

- اصغ الي جيداً يا سيدي فان هذا العشيقي قد يكون  
ايضاً بلغ اسفل درجات المجتمع الانساني وكان من كبار الهرمين  
- لتفرض امكان حدوثه فاذا كان فكيف يرضى هذا  
الكونت الشريف أن تقم هذه الفتاة الموصومة بتل هذا العار في  
منزله أيمسر أن يد لها يده بصدقة يتصدق بها عليها ومها بلغ  
من شرفه وجاهه أستطيع انفاذ تلك الفتاة من تلك الهوة التي  
لقاها فيها بانتقامه ؟

فاضطرب دافينو لما رآه من تأثير الفتاة وقال ، أبلغ بها  
الشفاء إلى هذا الحد ؟

- ربما ؟ - ومع ذلك لا يجب القنوط .

- فنهضت جانيت وقالت :

- اذن سأخبر صديقتي بما سمعته منك .

- اتعديني بذلك ؟

- نعم وهي ستتحذ بعد أن تتمن ما يجب أن تتخذه من  
الوسائل فقد صبروا طويلا على رحتها بعد ذلك العظم وإذا كانوا  
يتعذبون لفراقها فما هذا المذاب غير عقاب لهم من الله . والان  
استودعك الله يا سيدي لما سمعته من اقوالك ولو سمعت هذا

للؤل منذ بضعة أيام لكنت سعيدة بساعه اما اليوم فهو يقتلني  
وقد اختنق صوتها ولم تمد تستطيع الكلام فانصرفت حتى  
إذا وصلت إلى الباب خرجت امها من الغرفة التي كانت فيها  
وهي شبه والهة ففتحت ذراعها وناقتها قائلة .  
- جانيت ؟

فالتفت جانيت وقد اضطربت اضطراباً شديداً حين رأت  
هذه المرأة تدعوها اليها بجلء جوارحها فترددت هنيهة ثم عادت  
لها عزيزتها فقالت :

- من أنت يا سيدي فاني لا أعرفك .

- أنا الكونتس بلانش دي فيتراي .

- لم اسمع هذا الاسم قبل الآن .

وقد كانت كاذبة فان المجنونة طلالا رددت امامها  
اسم فيتراي .

اما الكونتس فانها قالت لها بصوت يتهدج .

- اني امك يا جانيت .

- ولكنك عظمتة يا سيدي فما أنا الا صديقة التي  
لذكريتها ورقيقتها في أيام شقاها واختها في مصائبها  
وشغلها وسأخبرها بكل ما سمعته ورأيتة وانا لا اعلم إذا كنت  
ارضاها في مستقبل الأيام بل يقيني انك لن ترينها فانها تعتبر  
نفسها غير خليفة بأمر مثلك .

ثم تركتها وانصرفت مسرعة دون أن تلتفت اليها فصاحت  
الأم .... جانيت وسقطت على الأرض منمياً عليها .

فما استفاقت من اغماها يمشوا عن جانبتي فلم يجدوها فانها  
اسرعت بالخروج فركبت اول مركبة لقيتها وذهبت إلى المحطة  
والياس ملء قلبها اند عرفت الآن أن امها الكونتس دي  
فيتراي زوجة الاميرال دي فيتراي اشهر رجال فرنسا في  
ذلك العهد :

في حين انها هي لم تكن الا تلك الشقية المتكودة عشيقا  
ذلك اللص الاثم لماذا تصنع ؟ الا انها لم تفكر بشيء بل قالت  
انه سيورني هذه اللبنة فاقرر امري .

### الاعتراف

وذهبت المتكودة إلى المنزل وهي تكاد تجن من ياسها  
ولقول باكية بحرقه الثناطين: ماذا لو عرفتني امي قبل سقوطي .  
وكم كان مقدار سروري لو عرفتها من قبل اما الآن فقد  
ياست منها ..

ويا ويح نفسي من هذا البضخ العار فان هذه الام لم تبحث  
عني الا بعد أن سقطت في مهاوي النذل .

اني دافعت عن نفسي اعواماً وتجرت ككوس الشقاء مراراً  
واحتملت ما لا يحتمله انسان إلى أن اصابني القدر بهذا الضعف  
وقضي الامر .

نعم أن هذه الذلة ستكون امنح حاجز بيني وبين هذا  
الكونت الشريف وأنا الآن انتظر هذا الرجل الأثم الذي

لغاتي الشقاء وتكد الحظ بين يديه .

ولم تكن قد رأت جان منذ ثلاثة ايام فلما بلغت الساعة  
الحادية عشرة وهي جالسة في غرفتها تبكي بكاء الاطفال سمعت  
صوت مركبة عشيقها فاصفر وجهها حتى بات كالاموات ثم دخل  
إلى الغرفة .

فقامت اليه فأخذت بيده ودخلت به إلى غرفتها فاقتلت  
الباب وقالت له :

تمال فاني اريد أن اكلك فاجلس يجاني ولتحدث .  
وكانت علائم الاضطراب الشديد باقية عليها فباله امرها  
وقال ماذا حدث ؟

- تسألني عما حدث وانت تعلم .

- من اين لي أن أعلم .

- ان سألوك فهل أنت قادم من قصرك في شنساى ؟

- هو ذاك ؟ - أكان عندك حقة ؟

- كلا بل كان عندي بعض اصدقاء دعوتهم إلى العشاء

- أنه قصر جيل دون شك يشبه قصرك في باريس .

- ماذا تعنين بذلك ؟

- لا اعني به شيئاً سوى انه يثبت انك من الاغنياء فان لك  
قصرأ في باريس وقصرأ في الحلاء وخليقة تنفق عليها .

فابتسم جان وقال ، إلى اين تريد ان تصلي ؟

- إلى هذا الحد وهو أنك غني .

- نعم أي من الاغنياء .

- ولكنك لم تخبرني بعد من أين أتيت بهذه الثروة .  
إذا كنت تريد أن تقضي في مواقف القضاة فسلي لبيك  
ولكن هذا التحقيق يطول .

- أرجوك أن لا تمزح .  
لأن قلبي لا يتسع للمزاح .

- إذن مري بما تشائين لماذا تريدني ؟  
- أتذكر بعد التقائنا يوم دفعني الشقاء إلى زيارتك في  
قصرك في باريس .  
- لماذا تذكرين الشقاء ؟  
- صبراً .. فانك قلت لي يومئذ أنت سيئاتك يكتنفها  
سر من الأسرار .  
- وقد وعدتني انك تبوح لي بهذا السر .  
- هو ذاك .

- إذن فأعلم أن وقت الاعتراف قد حان وأنا أريد أن  
أعرف سرّك .

فقطب حاجبيه وقال : تريدني ؟

- نعم أريد الأيق لي على الأقل أن أعرف اسم الذي  
وهبته نفسي ومن أين تأتيني هذه النقود التي انفقها لم تقبل لي  
مراراً أن الأقدار قد وصلت بين حطينا .

فابتسم ابتسام المشكك وقال لها :

- هو ذاك فإنا لا نفرق ولا تكونين لسواي وأنا في  
قيد الحياة .

- أنها كلمات معقولة بلت مبتذلة فدعها الآن وقل لي

كيف دعيت جان رودريكوس ؟

- التصرين على معرفة ذلك ؟

- كل الأصرار .  
- لماذا ؟

- لا سكن اضطرابي وآمن من مخاوفي فإني منذ أيام لا أهتم

- ما هذا الشأن الخطير ؟

- إنه أشد خطورة مما تظن .

- وإذا أبيت أن أجيبك ؟

فغيرت لمجبتها واجابته بمنف قائلة :

- إذن اشترك أنا بما اعلم ومتى عرفت ذلك باتت مخاوفك

أشد من مخاوفي .

فصدق بها محدداً طويلاً كأنه يريد النظر إلى اعماق قلبها

وقال لها : قولي ما تعلمين ثم أرى إذا كان يجب أن أجيبك .

فعدتت به هي أيضاً وقالت له :

- أنك لست جان رودريكوس فقد سرقت هذا الاسم

ولم تأتلك هذه الثروة من احد المحسنين بل أنك تدعى جان

موريس كما كنت تدعى من قبل في شربورغ .

- اخفضي صوتك .

- والذي اعلمه أيضاً أن رجلاً دخل إلى منزلك في باريس

ولم يخرج منه حياً .  
- اسكتي .

- وأنت قتلت هذا الرجل بمباراة شركاه .

فأصفر وجهه وقال لها بلهجة التوعد : احذري .

- وبما عساي أخاف الملك تقتلني كما قتلته فانك تخدميني



بذلك اجل خدمة وقد اشتدني الشقاء حتى بات الموت في جانبه  
رحمة اتناها .

نعم اني كنت اتقى الموت من قبل أما الآن فقد بات رحمة  
بعد أن اصبحت خلية لص سفاك اثم .

فوقف جان جامداً مبهوثاً لا يجيب فنظرت اليه نظرة  
كثيرة وقالت :

- رياه انه لا يدافع عن نفسه بكلمة ولا يعارضني بحرف  
اذن انا غير عظيمة وهو قد أحسن اذ اية فائدة من الكذب .

ثم سقطت على كرسي خائفة للثوى وقالت :

- نعم اني سقطت إلى اسفل الحضيض ولم ابلغ في يوم في  
ايام شغاني ما بلغته الآن من اليأس ... رياه ابي ذنب جنيته ..

رياه اني بشر وهذا فوق احتمال البشر .  
فدنا منها جان وقال لها برفق ..

- جانيت .

فاجابته بمنف فائقة : - ماذا تريد ؟

- انك سألتني أن اقول الحقيقة وسأقولها لك .  
بجعلتها ؟

- نعم بجعلتها فإن قد أكون من أشد الاشقياء ولكني  
لا استمل أن أكون حقيراً في عينيك ، نعم اني ادعى جان

موريس وانا شبه ليطبق فان ابي انكرني وانا لا أعلم شيئاً عنه  
لقد يكون غنياً وقد يكون من الفقراء وهو الذي اغرى امي

وكانت ممتة في احد المنازل فلما تمكن من اغوائها وعلم أنها

حلت بي طردها فولدتني وانتحرت لياسها وليس لي من العمر  
غير ستة أشهر .

وقد كفلني رجل من اهل الحقد كان فقيراً ممدماً يكره  
الوجود واهله فدبرني على كره الاغنياء وعلى الحسد وعودني

على الاسراف وعلني أن المال هو كل شيء . وغاية كل حي .  
ولكنه علني العلوم والفنات فكنت في بدء عهدي صالح

السيرة حسن القطرة وكنت اشتغل في شربورغ براتب قدره  
مائة فرنك كل شهر .

وهو راتب يسير بالقياس إلى علومي فان الكناس يكسب  
فوق هذا المقدار .

وفي ذلك الحين رأيتك واقسم بالله اني كنت اريد أن اعيش  
عيشاً شريفاً مما تكسبه يداي وأن اعيش واياك ما حينئذ فأكون

لك خير قرين .

وهنا بدأ دور أستاذي وقد كان في ذلك المهدي اندرا فأكرهني  
على الذهاب اليه وكان قد اتصل بجماعة من اصحاب الملايين لم

يكسبوا ملايينهم الا بطرق الخداع والضلال وكانوا كأنهم فوق  
الشرع لشدة خداعهم وعلو مقامهم إذ كانوا يدبرون الاعمال

بشكل خفي دون أن ينموسوا فيها فلمتصل يد القضاء اليهم بالرغم  
عن جرائمهم .

فأدخلني أستاذي في سلك هذه العصابة وارسلوني إلى البلاد  
الاميركية في مهمة خاصة بصحبي ذلك الأستاذ الذي كان يمبت

بضميري لاتمام اغراضه . فلما قضينا المهمة ذهبنا إلى

ورليان الجديدة بصحبنا فتي من الاغنياء كان معه مائة  
الف دولار .

حتى إذا بلغنا إلى مكان معتزل خاصني لخلاف حدث بيننا  
فتبارزنا وتركته هناك قتيلاً .  
- أفتنته ببارزة قانونية !

فأطرق برأسه وقال : كلا فقد وعدتك أن أقول الحقيقة .  
- أيها الشقي ماذا فعلت ؟

- اتنا كنا نطلب الثروة وقد عرضت لنا وكان هذا الفتى  
يدعى جان رودريكوس فقتلته ودفنته في تلك الأرض المقفرة  
وكان لون شعره يشبه لون شعري وله من العمر مالي وجميع  
أوراقه وماله في جيوبه لانه كان عازماً على الهجرة إلى فرنسا ولم  
يكن له أهل فأكرهني استاذي على أن اتسمى باسمه فاختأنا المال  
والأوراق وعدنا إلى لندن وإنا ادعى جان رودريكوس .

وهنا قامرت بمصني على رجاء المزيد مسن الكسب بنية  
الخلاص من قيود هذه العصابة ولكنني خسرت كل ما كان معي  
وعدت إلى الأذعان لامر العصابة .

وما نحن الآن في باريس غير آلة لتنفيذ اغراضها فهي تأمر  
ولمحن نمتثل ولا خوف علينا فانهم يعموتنا .

- إذن هم الذين قضاوا على ذلك الرجل ؟

- اي رجل !

- صموئيل روزن .

- التعرفين اسمه وكيف عرفته ؟

- قرأته في إحدى الجرائد .

- نعم أن العصابة قضت عليه .

- ماذا جرى له ؟ - ماذا همك ؟

- أريد أن اعلم . - انه مات .

- أقتلته أيضاً !

- كلا ، اذ يكفيني قتل رجل بريء .

- من الذي قتله ؟

- أحد رجال العصابة .

- اذن قتلتموه بنية سلبه .

- هو ذاك .

وستقبض حصتك من السلب ؟

- ربما .

فأطرقت جانيت مفكرة وقال لها : اهذا كل ما تريد  
أن تسأليني عنه ؟ - نعم .

- اذن لقد جاء دوري فلا بد لي بعد أن اظهرت ذنوبي أن  
اظهر عندي فاعلمي اني قتلت هذا الفتى الأميركي ولكنه اهاتفني  
فوجب قتله لأن اخلاق القوم هناك غير هنا وقد اخذت ماله  
ولكنني لو تركته في جيبه وهو ميت لأخذته سواي وتسميت  
باسمه لانني مضطر اليه .

- لماذا !

- لانه اسم عاتلي وهو خير من اسمي الدال على اني  
من القطاء .

- ولكن بماذا تعتذر عن قتل روزن وسرقته ؟  
- لست انا الذي امرت به وإذا كنت تركتهم يقتلونه فربما كان ذلك من اجلك .

- من اجلي انا ؟

- نعم فاني لم يكن باقيا لدي شي من المال حين لقيتك بتلك الحالة فكان كل شيء ان يكون لي مال لاجعلك به سعيدة فاني احببتك في شربورغ وهو الحب الأول الذي برسخ في القلوب مدى الحياة فكان خيالك لا يبرح ناظري ابن كنت ولم اكن احلم الا بالثروة وبعد أن لقيتك كمي اخلص من قيود العصابة واعيش واياك سعيدين .

وقد ارسلت لينا الاقدار ملايين هذا اليهودي ففتمناها وسأخلصها من اسري ولا خوف علي من الانفضاح فليس بيننا من يشي برفيقه وهو شريكه في الجريمة وبعد فان الحياة جهاد لا يفوز بها غير القوي وهذه الطبيعة فانها تسيء إلى بنينا اكثر مما يسيء المرء إلى اخيه بهذه الانسانية فهذه العواصف والبحار والحروب والنار لا تشفق على الناس فكيف اشفق انا عليهم العنل ابي اشفق علي وانا من دمه وقطعة منه ا بلى هذا أنت فقد تخلفت عنك امك وتبذك ابوك والتستت الاعمال فلم تجدها وعطت يقينا انك لا تتالين قطعة خبز من هؤلاء الناس الا يبيع النفس فهل تلوميني إذا اشتريت سعادتك بجريرة ؟

فاطرقت جانيت مفكرة ولم تجب وكانت الحدة قد بلغت منه وهو يمترف بذنوبه فقبض على ذراعها وهزم وهو يقول

- ما بالك لا تجيبين ا

قالت ، لا أعلم ... لا أعلم ...

- اتضعفين إلى هذا الحد فترضين بشقائقك دون مقاومة ، اني لست ببعبان فاني امشي إلى الثروة امشي الفاتحين إلى الحروب الذين يقتلون الناس ويفنمون البلاد بحجة أن الحق للعودة وانما غير آسف لما بدر مني لأني نجحت وانكنتي لو لم النجح لماذا كان مصيرك ؟

- كان يساعدي الله

فهز كتفيه وقال : وأنا فعلت ما قدر لي .

- انك تكفر .

- لا احب الكفر ولكن الله قدر لي ما كان ولو اراد لي الخير لما وقعت في شرك هذه العصابة الهائلة ونعم اني لص سفاك كاتقولين ولكن هذا الذنب الاخير لم يكن من اجل سعادتك فاننا لا يمكننا أن نعيش بدونك وانت التي سترشديني إلى مناهج الصواب ! ...

وقد حاول أن يضمها إلى صدره فدفعته عنها وقالت له ماذا تقول !

قال : اقول انك ستكونين ملاكي الذي يدينني إلى الصراط المستقيم فاكون جديراً بعجبك الشريف وانني اود أن أخسر نصف حياتي في سبيل نسيان الماضي .

- اتقول الحقيقة يا جان !

- واية فائدة لي من الكذب فاني منذ لقيتك لا يحطرن لي  
الا ان اسافر بك إلى محل بعد نميش فيه آمنين هاتين ويشهد  
الله اني حين رأيتك وددت لو كنت فقيراً شريفاً كما كنت في  
شرووخ ولكن قدمي كانت قد زلت ولا يسمى خيانة  
اخواني وأنت عندي خير من كنوز الارض .

- أنت صادق في ما تقول !

- اقسام بالله !

- اذن برهن لي على صدقك .

- كيف تريد ان يكون البرهان !

- يكون بأن تدع هذا المال ، مال الجريعة ، لشركتك  
فيها فاني بعد بضعة ايام سأكون وحدي مع اخي فقد اثبت لي  
الطبيب أن مريتي المسكينة لم يبق لها غير ايام معدودة وانك  
مها كنت فلا تزال مقيا في قلبي فاصغ الي يا جان اني واباك في  
مقبل الشباب فللشتغل ولتمش عيشاً شريفاً ولنسافر إلى اقصى  
بلاد المعمورة إذا شئت فاني اتبعك إلى حيث تريد بهذا الشرط  
فتظر اليها نظرة اشفاق وقال :

- ألم يكفك ما لقيته من الشقاء ام تحسبن أن الشقاء هو  
خارج باريس !

- جان انك تعلم يقيناً اني اسبك كما تحبني ولكن هذه  
الثروة الاليمية تروعي فدعها لسواك ولا تأخذ منها غير ما  
تحتاج اليه لنصل إلى بلد نشغل فيه كما يشغل جميع الناس فاذا

رضيت بذلك كنت لك اتبع من ظلك ولا اذكر لك كلمة عن  
الماضي وقد وهبتك نفسي فلا استرد ما وهبت بل اكون لك  
شريكة في السراء وخير مؤنسة في الضراء .. جان انك لا  
توافقني على ما اقول ليس كذلك !

- ما هذا الجنون .

- ليس ما ا قوله جنوناً بل هو هناه المستقبل فاننا نشغل  
وتعاون ونعيش عيش الشرفاء واكون مع اخي شبه ملاكين  
بحرمانك ... قل يا جان .. قل انك رضيت ! ...

- حسناً لقد رضيت ولكتك لو خبرت العالم حق الاختبار  
لملت أن من حق القوي أن يسود فان الحق للقوة .  
- دع العالم الآن والاختبار ولا تصغ الا لصوت الضمير  
اي الفرق بين الخير والضلal ! ...  
- إذا كان هذا امرك ...

- لا أمرك بشيء فانت حر طليق ولكتك اتفقتي مرة  
من الشقاء فوجب علي أن اتفدك من العار ولك الخير في أن  
تدهني وتأخذ هذا الذهب الذي اعطيتني اياه فان منظره  
يروعي ولمه يحرق اصابعي فاستصرك بالله وكفى بالله نصيراً  
- أأنا افارئك !

- هل تحبني حقيقة يا جان !

- كيف تسأليني هذا السؤال !

- اذن عدني وعداً . - ما هو !

- هو أن تمازل هذه العصاة .

- سأفعل .

- وأن تكون شريفاً في مستقبل الأيام .

- سأكون .

- وإذا صدقت كنت وياك على ما نشاء .

- هذا كل ما اقتناه !...

- وإذا شئت كنت حليتك أو خيلتك ولكن على أن لا

تحب سواي .

- لا يتسع قلبي لحب سواك . - المحبني دائماً

- إلى الأبد . ألم أقل لك أنني اضحي الدنيا في سبيلك

- اذن نسافر ! .

- بعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع الى أن أفرغ من اشغالي

- وفوق ذلك انك لا تستطيعين الآن مفارقة مربيتك .

- هذا أكيد .

- اذن لا بد من الانتظار .

- ولكنني اغشى أن يكون الخطر محققاً بك .

- لا خوف علي ..

- وسنختار بسلاماً بعيداً ننسى فيه جميع الناس

ونعيش هانئين .

فاجابها بدمعة وعقدا الصلح وعند افتراقهما جدد الوعد

فاشترطت عليه الوفاء واشترط عليها كتمان سر سفرهما عن

الجميع وعن استاذة على الاخص .

وبعد انصرافه اطرقت مفكرة وهي تقول .

- اني اريد تصديقه ولكن الشك لا يزال يخامر قلبي .

اما هو فانه كان يسير في مركبته ويقول :

- اني احبها وساحملها غنية بالرغم عنها وامائر بها الى

اقصى البلاد وإذا كانت قد ساعدتها الصدف على معرفة سر بائع

الأماس فهي لا تساعدنا على معرفة سر الزواج وأمل أن

أستطيع تحقيق كل آمالي .

جمع الشمل وحرز سري

واقامت جانبيت في منزلها وهي ممذبة اشد المذاب لأنها لم تكن واثقة من صدق عشيقها وكان صوت امها لا يزال يرن في اذنها فتشقق عليها اشد الاشفاق ولكنها ايقنت انها لن راعا بعد الآن لأنها علت من نفسها انها لا تجسر على لغائها والاعتراف لها بذلك وفوق ذلك فقد كانت تحب جان اصدق حب وقد وعدما بان يرجع عن غيه القديم .

وكانت مريبتها قد ضعفت ضعفا عظيما والطبيب يزورها في كل يوم ولا يصف لها دواء اذ لم يبق فائدة من الادوية .  
ثم ان بيير لاروش يرسل اليها في كل يوم رسالة مبهمة بشأن البعث عن عائلتها وكل يوم يملأها بوعود ولا غرض له من ذلك الا التسويق وابمادها عن باريس إلى أن يتم عقد الزواج حتى اقضى بها الأمر إلى الشك به ايضا فكان هذا الربيب الجديد عذابا شديدا يضاف إلى عذابها .

ففي احد الأيام بينما كانت يجانب مريبتها سمعت صوت مركبة وقفت عند باب المنزل ثم رأت رجلين خرجا منها ودخلا إلى المنزل وكانا جان واستاذة بيير لاروش فذعرت جانبيت حين

رأت هذا الرجل لأنه هو الذي اضل عشيقها واهسد اخلاقه . وكانت هذه أول مرة يزورها فاشد ينظر إلى المنزل ورياشه ويظهر اعجاباه من حسن اتقانه ثم قال لها بعد الاحاديث المألوفة اني اراك متقبضة الصدر أليس كذلك ؟  
قالت : هو ذاك .

- لقد اخبرني جان باشدداد علة مريبتك ولا بد أن يكون اتقباضك لهذا السبب ولكن اصدقيني الخبر يا ابنتي أليس لزنك سبب غير هذا !

وقد نظر اليها محمدا كأنه يريد أن يكشف شيئا قلبها فقالت جانبيت في نفسها : لا شك انه يريد أن يعلم إذا كنت عارفة بسر العصابة ولكنها كانت مخطئة فانه كان يريد أن يعلم إذا كانت قد وصل اليها خبر الزواج فان كل من يحب يغاز ولا يعلم غير الله ما يقدم عليه صاحب النيرة .

ولكنه اطمان إذ أيقن انها لا تعرف شيئا من امر هذا الزواج وعند ذلك خرج جان لتتفقد المريضة فاغتم بيير هذه الفرصة وقال لها :  
أوصالك رسالتي !

- نعم .

- اني قابلت المسيو دافينو وهو من المصادق الحيين الذين لا يسهل استطلاع اسرارهم ومع ذلك فقد تكنت من أن اقف منه على بعض التفاصيل .

- كيف ذلك !

- ذلك انك كنت مصيبة بما ظننته من انهم يبحثون عنك

فلم يظهر على الفتاة شيء من علامت السرور أو الارتياح  
فصعب بير منها وقال لها : ألا يسرك أن تهدي إلى امك !  
- سأفقد الأم التي ما عرفت سواها .

- ولكن امك الحقيقية في قيد الحياة وهي تنوب عنها فان  
سر مولدك قد الجمل بمض الجلاء فان امك غنية ومن اصحاب  
القامات المالية الم يعرف جان شيئاً من حكايتك !  
- كلا .  
- ألم تخبريه بشيء !

- كلا فانك منمتني عن اخباره  
- انه سيدهش دهشاً عظيماً .

- متى !

- حين تخبره بهذا التفسير الذي لم يكن يتوقمه .  
- اتعتقد هذا الاعتقاد !

- دون شك فانه سيفرح فرحاً عظيماً فلا تخبره بشيء الا  
حين النهاية .

- كما تريد فان الموت في منزلي الان فكيف انكر بغير  
هذه للريضة المزيزة .

وعند ذلك حضر جان فتأبط ذراعها وخرج بها إلى الحديقة  
يتبعها بير مقصراً عنها لاشتماله بفحص الازهار فقال لها ، لقد  
اخبرتني امرأة البستاني بكل ما قاله الطبيب فقد قال انه لم  
يبق رجاء وستكونين حرة بعد بضعة ايام .

- وأسفاه !

- وانا كذلك أكون قد انهيت اشغالي فانسافر .

- كما تريد .  
- اما الآن فاني مضطر إلى فراقك  
- إلى اين أنت ذاهب

- إلى باريس وثقي أيتها الحبيبة اننا سنكون بميدين عنها  
في وقت قريب ولدي كثير من الشؤون في انتظار ذلك لا بد  
لي من اقامها فلا تبالي بكل ما تسمعين عني فلا اهتم الا بك  
وبمتبلك وكل ذلك يتم في ثلاثة أو اربعة ايام .  
- الا اراك في خلالها !

- كلا .

فاطرقت مفكرة ثم قالت بعد سكوت قصير : واذا  
حدثت نكبة !

- أية نكبة تتوقعين !

- موت مريستي .

فقطب حاجبيه وقال : أن الطبيب قد يكون منخدعاً  
ومع ذلك فاذا صدق ظنه فابشي إلى رسولا او كتاباً أو رسالة  
او برقية .

- إلى قصرك في باريس ! - نعم !

وقد اقام معها برهة ثم ودعها وانصرف مع استاذة فمادب  
إلى غرفتها وهي تقول :

- لماذا يخامرني الشك بهذين الرجلين واية فائدة لها  
من خديمتي .

## حفلة العقد

تأملت الأنوار وزينت الأبواب بالرياحين واصطفت  
المركبات خطأ طويلا عند باب قصر موريس كولباي واشرايت  
الاعتناق من نوافذ الجيران لتتفرج على زوار هذا القصر الذي  
ضخت قاعاته بالمدهون إلى حفلة عقد قران جان رودريكوس  
على ماري كولباي وقد توافد إلى هذه الحفلة جميع معارف هذه  
الأسرة ما خلا فرنند كولباي ابن عم ماري فإنه لم يكن قد  
عاد من رحلته .

وكان في جملة الذين حضروها الاميرال دي فيتراي وامرأته  
فقد اتيا متأخرين ولما أعلن قدومها أسرع موريس كولباي  
إلى استقبال صديقه القديم فقال له :

- اشكرك ايها الصديق لهذه الزيارة فمن اين اتيت ؟  
- من طولون وقد وصلت الآن .

وبعد محادثة قصيرة اختلطوا بالناس والتفت المركبة  
بالاميرال ودار الحديث بينها عن جانبيت فقال لها الاميرال :  
لقد بت الآن وثاقا من ايجادها .

قالت : كيف ذلك العمل المسبو رافينو وجد اثرها ؟  
- كلا فإنه لم يتد بعد إلى السائق الذي قاد النسوة الثلاث  
- إذن من اين جاءت هذه الثقة ؟  
- لقد وردتني وانا في طولون هذه الرسالة السرية  
ثم اعطاها الرسالة فقرات فيها ما يأتي .

إذا اراد الاميرال دي فيتراي أن يأتي إلى منزل موريس  
كولباي لجة كتابة شروط زواج ابنته يأتيه رجل فيكشف له  
ذلك السر الذي يبحث عنه مقابل خدمة يدأله اياها .

فقال له المركبة ، متى سافرت ؟

- حين وصلتني هذه الرسالة .

- وأنت الآن تبحث عن هذا الرجل ؟

- كلا فاني لا أعرفه ولكني انتظره .

ولم يكذب بتم جلته حتى جاء رجل كهل وقال له ، هل أنا  
بحضرة الاميرال دي فيتراي يا سيدي ؟

قال : انا هو .

- اريد يا سيدي أن تأذن لي بمقابلتك ؟

- دون شك فما أتيت الا لهذا .

- وعند ذلك استأذن من المركبة وذهب بالرجل إلى مكان  
معتزل وكان الرجل يبصر لاروش ...!

وهنا سأله ببير قائلا : هل وردتك رسالة برقية في طولون  
قال : نعم .

- انا الذي ارسلتها اليك .

- ما كان قصدك من ارسالها ؟

- أن ابدلك خدمة بمخدمة .

- تفضل بالابضاح .

- انك تبحث عن فتاة ؟

- لاني عهدت إلى المسبو دافينو أن يبحث عن عجوز ارملة



من بلادي .

- وهذه المعجوز تدعى ارملة بوديت ؟

- لقد عرفت ذلك من الجرائد .

- هو ذاك ، ولكنك لا تبحث عن هذه المعجوز الا على

رجاء ايجاد فتاة عهد بها اليها من عهد بعيد .

- كيف عرفت ؟

- هو ذاك ، فالى اين تريد ان تصل ؟

- إلى مبادلة الخدمة التي ذكرتها لك .

- ما هي ؟

- سوف تعلمها يا سيدي ولكنني ابدأ فأقول اني لا اطلب

مالا فقد يمكن ان يكون خطر لك ان مرسل هذه الرسالة يريد

مالا مقابل كشف هذا السر .

- هذه هي الحقيقة فقد خطر لي هذا الخاطر واني مستعد

لدفع المال .

- لقد اخطأت فراستك يا سيدي ، فما انا من يرتقون من

هذا الباب .

- إذن .

- أن حالتنا تكاد تكون واحدة .

- أنت وانا أهذا يمكن .

- سوف تعلم فانك تبحث عن فتاة ضحيت لسبب ليس من

شأنى البحث عنه وانا ايضاً اعرف غلاماً دفعت الكبرياء وحسب

الذات اياه إلى التخلي عنه وهو في المهدي وأنا أريد أن اخبر هذا

الفتى باسم ابيه .

- لأية غاية ؟

- لغاية لا احب اظهارها وربما كانت غاية انسانية .

- إذن لا أتداخل في هذا الشأن .

- أنت حر ولك الخيار .

- قل ماذا تطلب .

- اولاً ان تقسم لي بشرفك انك لا تطلع احداً على ما اخبرك

الاني الساعة الاولى بعد ظهر غد .

- لماذا هذا الاحتياط ؟ - لانه يرضيني

- اتعد ذلك سبباً ؟

- لك الخيار كما قلت لك قبل مرضي ؟

- ارى انه لا يد من الرضى .

- ان هذا الفتى سيكون في موقف حرج على اثر حوادث

يجبرونك بها أو تجري امامك .

- امامي .

- نعم دون ان تتوقعها او تستطيع منعها

- هذا عجيب .

- ولكنه سيكون قبل تمهدي بشرفك ان تساعد هذا الفتى

مها كانت الحالة التي متوجدها فيها ولا اريد بذلك المساعدة

المالية فهو غني ثم ان مساعدتك اياه لا تمس شرفك اقل مساس .

- اهذا كل ما تطلبه ؟

- تقريباً .

اذن لقد اتفقنا فانك لا تفتح هذا قبل الساعة الأولى بعد ظهر غد - سأفعل .

- اتقسم لي بشرفك ! - اقسام .

فأخرج بيير غلافاً آخر من جيبه فدفعه إليه وقال :

- والآن فهذا ما يتعلق بالفتاة التي تبحث عنها فانك تجد في هذا الغلاف المنون باسمك جميع ما تريد من معلومات عن هذه الفتاة التي هي ابنة الكونتس دي فيتراي .

- من اشريك بهذا !

- لقد عرفته وهذا الغلاف لا يحق لك فتحه قبل الساعة التاسعة ونصف .

- لماذا هذه المهلة .

- لانني لا بد لي منها لاقام مشروعى .

- ولكن ما هذا المشروع ؟

- كل ما أستطيع قوله انه لا يضرك في شيء ولا يضر الفتاة على الاطلاق بل يفيدك كما فمادام أكثر من ذلك وفي هذا الغلاف تفاصيل وافية عن حالة الفتاة الحاضرة .

- أهي بعيدة من هنا ؟ - كلا ؟

- وأرمة بوديت ؟

- مقيبة معها .

- أهذا كل ما تريد قوله !

- نعم فقد كتب على كل غلاف الموعد الذي يجب ان يفتح فيه كي لا تنسى وقد بقي لي كلمة .

ثم اخرج من جيبه غلافاً ضخماً يحتوي على اوراق مختلفة وقال له : هذه هي الاوراق التي تثبت اتصال هذا الفتى برجل محترم من اصحابك .

- من اصحابي !! - نعم انا اشريك بذلك .

- ثم حديثك .

- وهذه الاوراق مؤلفة من صك ولادة الفتى ورسائل الأم ووصيتها إلى ابنها . - وبعد ذلك ا

- وفي هذا الغلاف تجد اسم الفتى وعنوانه فهو يقع في باريس . - افترغت من قولك

- نعم وان المهمة بسيطة كما ترى لا يراد بها خدمتي بل خدمة هذا الفتى الذي ستعرفه غداً .

- اذن يجب ان اساعده .

- بكل قواك كأنك تساعد نفسك .

- ويجب ان اعطيه هذه الاوراق ا

- له دون سواء ويوجد منها صورة ثانية فاذا اضعتها تصل إلى الفتى من مصدر آخر .

وكان هذا القول شبه انذار لم يخف عن الاميرال فنظر إلى بيير نظرة الفاحص وقال له :

- لماذا لا تعطيه ايها انت ؟

فهز بيير كتفيه وقال له : ان ذلك امكاني ، لكنني لو اردته ما كنت محتاجاً اليك .

- لقد اصبت ولا دخل لي بسرك ا

- ما هي ا

- هي انك لا تخبر احداً من أبن اتك هذه الاوراق

- حق المرسة اليه . - هو على الأخص .

- حسناً اليس لك خدمة اخرى تسألني اياها !

- كلا !

- قل ولا تخف فانك خدمتي خدمة لا فيها عن

بإيجاد الفتاة .

- أن الصدفة وحدها اوقفني على ارضا .

- ألا أعرف احلك على الأقل .

- اية فائدة من ذلك فانه اسم استاذ بسيط لا يلتفت

اليه امثالكم .

- الا اراك بعد الآن .

- دون شك . - حق .

- غداً ولكني لا ازيدك شيئاً على ما قلته .

- وهناك اقترباً فاختلط بيير بالمدعون فجال بينهم جولة

ثم وقف في باب احدى القاعات ينظر إلى موريس كولباي

ويناجيه في نفسه فيقول: اليوم عقد الشروط وغداً الزواج

فالى الند .

وهكذا الاميرال فانه لقي امرأته فابتسم لها وقال لها :

- تألمي واصبري إلى الند وكذلك جان رودريكوس فانه

كان ينظر إلى خطيبته نظرات تفتنها ويقول إلى الند .

●

أن خير الجياد جياد الرهان وهي تلك الجياد التي تركض

كاتها ساجحة على بطونها وتثب فوق الحنادق وتجتاز الحواجز

غير مكترثة لكبوة تكسر اعضائها .

وخير ما يشبه به بيير لاروش انه كان مثل هذه فقد كان له

في جسمه الصغير ارادة لا تغلب وعزيمة شماء لا تقف في سبيلها

الحوادث فقد كان رجلاً شديد الحظ شديد الاساءة شديد الحقد

لا يبالي بما يعترضه من الاخطار في سبيل انتقامه .

فلما قابل الاميرال كان على اهبة الوصول إلى مقعده وبلوغ

الغاية من ذلك الانتقام الذي يسمى له من عدة اعوام إذ كان

قد وضع لهم انتقامه تحت ذلك القصر الفخيم فلا تحضي ساعات

حتى ينقصر .

ولذلك برح القصر آناً مطمئناً إلى منزله وهو فرح

القلب فقد وضع إحدى رجله على عنق عدوه ولم يبق له إلا أن

يسحقه فقد كان وضع توقيعه باسم بيير لاروش بصفته شاهداً

في ذيل صك الزواج ولم يبق يد من زواج ماري كولباي يحمان

رودريكوس ذلك الفتى الذي رماه كي يجعله آلة لانتقامه

فيزوجه ابنة كولومباي ويظعن قلب ايهاا بخنجر مسموم .

ولكنه لا يظمن عدوه وحده بما سيفعل بل انه سيقتل ايضاً

الرجل الوحيد الذي أحبه ورماه منذ طفولته فانه إذا انتقم من

الأب قذف بالابن إلى الحضيض وهذا الابن هو جان رودريكوس

أوجان موريس رفيقه وحبيبه الذي كان يمدد بمثابة ولده .

وهذا الذي كان يؤله ويقرع ضميره ولكنه كان يتعزى على

ذلك بقوله أن الأب غني فسينفذه بلايينه ثم يتغلب فرح الانتقام على هذه العاطفة فلا يفكر إلا به . وقد وصل إلى المنزل فذهب إلى غرفة الخادم الوحيد الذي بقي فيه من رجال المصاصة فوجده نائماً فأيقظه وقال له : أنتام الآن ؟

فصلى من رقادته مرعوباً وقال : لقد أحسنت بإيقاظي كنت احلم حلماً هائلاً .

- بماذا كنت تحلم ؟ - بالمشقة !
- تباً لك ابله فهل اعددت صناديق السفر .
- أتسافر غداً . - دون شك .
- بقطار الاكسبريس .

- نعم فهو يسافر في الساعة الثانية بعد الظهر ورفاقنا الآن في الطريق .

- والمريس أيبقى وحده في باريس
- بضعة ايام

ثم تركه ودخل إلى غرفته كي يستريح بالنوم ولكنه لم يستطع الرقاد . وبعد انتصاف الليل بساعة وقفت مركبة عنده باب المنزل فعلم انها مركبة جان فتنهد وقال : مسكين أنت يا جان ولكن لا يد لي من الانتقام .

حق ، إذا أصبح الصباح خرج من المنزل فركب مركبة وسار بها توتاً إلى منزل جانيت . وهناك اعطى السائق رسالة وامره أن يعطيها للبانسي فذهب السائق بها واختبأ بيير داخل المركبة وبعد هنيهة عاد السائق فعاد به إلى باريس .

اما الرسالة فقد كانت معنونة كما يأتي :  
« إلى الدموازييل جانيت .  
« مستعجل جداً »

### فوات الأوان

لقد وفي الاميرال بوعده ولم يفتح ذلك الغلاف الذي يكشف النقاب عن سر طالما بحث عنه ولو حدثت هذه الحادثة لرجل من الذين يسمونهم اشراقاً في هذا العصر لما صبر لحظة على فض الغلاف غير أن الاميرال كان من اولئك الاشراف القدماء فلو علم أن موته بالصبر لما اخذ بوعده ولما فتح الغلاف قبل الساعة التاسعة ونصف . وقد بات تلك الليلة على احر من الجمر وصحا عند الفجر فجمعل يمد الدقائق والثواني .

وفيا هو ينظر إلى الساعة وقد بلغت الثامنة ونصف دخل اليه خادم غرفته وانبأه بقدوم باروا وهو الرجل الذي عهد اليه دافينو بالبحث عن جانيت .

فلما دخل اليه سأله الاميرال قائلاً .  
هل عثرتم على امر جديد .

- أن المسيو دافينو ارسلني اليك لأنه يعلم أن صيرك قد نفذ ولكن ما حيلتي فان الاقدار كانت تماكستي .

- اني لا اشكوك .

- ولكني اشكو نفسي فان ثلاث نساء لا يبص أن يشتغين

عن مثلي لا سياً وقد عرفت نعمة المركبة التي ذهبت بها إلى منزلهن

الجديد وهي رقم ٨٤٣١

- كيف عرفت ذلك

- بالصبر الطويل فقد ذهبت إلى المحافظة فكتبت جميع نمر  
المركبات واسماء اصحابها وذهبت اليهم جميعهم فسألتهن عن  
النسوة الثلاث فأجابوني بجملة منهن لم يوصلوا اولئك النسوة  
ما خلا صاحب المركبة رقم ٨٤١٢ فلم يبق شك انه هو الذي  
أوصلهن ولكن الأقدار تعاكسني كما قلت لك يا مولاي .

- كيف ذلك !

- ذلك أن سائق هذه المركبة قد مات .

فنظر الأميرال إلى الساعة نظرة الجازع وقال : وبعد ذلك  
قال : أن الذي اخبرنا عن الاهتداء اليهن هو أن الفتاة قد  
تعرفت بأحد الفتيان فاقامها في مكان معتزل في ضواحي باريس  
فقطب الأميرال حاجبيه وقال : كيف عرفت ذلك .  
- اني لا اقتخر يا سيدي باني اهتديت إلى ذلك بمحضتي  
ولكن الصدفة قد ساعدتني فان لامرأتي صديقة زوجها من  
الاطباء فنظر الأميرال إلى الساعة فقال له باورا : الملك  
مستمجل يا سيدي .

- كلا فاني منتظر الساعة التاسعة ونصف فامضي  
في حديثك .

- وقد ذهبت امس امرأتي لزيارة صديقتها وهي مقيمة في  
ضواحي باريس ولم يكن الطبيب في المنزل فسألتهما عن فاجباتها

انه ذهب لميادة عجوز مجنونة تقم مع ابنتين . فلم تحفل امرأتي  
بهذه الحادثة ولما عاد الطبيب عادا إلى الحديث بهذه المجنونة  
فعرفت امرأتي انها تدعى ارملة بوديت وانها تقم في فوكرسون  
وكانت امرأتي تعلم اني ابعت عن هذه المرأة فمادت إلى  
باريس مسرعة واخبرتني بما علمته فاخبرت دافينو .

فارسلتي اليك .

- تقول انها تقم في فوكرسون ؟

- اما هي في طريق روكنكور ؟

- هو ذاك . - اتصحبني اليها

- دون شك

فامر الأميرال احد الخدم أن تعد له مركبة ودخل إلى  
امرأته فقال لها :

- اسبقيني إلى منزل كولمباي لحضور العرس فأني ذاهب  
للاهتمام وسأرافقك إلى الكنيسة .

فسأله بصوت مضطرب قائلة : هل عرفت شيئا :

- أم اقل لك بالأمس اصبري إلى الغد .

- حققه امانيك .

- وقد خرج الأميرال مسرعاً فركب مركبة وسارت بها  
إلى منزل جانيت .

وقد حانت الساعة التاسعة ونصف وهما على الطريق ففتح  
الأميرال الغلاف وقرأ فيه حكاية جانيت فان بيير كتبها له  
بتفصيلها دون أن يذكر اسم عشيقها ودله على المنزل الذي فيه

وذكره بما أوصاه في الية السابقة .

وفي الساعة العاشرة ونصف وصلت المركبة إلى المنزل  
وسأل الأميرال البستاني قائلاً : انا منزل أرملة بوديت .

- نعم - هل يمكن أن اراها .

- نعم يا سيدي ولكنها في أشد حالات الانحطاط .

- وابتنتها المدماوزيل جانبتي - نعم

- انها ذهبت إلى باريس بقطار الصباح منذ ربع ساعة على

اثر كتاب ورد اليها ولا شك ان هذا الكتاب يحمل انباء سيرة

- ما الذي حملك على هذا الاعتقاد .

- انها لم تكدر تقرأ حتى اضطربت اضطراباً عظيماً فلبست

ملابسها وهي لا تمي واسرعت إلى السفر ولكن مالي ولهذا

الأقوال فإذا كنت تريد أن ترى المعجوز فتفضل بالدخول

ولكنك لا تستطيع ان تغف منها على شيء .

وكان هناك فتاة صغيرة واقفة بالقرب من البستاني عند

شجرة فسأل الأميرال البستاني قائلاً : اهذه هي الأخت .

وكانت علامت الحزن الشديد بادية عليها فقال لها برفق :

- ما بالك يا ابنتي ؟

فترقق الدمع في عينيها وقالت : ان امي حزينة

واختي سافرت .

- إلى اين - لا اعلم .

- الا تعود - لم تقل .

- اتريدين ان تذهبيني إلى امك ؟

فلم تجبه ولكنها سارت امامه اليها وهناك لقي المعجوز  
مضجعة في سريرها وقد ذهبت الايام والاحزان ببيهاها فقد كان  
يسرفها منذ ثلاثين عاماً حين كانت من الجميلات وكان وجهها قد  
اصفر جداً بحيث كانت ادنى إلى الموت منها إلى الحياة .

وكانت امرأة البستاني بجانبيها فسألها عن جانبتي فقالت له

انها اقامت كل الليل بجانب امها وانها آتة الحنو والاخلاص فلم

تفارقها لحظة ولكنها تلت كتاباً في هذا الصباح فأضاع رشدها

فبرحت المنزل على اثره وهي هائجة ولا بد من حدوث مكروه

- إلى اين ذهبت .

- لم تقل كلمة :

فاضطرب الأميرال وقال في نفسه : نعم لا بد من حدوث

مكروه وهو لم يكن يعلم شيئاً ولكن هذا الرجل الذي قابله

وهذه الرسالة التي وردته إلى طولون وهذا الاقتراح الذي

اقترحه عليه بيير في منزل كولمباي وعرفانه حقيقة امر جانبتي

وهو يعتقد انه خفي عن جميع الناس كل ذلك كان يدل على ان

وراء الآلة ما وراءها وقد تمنى ملياً فلم يجد حلاً لهذه الأسرار

المكتنفة بهذه الحادثة فدأ من المعجوز وقال لها وهو يحدق بها

بنظراته النافذة ، بيرين . فالتفتت المعجوز اليه وكررت مناداتها

وقد اخذ يدها بيديده وهو يحدق بها فحدثت عند ذلك

العجوبة وهي ان المعجوز رد اليها صوابها فجأة ولعل ذلك كان

بسبب النزاع الأخير .

فنظرت اليه مندهة ثم قالت له بصوت خافت : اهذا انت

- نعم انا هو واني ابحت عنك منذ عشرة اعوام فقولي  
كل ما تطين . - اريد ان اتكلم عنها

- نعم عنها ، عن جانبيت .

- انها ملاك في صورة انسان . انها مثال كرم الاخلاق  
والمرودة الخالصة اني على فراش الموت وساموت قريرة العين  
نعم انها ملاك فاغفر ..

- لقد غفرت . - الحميها وحمي ابنتي ماري .

- نعم . - اقم لي . - اقم بالشرف .

- والان فاذا اردت ان اموت سعيدة فقبل جيبيني فاني  
احبك منذ عرفتك ولكنني لم اجسر على اظهار حيي .  
استودعك الله .

فدنا الاميرال منها ولثم جبينها المصفر فاضطربت لهذه القبة  
اضطراباً يشه آخر شعاع من اشعة الشمس عند الغيب وسمعها  
الاميرال تلفظ هذه الكلمات الثلاث بما يشبه الهمس . جانبيت  
ماري .. هو .

ثم اطبقت عينها وانقطع صوتها وزعم بانفاسها الموت .

### اليوم العظيم

في تلك الساعة التي قطع الموت فيها انفاس الارمة امام  
الاميرالدي فيتراي كانت دار المحافظة في باريس غامرة بالناس  
وقد احتشدت الجماهير عند الابواب وفي الشارع بسبب زواج

كبير كان يعقد في تلك الساعة .

والزواج هناك نوعان الزواج المدني الذي يعقد في دار  
المحافظة في باريس وعليه الممول ويحيى . بعمده الزواج الكنسي  
الذي يراد به مجرد البركة :

وكانت مركبة الزوجين قد حضرت بجرها جوادان من  
خيرة الجياد وقد افرغت عليها اكابيل زهر الليمون .

فلما خرجت العروس من المركبة تجر ذيل ثوبها الابيض  
ارتفعت اصوات الاعجاب وابتسمت ماري ابتسام المنتصر .  
ودخل العروسان إلى قاعة فسيحة في دار المحافظة وفي ازم  
اعضاء العائلة واخص الاصدقاء ، فان هذه القاعة لم تتسع لجميع  
المدعوين إلى أن تم تقديم فدنا المحافظ من ماري وسألها هذا  
السؤال الذي لا بد منه قائلاً :

- ماري كوليبي ارضين أنت يكون جان رودريكوس  
زوجاً لك ؟

فأجابته بصوت ضعيف . مضطرب قائلة : نعم ارضى .

وسأل الزوج مثل هذا السؤال فأجابته بالرضى .

وكانت ام العروس تضطرب اضطراباً لا تدرك له معنى ولم  
تصعب بثله حتى يوم زواجها فان هذه الكلمة ، كلمة نعم التي  
ربط الزوجين برباط وثيقة ، كلمة عظيمة طالما اسفت الزوجات  
لقولها بعد اسبوع وربما بعد يوم .

وكذلك جدتها سانت كلبير فقد كان يجب سفيدته ماري  
حياً عظيماً ويتمنى بذل كل ملايينه في سبيل سعادتها ولكنه كان

خائفاً من هذا الزواج لاسباب لم يعلمها فكان ينظر إلى جان رودريكوس نظرات تدل على الاستياء لأنه قد سلبه اعز عزيز عنده .

ولم يحل من هذا الاضطراب الاب نفسه موريس كولباي على شدة عزيمته فانه نظر إلى جان والمافظ يساله فاضطرب اضطراباً عظيماً وقال في نفسه :

- لقد ذكرت الآن هاتين العنيتين فانها عيناروز ... تلك الملعنة التي خدعتها وهجرتها فانتحرت بعد أن ولدت غلاماً ولكن لم يبق سبيل للتقهر فأن الكأس قد صببت ولم يبق يد من شرها .

هوذا قرانكا قد تم واصبحتا زوجين باسم القانون .

وقد قضى الامر ووقف بيير لاروش بالقرب من الزوجين يفرك يديه سروراً دون أن يكثر به احد وكذلك هو لم يكن يكثر لاحد ولكنه كان ينظر إلى موريس كولباي وقد جاء احد الموظفين في المحافظة وناوله القلم ليوقع على صك الزواج فتناولوه وكتب امضاءه بيد وتجف ثم جاء دور الشهود والاصحاب فكان بيير ينظر من حين إلى حين إلى ساعة معلقة تحت صورة كبيرة لرئيس الجمهورية وبحسب الوقت الذي يقتضي لتقدم جانيت من منزلها إلى الكنيسة فانه كان قد اتخذ كل ما ينبغي اتخاذه من الوسائل ، وبعد أن تمت التوقيعات خرج المروسان إلى الكنيسة بنفس الحفاوة التي جاء فيها إلى المحافظة وقد ضمت الكنيسة جميع المدعوين وكان بينهم الكونتس

بلانش وهي مطرقة حزينة راكعة امام ابقونة المدرء تصلي فان تلك الفتاة التي رأتها عند رافينو كانت بمثابة امام عيبتها وهي تعتقد انها ابنتها جانيت بعينها .

ولم يكن الاميرال قد حضر بعد فكانت تنظر من حين إلى حين باسحة عنه بين المدعوين واخذ الكهنة بالصلاة وقاربت الحقة النهاية وقد غصت الكنيسة بالمدعوين وبفريق كبير من اهل ذلك الشارع على اختلاف طبقاتهم وهم معجبون بجلال هذه الحقة النادرة .

حتى إذا اوشكت الصلاة أن تنتهي دخلت فتاة صبية إلى الكنيسة وهي جانيت فكانت لابساً ذلك الثوب الاسود الذي لبسته حين ذهبت إلى دافينو وهي منبوشة الشعر مضطربة الحواس فجمعت تحترق صفوف الناس إلى الميكل حيث كان المروسان وهي تشبه الجانين .

غير أن الزحام كان شديداً فلم تكن تستطيع المرور الا بعناء عظيم وهي تارة تحترق الزحام بالعنف وتارة بالتوسل والاستعطاف .

إلى أن وصلت بعد الجهد العنيف حيث كان العرسان راكعين والكاهن يباركها وبعد أن تمت البركة وقف جان ونظر إلى الحضور فرأته جانيت وغطت وجهها بيديها وقالت بصوت خفقت سمه الذين كانوا يجوارها :

- يا لك من شقي !  
أن هذه الرسالة التي ارسلها بيير لاروش إلى جانيت كانت



محتوية على ما يأتي :

« لقد خدعوك ابنتها المسكينة فقد كنت تحسبين انك محبوبة ولكنك واهمة فان عشيقك هزأ بك .

وإذا كنت تريدن البرهان على صدق ما اقول فاقرأي هذه المقالة التي ارسلتها اليك في طي هذه الرسالة وقد قطعتها من جريدة النيغاروفنتيين لك الحقيقة » .  
صديق

اما المقالة المقطعة من الجريدة فكانت كما يأتي :

« في الساعة الحادية عشرة من صباح غد يعقد في كنيسة المعنراه زفاف آنسة من اهل الجاه والثروة العظيمة فان اباعا موريس كولمباي من اشهر رجال القضاء واغنى الباريسيين راسها ابنة ميشيل سانت كلير الممول العظيم .

اما الموروس فانها بارعة الجمال لم تتجاوز ثمانية عشر ربيعا ويبلغ مهرها ثلاثة ملايين فرنك وهي فوق ذلك وريثة ابها وجدها واما الزوج فهو من خيرة الجالية الاميركية وهو فتى غني اديب يقم في باريس منذ بضعة اشهر وقصره في شارع باسانو وقد قضى الاتفاق ان يشتري قصراً في الحلاه في فرسايل بجوار قصر هناك للسبو موريس كولمباي فدعا الجوار إلى التمارف ثم إلى الحب ثم إلى الزواج واسمه جان رودريكوس فتهيئه الموروسين ونرجو لها الرغد والهناء .

وكانت جانيت حين وصلت اليها هذه الرسالة جالسة بجانب مريبتها فلما فتحتها وقرأت سطورها الاولى التفتت إلى البستانيه وقالت لها :

من اين هذه الرسالة ؟

قلت لا اعلم . - من الذي جاء بها ؟

سائق مركبة . - اين هو ؟

لقد ذهب لفوره .

فاخذت المتكودة تقرأ مقالة الجريدة وهي لا تصدق ما تقرأ حتى انتهت إلى آخر سطر من المقالة فلم تمد تعمي من ياسها فانها ارادت أن تضحى بنفسها من اجل هذا العشيق الذي كانت تنواه بل جوارحها وتريد أن تنتشله من تلك الهوة التي سقط فيها مجنوها وحسبها فاذا به يتقدمها شر خدعة ويتزوج وهو منذ يوم كان عندها يبسط لها آيات حبه وبعدها بالزواج فكيف يكون صاحب هذه الرسالة من الصادقين لا سيما وانه تكسر ولم يذكر اسمه في ذيل الرسالة .

ولكن الجريدة تقول أن الزواج يعقد اليوم وقد عينت للكنيسة والساعة وذكرت اسمي الزوجين فكيف يكون ذلك كذباً .

ولما انجلت لها الحقيقة تمثل لها جان فتحول ذلك الحب فجأة إلى دعر ثم استحال الرعب إلى كره عظيم فان هذا الرجل قد سحق كبرياتها بقدميه واقتدى عليها افتراء لا ترضى به نفس شريفة وقابلت بين عواطفها وعواطفه وبين سلامتها وشره وبين نصيحيتها وهزته واستخفافه فكادت تجن من ياسها وأسرعت إلى غرفتها فلبست ذلك الثوب الاسود اذ كان أول ثوب اسابتها .

ثم خرجت من المنزل هائمة لأنها بالرغم من تلك المسألة التي قرأتها كانت تريد أن تتحقق من ذلك ولم تكن الساعة ساعة قدوم القطار فركبت مركبة وسارت بها توأ إلى منزل سانت كلير ذلك الشيخ الذي كان أول المحسنين إليها حين لقبها في قهوة الفردوس و اراد انقاذها من تلك الهوة .

وهناك لقيت بواب المنزل وسألته عن سانت كلير .

فذكر البواب انها جاءت مرة من قبل وقال لها : اراك

قد عدت .

- ارجوك أن تجيبني هل هو في المنزل ؟

- اريدن أن تكلميه ؟

- نعم نعم وفي شأن خطير .

- اذن يجب أن تنتظري ابنتي الحسنة . - لماذا ؟

- لأنه مشغول الآن بزواج حفيده ؟

- اتعرفين ذلك . - نعم فمن هو زوجها ؟

- رجل غريب يدعى جان رودريكوس .

وقد نظر البواب في ساعته وقال : انهم الآن دون شك في المحافظة وسيخرجون منها إلى الكنيسة . فمضت جانيت بعدما من اليأس وقالت ربه ماذا اصنع ؟

فقال لها البواب على سبيل التهمك .

- انك إذا كنت تريدن منع هذا الزواج فقد فات الاوان فان العروسين قد اعدا معدات السفر فليس بعد التهنئات غير الرحيل .

فذكرته جانيت وانصرفت ثم عادت اليه وقالت له .

- اين هي دار المحافظة ؟

- اريدن أن تحضري العرس .

- ارجوك أن تجيبني .

فراى البواب أمر هذه الفتاة لما رآه من بأسها وخطر له أن يندعها خذراً من حدوث مكرره فأجابها قائلاً :

- أن المحافظة في ساحة اللوفر .

وقد دلها على شارع مناقض للمكان الذي كانت فيه المحافظة على رجاء أن يسع له الوقت لأخبار البوليس بشأن هذه الفتاة إذ خطر له انها قد تكون خلية الزوج وانها قد تريد الانتقام اما جانيت فانها ركبت مركبة وقالت لسائقها سري إلى ساحة اللوفر فامثل السائق وذهب بها حتى وصل إلى الساحة فوقف وقال لها إلى ابن تيريدن الذهاب يا سيدتي ؟ إلى دار المحافظة .

- قال بعدئذ جداً عنها فهي في شارع الجوى .

فأدركت جانيت لفرورها أن البواب خدعها لأنها ارعبته بطوامر ياسها وعلمت أن الوقت قد مضى فلا تجد في المحافظة وعلى ذلك فقد سارت ماشية إلى الكنيسة ورأت الكاهن يبارك جان وزوجته كما تقدم .

وبعد أن رأت ذلك المنظر التفتت إلى احد الواقفين بجزاها وقالت له : ابطول اقامتهم في الكنيسة .

- نصف ساعة بينما تم الصلاة والتهنئات .

فخرجت مسرعة من الكنيسة وبعد دقيقتين كانت عند باب  
مركز البوليس فدخلت وسألت احد الحجاب عن القومسيير .  
فقال لها الحجاب : اريدن أن تكلميه ؟  
- نعم . - اريدنه هو بالذات ؟  
- هو بعينه إذا كان ذلك ممكناً .  
- لأي شأن . - لشأن هام  
فدخل الحجاب إلى غرفة القومسيير ثم عاد وادخلها اليه .

\*\*\*

كانوا يمتنون من قبل بغرفة التعذيب تلك الغرفة التي كانوا  
يعذبون فيها الناس في عهد ديوان التفتيش بالسكي بالثار والضغط  
بالالات على الاعضاء إلى غير ذلك من انواع التعذيب الهائلة .  
اما الآن فقد قضى التمدن الحديث على هذه العادات الهجبة  
وحل محلها تلك الاسئلة التي يلقبها بعض القضاة وبعض مديري  
البوليس على المتهمين .  
ولكن اتفق لحسن حظ جانيت أن هذا القومسيير الذي  
دخلت اليه كان من أهل الرفق والبشاشة .  
غير أنه كان كثير الانشغال فلما دخلت قال لها دون أن  
يلتفت اليها :

ماذا تريدن اسرعي بالقول فاني مشغول .  
- قالت : اني أتيت يا سيدي لأمر خطير .

- أوضحي هذا الأمر الخطير فانا لا نجد غير امر : طيرة  
وقد اسند رأسه إلى كوعه وعيناه شاخستان إلى تقرير كان

لماه فقالت له :

- اني آتية يا سيدي من كنيسة العنراء .  
- عليها اشرف السلام .  
- وم يعقدون فيها عقد زواج .  
- بارك الله الزوجين . - آتية لاقول لك ..  
- قولي ما تشائين اذ لا شأن لنا غير استماع الاقوال ولكن  
بشرط أن تسرعي .

فلم تجبه الفتاة بشيء ولكنها تهتت فالتفت اليها وقال لها  
المرغف من - بيتك فانك تقولين انهم يتزوجون في الكنيسة .  
- إذا كان ذلك يسؤك فلا نبحت فيه .  
- كلاست هذا الذي اريده ولكي لم افهم شيئاً من مرادك  
اخباري بهذا الزواج .

- هذا الزواج يجب منعه . - كيف  
- بجميع الوسائل الممكنة .  
- لماذا ؟  
- لأنه جريمة .

- فجز القومسيير رأسه وقال : أن الزواج قد يكون بلاهه  
ولكنه لا يكون ذنباً الا في حوادث نادرة .  
- وهذا الزواج احدى تلك الحوادث .  
- لماذا لأنه لا يرضيك .. ماذا تدعى هذه العروس  
- مدموازيل كولباي .  
- ماذا تقولين اهي ابنة المستشار . - هي يمينها .  
- وهذا الزواج نفسه هو الذي تمدينه جريمة ؟

- نعم يا سيدي اعني أن ...

فاشفق القومسيير لاضطرابها وقد حسبها مجنونة فقال في نفسه مسكينة انها على ابدع جمال ثم قال لها :

- ماذا تدعين يا ابنتي ؟

- جانيت . - جانيت ماذا ؟

- لا استطيع أن اقول لك .. لا اعلم .

فقال في نفسه لقد صدق ظني اذن فهي مجنونة ثم قال لها :

- تقولين أن ليس لك غير هذا الاسم الملك فقدت الذاكرة

- كلا يا سيدي .

- اذن كيف لا تعرفين اسمك فابن ولدت ؟

- لا اعلم .

- كيف تريدان أن أعلم ان .. كم يبلغ عمرك ؟

- عشرين عاماً تقريباً .

- كيف ذلك الا تعرفين عمرك ولا تذكرين اسمك ولا

تلمين المسكان الذي ولدت فيه اذن فان الجناية اقل مما اطن .

- ارى انك تحسبني مجنونة يا سيدي .

- ربما تكونين قد فقدت ذاكرتك .

- اقسام لك يا سيدي اني صحيحة العقل .

- اي مجنون يعترف بمجنونه .

- انك مخطيء يا سيدي بهذا التوهم .

- هذا ما اتناه يا ابنتي فأنتي لي كمال عقلك .

- اني إذا كنت لا اعرف ابن ولدت ولا اعرف اسم اني

فما ذلك الا لأنني دون اهل .

- من الذي رباك .

- امرأة سالحة هي الان على فراش الموت .

- اين تقيمين ؟ ...

- في فوكروس في ضواحي باريس بطريق روكتكورو

فكتب القومسيير هذه الاسماء في مذكرة وقال لها :

لقد قلت أن زواج ابنة كولباي جنابة فما تمنين بذلك

فترددت جانيت وقد انفت من خيانة عشيقها الذي انتشلها من

اشقاء واحسن اليها ولكن جان رومريكوس تمثل لها تلك اللحظة

راكماً مع عروسته امام الهيكل فمضت للغيرة قلبها وقد ذكرت

ايضاً أن ذلك المعجوز سانت كليز الذي كان اول المحسنين اليها

لأشرف النفايات سيهان ويدنس لزواج حفيدته بهذا الص

تحمست وعولت على الكلام ولكنها مع ذلك لم تتكلم .

وقد ادرك القومسيير ترددها فقال لها :

- تشجعي يا ابنتي وقولي الحقيقة - سيدي

- إذا لم تتكلمي عدت إلى حكيم القديم فيك

واعتبرتكم مجنونة .

- كلا لست بمجنونة

- ذلك خير لك ولي فاني إذا اعتبرتكم مجنونة اضطرت

إلى نقلك إلى المستشفى وليس ذلك ما تريه .

- ولكني لا اريد الذهاب إلى المستشفيات .

- اذن تكلمي فانك ما اتيت إلا لهذا .

- هذا اكيد ؟

- انك كنت تريدن منع هذا الزواج .

- ولا ازال اريده فان الواجب يقضي بمنعه .

- ولكن أسرعي قبل فوات الأوان ولا بدلك من براهين

لما هي براهينك ؟

فمضت يدها وتلجلج لسانها فقل لها :

- كفى وقولي لماذا تعتبرين هذا الزواج جناية ؟

فأجابت بصوت غثثق قائلة : ذلك لأن الذي سيتزوج

الآنسة كولباي غير جدير بها لأنه ... من اللصوص .

- لص - وقاتل :

- قاتل ... احذري فان الامر خطير وعاقبة

الوشاية عظيمة .

- لم اكذب في حياتي يا سيدي .

فوضع القومسيير يده على جبينه شأن المفكر وهو يعجب

لهذا الاتفاق الغريب فان موريس كولباي كان من اشهر رجال

القضاء فلا يصدعه لص ولكنه كان قد تبين الصدق من لهجة

الفتاة فقال لها :

- اشبريني الحقيقة بجملتها يا ابنتي فاذا يدعى الزوج

- انه دعى نفسه جان رودريكوس .

- كيف تقولين دعى نفسه ؟

- لانه كان يدعى جان موريس .

- من اين عرفت هذه الأمور ؟ - منه .

- اذن أنت تعرفينه ؟ - من عهد بعيد !

- الملك كنت خليلته ؟ - نعم .

- إذن اعترفي أن الليرة قد اضلت صوابك - كلا

- انك قلت يا ابنتي كلمة هائلة وهي كلمة قاتل فعلى أي

شبه تعتمدين في هذه التهمة فانك تتهمين نفسك ايضا فان خليلته

القاتل تكون مشاركا معه في الجريمة .

- اني لا اخاف مثل هذا التهم يا سيدي فان خميري يؤنبني

لفوة ارتكبتها مكرهة ولكنه لا يقرعيني لجناية . وقد حدثت

جناية في باريس من عهد غير بعيد :

- ما هي ؟ - اختفاء احد تجار الالماس ؟

فبرقت عيننا القومسيير وقال صموئيل روزن ؟

- هذا هو فقد قرأت هذا الاسم في الجرائد أتعلم ماذا

حري له .

- اتنا لا نزال نبحث عنه دون أن نجده .

- إذن انا اخبرك بحقيقة امره .

- أنت .. قولي فاني مصغ اليك ولكن أوجزي المقال

- صموئيل روزن مات .

- ما الذي يملكك على هذا الظن .

- لقد ذهبت يوماً إلى شارع باسانو ؟

- لماذا ذهبت إلى هذا الشارع ؟

- لأن قصر جان رودريكوس فيه

- أي شأن كان لك هناك .

- لقد ذهبت اليه لالتمس رأي جان فقد قرأت في الجرائد  
اعلاناً يتملق بالمرأة التي ربتني فان المسيو دافينو كان يبحث  
عنها فان امي عهدت اليه بالبحث عني .  
- أن ما تروينه لي يشبه الحكايات .  
- ولكنه الحقيقة - اتني حديثك ؟

- لقد ركبت مركبة من المحطة وجئت إلى مستزل جان  
رودريكوس في شارع باسانو فلما وصلت اليه رأيت رجلاً قد  
دخل اليه ولم اكن اعرفه ولكن هيأته كانت تدل على  
انه من اليهود وهو يحمل بيده حقيبة سوداء فصبرت في  
المركبة إلى أن يخرج هذا الرجل ولكني استبطأنه فدخلت الا  
ايضاً إلى المنزل فلم يستقبلني لفوره حسب عادته بل أن احد  
الخدم وهو انكليزي ادخلني إلى غرفة واقفل بابها علي فسمعت  
بعد هنيهة صيحة هائلة كانت صيحة واحدة لم اسمع شيئاً بعدها  
ثم رأيت من خلال ستائر النافذة ثلاثة رجال قد خرجوا وهم  
يحملون صندوقاً كبيراً فلما انصرفوا به عاد الي الخادم وذهب بي  
إلى جان رودريكوس .

- ولكن الزواج ...

- صبراً يا سيدي فستصل اليه اما جان فانه دهش حين رأي  
ولكنه تاب من دهشته في الحال فاقت عنده هنيهة وعدت إلى  
منزلي وليس لي غير الشك ولكني وقفت بعد بضعة ايام على  
الحقيقة الهائلة فعلت اني خلية لص سفاك .

- انه امر خطير فهل تستطيعين أن تدليني على هذا الرجل

- في الحال ...

- الا والذين مصررة على شكواه .

- اني اقول الحقيقة .

- قد يكون اثباتها صعباً خلافاً لما تتوهمين .

- ربما ولكني اقول ما رأيته وما علمته .

- ما الذي علمته ؟

- أتي حين عاد الي جان اخبرته بما خاخرني من الريب  
والرعب فاعترف لي بكل ما جناه معتذراً من ذلك بأنه يريد  
أن يكون غنياً فان اياه تحلى عنه وهو في الهد وطرده امه فهانت  
انتعازاً وقد قال لي أنه لا يريد الثروة الا لسعادتي وانه سيهرب  
بي ولا يحب سواي .

- ولكن إذا كان لا يحب سواك كما تقولين فكيف يتزوج

- انه لا يتزوج ابنة كولمباي بل يريد مهرها وبعد فهاذا

يريد أن اقول لك انه كان كاذباً وقد خدعني .

فقال في نفسه أن مهر ابنة كولمباي يبلغ ثلاثة ملايين  
وحكاية هذه الفتاة غريبة ... ولكنها قد تكون صادقة ثم  
قال لها :

- اتقسمين لي انك تقولين الحق . - اقسم بالله ؟

- ما دعاك إلى شكوى عشيقك هذه الشكوى التي تقضي

عليه القضاء المبرم

- لقد كنت فقيرة معدمة ليس لي قطعة خبز واشقي وامي

تروان من الجوع فانتشلني رجل من هذا الشقاء وهذا يدعى

ميشيل سانت كلير وأن جان رودريكوس يتزوج حفيدته لها  
قرأت ذلك في الجريدة عزمت على منع هذا الزواج ولكن قد  
فات الاوان ولو تمكنت من انقاذ هذه الفتاة بغير هذه الوسيلة لا  
لجأت اليك .

وكان النهار قد انتصف فنهض القومسيير وقال لها هلي  
ممي فقبسته المتكودة وهي تضطرب حتى وصلا إلى الكنيسة  
وكان المروسان على اهبة الخروج منها فنظر القومسيير إلى جان  
وقال للفتاة أهذا هو ؟  
قالت : نعم هذا هو .

### تعارف هائل

لا بد لنا من الرجوع إلى ما حدث قبل بعض دقائق لنع  
ما سيحدث فان حفلة الاكليل كانت قد تمت ولم يبق غير  
توقيعات الشهود والاصدقاء على صك الزواج والتهاني . وقد  
كتب المروسان اسميها وكتب والد المروس اسمه وبعد ما أتم  
توقيعه جاء بيير وهو يتسم فاخذ القلم من يده وقال له :  
- وأنا أيضاً يحق لي أن اوقع على الصك فان جان  
بثابة ابني .

ثم اخذ القلم وكتب تحت الصك بحروف كبيرة عظيمة اسم  
بيير لاروش .  
وقد اخذت كتابة اسمه سطرأ بجملته كي يستلفت إلى اسمه

نظر موريس كولمباي غير أن موريس عد عمله هذا من قبيل  
الشذوذة ولم يذكر شيئاً .

ولما رأى بيير انه لم ينتبه إلى اسمه دعا منه وقال له أقرأت  
اسمي افدهش موريس وقال : نعم .  
- اذن لندع الرجل لسواا وتعال معي .

- ماذا تريد مني ! ..  
- تعال فانك لا تكون من التادمين .  
فسار معه موريس وهو منذهل حتى ابتعد معه عن الناس  
فقال له : قل ماذا تريد أن تقول لي .

- لا اريد شيئاً سوى أن اذكرك باسم ارى انك نسيته  
وهو الاسم الذي قرأته في الصك . - اذكره  
- انه اسم بيير لاروش من سوفاجير الا تذكر سوفاجير ؟  
- انها احدى مزارعي .

- هو ذلك الا تذكر ايضاً عائلة لاروش التي كانت تضمن  
هذه المزرعة - العلك من هذه العائلة ؟  
- اذكر .. لاروش ابن دومينيك لاروش ضامن مزرعتك  
سنة ١٨٦٠ ... أن العهد بعيد .

- نعم قال ابن تيريد أن تصل : قل فاني مشغول .  
- دع الشغل الآن فان لك كثير من الاصدقاء لم يفرغوا من  
تهانيمهم بعد وأنا عدوك اريد أن اعنتك ايضاً .  
- عدوي !  
- هو ذلك فان ذاكرتك ضميعة كما يظهر يا ميسيو موريس

فلا بد لي من تذكيرك فاسمع .

- أن الحادثة جرت سنة ١٨٦٣ وذلك أن ابي كان ضامناً  
مزرعتك وقد ضمنها قبله ابوه وتماقب على خدمتها اعضاء  
عائلتنا خمسين عاماً .

وكان حق ابي أن يقتني منها مالا لولا انهماك في القمار  
ولكنه لم يرض لك حقاً وقد أتفقت سنة عجز فيها عن سداد  
قيمة الضمان وذلك لا يذكر بالقياس إلى خدمة خمسين سنة غير  
انك لم تصبر عليه فحجرت كل مفتنياته وتركنه شريداً لا  
مأوى له .

وكنت بومئذ في المدرسة فلما عدت في زمن الاجازات ورأيت  
ذلك الحراب اتيت إلى باريس على رجاء أن اسكن قلبك على  
اهلي فنشقت عليهم وقهلم عاماً فأن تأخير سداد الضمان عاماً  
واحداً لا تؤثر على ثروتك العظيمة .

فقطب موريس حاجبيه وقال له : افرغت ؟

- كلا يا سيدي فانك في ذلك اليوم كنت تصفي ابي بنفاذ  
صبر كما تصفي الآن وقد اتمت على اباك اربعة أيام حتى تمكنت  
من الوصول اليك فلما تشرفت بلفائك وعرضت عليك امري  
هزئت بي هزماً لا يزال مطبوعاً على قلبي .

- وماذا تمني هذه الحكايات ؟

- وقد توصلت اليك في ذلك اليوم توصل الفقير للتمس  
ولا اذكر ما بدر مني فأمرت خدمك بطردني فطرودني  
طرد المجرمين .

ولكني قلت لك ساعتئذ : اننا سلطتي يا موريس كولمباي  
وقد التقينا ووفيت بوعدتي .. أنظر ابي يا سيدي فقد كنت  
صغيراً فقيراً فبرزت في ويوعدي أنت القوي القادر ولكن  
الصدفة اعانتني على تنفيذ هذا الوعيدا .. لا تجزع فهي دقيقة  
فصي واصفي إلى حديثي فاني تركتك يومئذ قانطاً وعدت إلى  
اهلي فاخبرتهم بما حدث فقتل الحزن امي ولم يلبث ابي أن تبعها  
إلى ظلمات الأبدية وجعلت ارتجق من تلميح الاحداث في احدى  
القرى وهنا تبدىء حكايتي معك فاني لقيت هناك امرأة عجوز  
عبد اليها بقرية طفل تحملي عنه ابوه وهو يشبه الملائكة ببجمال  
وجهه كما يشبه بفساد نفسه الشياطين .

أن هذا الغلام كان ابنك يا مسيو موريس وقد غرست فيه  
مبادئ الكبرياء والتفاق وحسب الذات وقد اخبرتنني العجوز  
بسر مولده حين وفاتها وعهدت ابي بقريةته واعطتني ذلك المال  
الذي اعطيته لاهمه حين طردها اقبح طرد .

- أن هذه الام يا سيدي كانت خليلتك روز برتون وهذا  
الغلام ولدك موريس - اسكت .

- ارأيت الآن كيف تصفي إلى حديثي ولا وتبالي بهذا  
الوكب الفضي الذي يحف بابنتك .. ابي اقسمت على أن انتقم  
لنفسى من استقارك وكبرياتك وفضاعتك وقد اعددت للانتقام  
طريقة لا تخاطر على بال فانك طردتنا من المزرعة وبمعنا حق  
الفراس الذي تنام عليه فلم استطع أن انتقم منك بمثل قسوتك  
لان ملايينك كانت تدافع عنك فربيت ذلك الغلام المهجور



وغرست في طباعه كل بذور الفساد والشر حتى نمت تلك البذور  
وشب على ما اريد فبات محتاجاً إلى المال ودفعته هذه الحاجة  
إلى ارتكاب الجرائم .

وليس هذا كل شيء فاني لم اكن اعلم إذا كان لك قلب  
فأحببت أن ابحت في اعماق ذلك القلب لأمزق كل ما  
اجده فيه .

إلى أن جاء فتي غني بالظاهر فجاورك ورأى ابنتك وهو  
لا يحبها اذ يجب سواها ولكنه خدعها بظواهر أدبه وظرفه  
فأحبته حباً صادقاً حملها على أن ترضى به زوجاً واني اشتقت على  
الاثنين معاً اما هي فلانها فتاة طاهرة نقية شريفة مما يدعو إلى  
الظن بانها ليست منك واما هو فلأني احبه على كثرة عيوبه  
حب الایاء للابناء وقد ربيته منذ الحداثه بحيث بات ابني اكثر  
حما هو ابنتك .

انظر اليه يا سيدي تجد يده في يد ابنتك فان الاخ يتزوج  
الاخت ويصنغ بيت الأب بصباغ الحبل والعار .

فدعر موريس ذعراً عظيماً وقال : خست فانك من الكاذبين  
- كنت واثقاً بان قلبك الصخري لا يد أن يضطرب، والآن

فقد قرغت من حديثي فان موريس ابنتك وزوج ابنتك يجمل  
انك اياه ولكنه لا يلبث أن يعلم فقد عهدت إلى احد اصدقائك  
بإخباره ولك أه تتفق وایاه على ما تريدان . اما قولك اني  
كاذب فمثل هذه الامور لا يكذب فيها وقد بقي لي سر آخر  
اريد أن اطمئلك عليه ولكن وقتك ثمين كما يظهر وأنت من

القضاة . قلبت موريس واقفاً وقد استند إلى الجدار وتبين الرعب  
في وجهه .

فقال له بيير بلهجة المهتم :

- اضبط نفسك يا سيدي واملك رشادك فانك محتاج اليه  
لحياة ولدك . انك لن تراني بعد الآن ولكنني ارجو أن تذكر  
في خواتمك اسم بيير لاروش فلا تنساه كما نسيت من قبل والآن  
استودعك الله .

ثم تركه وانصرف ولم يكن باقياً في الكنيسة غير اعضاء  
العائلة وقليل من الاصدقاء فسمح موريس العرق البارد الذي كان  
ينصب من جبينه وذهب إلى حيث كان العروسان فلذعرت  
لمرأته لاضطرابه وقالت له ، ماذا حدث واين كنت ؟  
فتلعثم لسانه وقال لها . سأخبرك فيما بعد .

وكان العروسان قد خرجا من باب الكنيسة وفي ذلك الوقت  
كان الاميرال دي فيتراي قد اقبل وتأبط ذراع امرأته فخرج  
بها يتبع الموكب .

وكانت ماري متوكأة على فراع جان ووجهها يشرق بنور  
البشر فهدبات الذي تحبه زوجاً لها امام الله والناس وقد شعرت  
فجأة أن يده تضطرب في يدها وذلك أن خادماً دنا منه وتأوله  
ورقة كان مكتوباً فيها هذه الكلمات .

« انك ابنت أن تعمل ينصحي حتى خدعتك النساء فاحذر  
لفزق لفوره هذه الورقة وعلم انها من خط بيير لاروش  
ولكنه اضطرب وجعل يمدق بنظره إلى جهة خاصة فنظرت

زوجته إلى الجهة التي كان ينظر إليها ورأت فتاة لابسة ملابس  
السواد تدل رجلا كان معها على الزوجين .

أما الرجل فإنه كشف وشاحه فظهرت من تحته ملابس  
رجال البوليس .

وكان هذا الرجل القومسيير الذي جاء مع جانيت فاعترض  
الموكب ودعا من العروسين فنظر إلى جان وقال له :

— هل أنت من يدعونه جان رودريكوس ؟

فأظهر جان من الجراة ما دل على أنه تلميذ استاذة ونظر إلى  
القومسيير نظرة ملؤها العظمة والاستكبار فقال له :

— نعم أنا هو فماذا تريد مني ؟

فاجتمع الناس حولها ورأت الكونتس بلانش تلك الفتاة  
بملابس السواد فصاحت قائلة : إنها هي .. جانيت .. ابنتي .

فبذل الأميرال جهداً عنيفاً حتى تمكن من تسكين اضطرابها  
ويبلغ الرعب من موريس كولباي مبلغاً عظيماً ولكنه بدل آخر

مجهود من التعب ودعا من القومسيير فقال له : أن عملك هنا  
فضيحة تمود تبعثها عليك .

— أي عمل واجباتي .

ثم التفت إلى جنديين كانا وراءه وقال لهما مشيراً إلى جان :  
اقبضا على هذا الرجل .

فصاحت ماري قائلة : اتقبضون عليه وبماذا تهمنونه ؟

— ستمدين ذلك يا سيدتي فيما بعد .

فنظرت إلى زوجها نظرة يأس وقالت له :

— اجب . قل لهم انك لست من المجرمين وانهم مخطئون .  
وكان الجنديان قد تهيبا عظيمة جان وجلال الموكب فلم يجرآن  
على تنفيذ الامر .

وذكر موريس كولباي ما توعدده بيير لاروش حين قال له  
— « بقي لي سر سيخبرك به القضاء لانك متهم »

فبلغ قلبه وقال في نفسه ، ترى ما هذا السر الهائل وقد هاج  
الناس لهذه الحادثة وانتصرا اكثرهم للزوج ولا سيما وقد رأوه غير

مكثرت للقومسيير لا ينظر الا لجانيت التي لم يكن يشغلها سواها  
في تلك الساعة الرهيبة .

وقد خاف القومسيير أن يضطر إلى العنف لهباج الناس  
فأراد الاسراع وامر الجنديان أيضاً أن يقبضا عليه .

وعند ذلك صاح اقارب العروس صيحة دهش وقالوا : هو  
فأفرند كولباي فمن اين اتى ؟ ..

وذلك انهم رأوا فرند ابن عم ماري الذي كان مسافراً قد  
اشترق جامير الناس واسرع إلى القومسيير فهمس في اذنه بضع

كلمات وراه امراً مكتوباً بيده . ثم قال لعمه موريس كولباي  
اسرع بالذهاب بابنتك إلى المنزل والتفت إلى جان فقال :

— تعال معنا ولا تحاول الفرار فان بفرارك هلاكك .  
فهز جان كتفيه ولم يحب .

وبعد ربع ساعة كان جميع الموكب في منزل موريس  
كولباي غير أن هذا الموكب زاد ثلاثة اشخاص وهم القومسيير  
وفرند وجانيت التي جعل الحاضرين ينظرون إليها نظرات

الاندهاش فان ثورة هياجها كانت قد خمدت واطرقت اطراق  
الحزين وجعلت الدموع تتناثر من عينيها قتمر بخديها وتسقط  
تقطاً على الارض فقد رأت امها وهي شبه مدمى عليها بين  
فراعي الاميرال .

اما الناس فقد تفرقوا معجبين لهذه الحادثة دون أن يعلموا  
شيئاً منها ، ورأوا قوسمسير البوليس تداخل في الامر  
بصحبة فتاة حسنامورأوه يخاطب الزوج ولكنهم لم يسمعوها  
قاله له وكان الجميع ايضاً يجهلون الحقيقة ما خلا والد العروس  
فقد عرف شيئاً منها وكان ما عرفه هائلاً :

### الموت أو الحياة

لقد فاز بيير لاروش إلى الآن فوزاً تاماً فقد ترك اهل منزل  
كولباجي قائمين قاعدين لهذه الحادثة فقد كانوا مضطربين  
اضطراباً لا تصفه الاقلام ولا سيبا موريس وماري المنكودة فانها  
كانت تعجب كيف أن زوجها يسكت هذا السكوت ولا يدافع  
بكلمة عن نفسه .

اما الاميرال فانه حين وصولهم إلى المنزل نظر إلى ساعة  
ورأى أن الوقت الذي عينه بيير لفتح الغلاف قد حان ففضه  
وجعل يقرأ ما وجده فيه فكان كل ما قرأ سطرأ يضطرب  
وتظهر على وجهه علامت الرعب الشديد .  
وكان بيير قد اضاف إلى الكتابة التي كتبها إلى تلميذه  
سطين للاميرال كتب فيها ما يلي :

هذا هو سر هذه الحادثة فهو منحصر في كلمتين وهما اني  
اكره كولباجي فان صديقك هذا سحقتنا سحقتاً فهاقت امي من

الحزن ومات ابي من الشقاء وانا انتقم لهم ،  
فلما اتم الاميرال ثلاثة هذه الاوراق اضطرب اضطراباً  
عظيماً وخاف أن يوصلها إلى جان كما تعهد ولكنه قال في نفسه  
لقد تعهدت واقسمت ولا بد من ابصالها اليه .

واما جان فان رسالة بيير اليه في الكنيسة اوقفته على جليلة  
الامر وهو لم ترد اليه هذه الرسالة لكان منظر جانيت وحده  
كافياً لأن يعلم منه أن الوشاية كانت من خليلته ..

ولكنه لم يعلم كيف اتصل بها خبير زواجه وكيف خطر  
بباله أن استاذه قد خانته هذه الحياة لانعام مقاصده .

وفي كل حال قد انتضح له جلياً أن امره قد افتضح ولكنه  
كان قد تعلم الجرأة في مدرسة استاذه فلم يضطرب وعدل عن  
الدفاع في هذا المعتكف فانه كان مستمداً للمخاطرة بكل امر ما  
خلا تلك التي اتقته إلى هذه الهاوية فانه لبث يهاواها بالرغم عن  
هذه الحياة لاعتقاده انه لو قرأ في عيني فرنند كولباجي لعلم أن  
هذا هو عدوه اللدود ولكنه عدو لا يريد الضروبه بل يريد وقاية  
ابنته عنه منه واتخاذها من مخالبه .

وكان فرنند قد خلا بالقوسمسير وحمي بينها الجدال فاغتمت  
جان هذه الفرصة ودنا من جانيت وهي جالسة على كرسيها  
لا تلمي فقال لها يرفق :

- جانيت . فلم تجبه .

فقال لها بصوت منخفض : اني اعلم سبب اضطرابك ولكن  
الظواهر قد خدعتك لو تعلمين :

فقلت له : لا تكلفني فلا اريد أن اعلم شيئاً واجتهد أن  
تغذ نفسك .

- انا احبك يا جانيت - اما انا فاني اكرهك !
- اني سأوضح لك الحقيقة - لا اريد أن اعلم شيئاً ..
- سوف ترين أني لست مذنباً كما تتوهمين ولا سباً لآرائك .
- بل انك ساقط اثم - لا تتسرعي بالقضاء علي .
- كذاب خائن - ارجوك أن تصني لي
- دعني فلا اريد أن اسمحك .

وكان فرند قد انتهى من معاداة القومسيير فدنا من جانيت  
وقال لها .

- تعني جيداً فان تهتك يتعلق عليها موت أو حياة فهل  
لا تزالين مصرة على هذه التهمة ؟  
فوضعت يدها على جبينها وأجابت وهي ضائعة الرشد .  
- لا اعلم إذا كنت في يقظة ام انا حاملة وإذا كنت عاقلة  
ام فقدت الصواب فلا تسألني شيئاً ودع الاسئلة الى وقت آخر  
غير هذا .

فتفتح فرند باب الغرفة وقال لها : تفضلي بالدخول الى هذه  
الغرفة فاستريح فيها وانتظري .  
فامتثلت وهي لا تعلم ماذا تصنع فأقتل الباب وعاد الى جان  
فقال له بصوت منخفض : تلب فاني اريد انفاذك .

فجز جان كتفيه اشارة الى عدم الاكثراث وعاد فرند الى  
معاذته فقال له :

- انك منهم بتهمة هائلة فاجتهد أن تبريء نفسك ثم  
ارجوك أن تجيبني على بعض الاسئلة .
- أنت تريد أن تسألني .
- نعم - بأي حق ؟
- بحق رجل يستطيع اهلاكك حين يريد فاني قادم  
من اميركا .

- لقد خطر لي ذلك فان كرهك اياي عظم يدفمك الى  
الاقدام على اكثر من هذا .

- انك منضدع - بماذا .
- بقولك أن كرهني اياك دفمني الى الجهد في كشف امرك  
- اذن ما الذي دفمك ؟

- عمي لابنة عمي مبنياً على الاخلاص والاحترام ولا  
اكتفك أن عزمك على الزواج بها قد أثار بي الخاوف فما  
استطلعت التغلب على عمي وعلى من يحيط به من الذين خدعتهم  
بأقوالك المنسقة .

- اذن كنت تعتقد ان المعلومات التي نالها عمك عني كانت  
غير كافية فتوليت الاستعلام بنفسك ؟

- هو ذاك وقد سافرت الى نيويورك ومنها الى نيو اورليان  
فأصفر وجه جان ولكنه اخفى اضطرابه بسرعة وقال له  
- لا بد أن يكون المسيو كولباي مبتناً لك .

- لا ارجو امتتان احد مني فما فعلت غير ما يقضي علي به الواجب .

- أسمع لي أن اسألك ماذا فعلت في اورليان الجديدة .  
- دون شك حين أخاطبك بعد أن يسألك القومسير ما يريد أن يسألك اياه .

وكان القومسير قد حضر هذه الحادثة وهو معجب لما يسمع وقد نظر فرند الى جان نظرة مفادها .

« دافع عن نفسك في التهمة التي اتهمت بها ولا تهتم بالمسألة الأميركية فسنبعث عنها فيما بعد فانخذ نفسك »

فالتفت عند ذلك جان الى القومسير وقال له بأدب :

- لقد جاء دورك الآن يا سيدي فما هي التهمة التي تتهمني بها وماذا عولت أن تصنع بي ؟

- انك متهم بالسرقة والقتل وسأصنع واجباتي .  
- ما هي واجباتك .

- أن امرأة قد اتهمتك وساقبض عليك وعليها .  
- اذن انك تعتقد اني من الجرمين .

- لا دخل لمتقدي ولكن التهمة جلية  
- اتتهمني وتدس ميمتي في عيون الناس وتغص علي يوم عرسى وكل ذلك لأنه خطر لامرأة غيري أن تخلق جرائم تتهمني بها .

- المل ذلك ذني .  
- احذر فانك لا تنجح مناج الحكمة والآن فاني اريد التهنئة

- كيف ذلك ؟

- ذلك اني اريد جلاء هذه الحقيقة في التريب الماجل

وانت تريد القبض علي فافعل فاني اتبعك .

- الا تقارم ؟ - كلا :

- ولا تحاول الفرار ؟

- على الاطلاق فاني احترم القانون ولكني سأسأله انصافي

ولك الآن أن تذهب الى منزلي فتبحث فيه على اثر هذه التهمة لرحمة فاذا كنت لصاً فلا بد من ظهور ذلك .

- هل زارك روزن - نعم

- لماذا البيبعك بجوهراته ؟ - هذه مهنته .

- الملك اشترى شيئاً منه - كلا

- ومع ذلك فقد كان لك خلية ؟ - هذا ممكن

- لم تهدها شيئاً من الخي ؟ - كلا

- كيف يكون ذلك وانت غني .

- هذا الذي حدث .

- مهما يكن من الامر فان هذه الخلية تتهمك .

فابتسم وقال : اتتهمني انا ؟

- نعم - بأي ذنب .

- بأنك قتلت روزن أو دفعت احدى اتباعك الى قتله .

- لماذا ؟ - لسرقة جوهراته

- أن التهمة دفعت هذه المرأة الى اختلاق هذه التهمة الشائنة .

- ذلك ما سنبعث فيه وهي تقول أن لك شركاء .

- ابن م ؟

- لقد غادروا منزلك بعد ارتكاب الجريمة .

- ابجسوا عنهم .

- ذلك شأن القضاة الذين سيتولون التحقيق .

ولم يكن هذا القومسيير من الذين تمكن خدمتهم غير أن  
ظواهر هذا الفتى واتصاله بالمستشار وبسانت كلير ، وما من  
اشهر رجال باريس ، كل ذلك دفعه إلى التردد في تصديق التهمة  
المنسوبة إليه .

اما جان فآردف قائلاً : اسمح لي يا سيدي أن أقول لك باني  
لا اشبه اللصوص في شيء فان لي قصرأ في باريس وآخر في  
الشانز ليزيه ولي ثروة قدرها ثلاثة ملايين في المصارف فكيف  
تريد أن اتداني إلى سرقة بائع مجوهرات على أبي سادافع امام  
المحاكم بما ينبغي .

فقام القومسيير إلى العرفة التي كانت فيها جائيت ففتحها وبأدائها

### في العائلة

دخل موريس كولمباي إلى غرفته فحبس نفسه فيها وهو  
يرى الدنيا ضيقة في عينيه لياسه فقد تمثلت له تلك الحوادث  
القديمة وذكر بيير لاروش وكل كلمة دارت بينها حين طرده  
منذ خمسة وعشرين عاماً كأنما تلك الحادثة قد جرت أمس وقد ندم

الندم الشديد وعلم انه كان ظالماً بطرد خليلته وبالقتضاء على عائلة  
لاروش ولكن ماذا ينفع الندم وقد بلغ بيير بانتقامه ما اراد  
وزفت الأخت إلى اشقياء . وفيها هو على ذلك يفكر فيما يفعله  
ولا يتندي دخلت إليه زوجته متيلد وابوها الشيخ سانت كلير  
فلما رأى موريس امرأته عادت إليه سكينته قال لها :

- ابن ماري ؟

- إنها مريضة في غرفتها وقد استدعيت لها الطبيب  
- من يقيم عندها

- برتا خادمة غرفتها .

فقال له سانت كلير : ابسط لنا الأمر بحللاء يا موريس اذ  
لا بد ان تكون عارفاً بما حدث ..

- نعم نعم وهي أمور هائلة -- ابسط لنا

- لا استطيع شرحها

- لماذا ؟

- خير لكما أن لا تسألاني

- هل الأمر هائل إلى هذا الحد ؟

- انه فوق ما تتصور

فسقطت امرأته على كرسي واعية القوى وعاد سانت كلير  
إلى الإخفاج فقال :

- لكل داء دواء ولكن الداء لا يعالج إلا بعد تشخيصه

- ولكن هذا الداء لا داء له .

- انك وامم ومع ذلك فان من حقنا أن نعلم وإذا لم نعلم  
الآن علنا فيما بعد .

- لقد أصبت فاعلم اذن اننا سقطنا إلى اعماق هاروة الخجل

- بسبب رودريكوس - نعم

- من هو هذا الرجل ؟

- لا أجسر على اخبارك

- وهذه الفتاة بماذا اهتمت ؟

- لا اعلم - اترعها - كلا

- أنا أعرفها فأين هي الآن ؟

- لقد رأيت فرند ادخلها إلى غرفة البلياردو

- هل استطيع ان اكلها

فأجابه بلهجة التهكم المضروب قائلاً :

- سل ابن اخي فقد بات الحاكم المطلق في منزلي وهو

يحتل القضاء فيه .

- لو عرفت من اخلاق ابن اخيك ما عرفناه لاحببته كما

احببناه ولما وصلنا إلى هذا الموقف .

- ربما ولكننا الآن في موقف لا يفيد فيه التأنيب

- مهما كانت المصيبة عظيمة فلا أرى بأساً من الاعتراف

بها الي الا اذا كنت غير واثق مني .

وقالت له امراته : انك لم تكن في كل مدة زواجنا

واضياً يا موريس وقد تألمت منك اكثر من مرة ، ولكنني

كنت احتمل بالسر ، ولبئنا متحدثين وعسى أن يكون

الحادث هذه المرة مفيداً لنا في التغلب على هذه النكبة الجديدة

التي لا اعلمها فاعترف فقد تكون اخطات خطأ يميزك عنه

هذا الاعتراف .

- انه اعتراف يتعبك جداً يا متياد

- لا ابالي بعناء بعدما لقت من شقاء ابنتي .

فاعتمد موريس على هذا الكلام ونظر الى الشيخ فقال له :

- هل كان لك اعداء في ماضى من حياتك !

- كلا فقد كنت اجتنب ان يكون لي عدو كل الاجتناب

- اما انا فقد كان لي عدو ولكنه كان صغيراً حقيراً وهو

ابن مزارع عندي كنت حجرت مقتنياته من عهد بعيد وهو

خطالم يتبين لي الاليوم ، فإن عائلة هذا المزارع خدمت

عائلتنا تحسين عاماً ، فقضيت عليها بالخراب التام فماتت الام

بعد هذا الخراب ومات الاب في اثرها وبقي الابن وكان اشاباً

لجاني متوسلاً مستعظماً ولكنني طردته فخرج حائقاً مغضباً

متوهداً وكان ذلك منذ خمسة وعشرين عاماً .

- انصحز مقتنيات مزارع قديم عندي . أن قلبك كان دون

شفقة فامض في حديثك .

- أن هذا الفتى اصبح رجلاً شديداً ووفى بوعده .

- ألمه انتقم ؟ -- افطع انتقام - اين هو ؟

- لا اعلم الآن اين هو ولكنه كان منذ ساعة في الكنيسة

وقد كتب اسمه في ذيل صك الزواج بجملة العظمة والكبرياء .

- اهو استاذ رودريكوس - هو بعينه .

- لقد كنت اتبين الذكاء في عيبيه .

- بل هو ثابتة الشر كما سترى فاني هفوت هفوة في ايام

صباي لا يزال خميري يؤمني عليها وذلك اني كنت متخذاً  
خليفة قبل زواجي فلما أوشكت أن تصير اما اعطينتها شيئاً من  
المال وسرحتها .

- أريد أن تقول طردتها - هو ذاك .

- ماذا كان شأن هذه الفتاة .

- كانت فتاة طاهرة نقية احببتي اصدق حسب بعد أن  
اغويتها واخرجتها من المنزل التي كانت فيه .

فقالت امرأته وقد انفت لما سمعت ، أياكون لك فتاة تحبك  
وتحبك نفسها ثم تطردهما حين تصير اما إن ذلك فطبيع .

- لا انكر فظايعتي في تلك الحادثة التي لا يزال تذكرها  
يؤلمني إلى الآن .

فقال سانت كلير : وماذا حدث بعد ذلك .

علت من كتاب ارسلته الي انها ولدت غلاماً دعت باسمي  
أي جان موريس فما احببتها على كتابها وبعد خمسة أعوام  
اردت أن اعلم ما جرى فذهبت الى القرية التي كانت فيها وهناك  
علت انها انتصرت من بأسها ولم يستطع أحد أن ينبئني بما جرى  
للفلام إلى أن جاءني اليوم هذه الرجل الجهمني فانبأني بأخباره  
- هو هذا الأستاذ .

- أهو يمينه فانه لقي اتفاقاً المرأة المعجوز التي عهد اليها  
بإربية الفلام وعند موتها عهدت اليه به .

فوضع سانت كلير رأسه بين يديه كأنه خاف أن يفهم  
ومضى موريس في حديثه فقال : أن هذا الشهي بدأ منذ ذلك

المهد بوضع الحطة التي كان يريد تنفيذها فربى الفلام على  
مبادئ الشر والفساد وغرس في نفسه كل مبادئه فاهلكه  
ولهلكنا وإياه .

- اذن أن رودريكوس ... - أنه هو

فصاحت امرأته قائلة : أهو ولدك .

اما سانت كلير فانه اطرق هتية مفكراً ثم سأله قائلاً :  
هل أنت واثق بما تقول - كل الثقة .

- وهو هل يعرف انك ابوه .

- كلا ولكن بيير لاورش : أي الأستاذ الجهمني ، سيخبره

- ولكنه ابنك فمن اين جاءه اسم رودريكوس .

- لقد اغتصبه وثروته اختلسها .

- انه ابنك في كل حال ولا بد لك من انقاذه ولو ارتكبت

جميع جرائم الأرض - كيف انقذه .

- أما هي تلك الفتاة التي اهتمت .

- نعم - بآفة جريئة .

- لا اجسر أن افكر .

- انظرن انها لا تزال في غرفة البلياردو .

- نعم فاني لم ارها خرجت منها .

- كيف السبيل إلى أن اراها دون أن يراني القومسيير .

- أن لهذه القرقة بابين فادخل اليها من الباب المتصل

بدائرة المطبخ .

- اذن انتظرنني هنا ولا تذهب قبل أن اعود .



- وقد ذهب سانت كلير وكانت جانبك لا تزال وحدها في  
الفرقة فلما رآته احمر وجهها وقالت له : أهذا أنت .  
- نعم انا هو الذي كان لا يفتأ يفنكر بك ولكن الجهال  
ضيق فنتحدث بسرعة - وماذا تريد مني .  
- خدمة جليلة - ابوسمي قضاؤها .  
- نعم - اذن مر امثل .  
- أن ما اكله اليك منوط بشرف عائلة وبنهات فتاة احبها  
فوق ما احب نفسي وهي حفيدتي ماري فهاذا تهمين جان  
رودريكوس .  
- لقد اجريت شوطاً بعيداً في شكواه .  
- ولكن اخبريني بحقيقة الامر فهل كنت متصدة به ؟  
قاهر وجهها خجلاً وقالت أنه عشيقي وقد سلت نفسي له  
بعد أن لقيتك ببضعة ايام .  
- كنت تعرفينه من قبل ؟  
- نعم حين كنت في شربورخ فقد كان يدعي جان موريس  
- ألم يكن له غير هذا الاسم .  
- كلا فقد كان مثلي لا يعرف اياه .  
- اذن لقد كان فقيراً - نعم  
- اين وجدته ؟  
- انه لقيني بعد خروجي من قهوة الفردوس وكان الصوص

بماولون سلمي فانتقدني منهم وكنت في اشد حالات الشقاء كما  
تلم ففي اليوم التالي ذهبت إلى منزلك فقيل لي انك خرجت منه  
فذهبت إلى منزله في شارع باسانو وهناك اقمعتني انه يجيني  
اصدق حب وانه سيتزوجني وكان يجب أن اقاوم ولكنني لم  
استطع الدفاع ففلبني .

- ربما كنت تحببته - هو ذاك .  
- اذن اخبريني يا ابنتي بكل امره وبكل ما تهمة به  
فاخبرته بكل ما عرفه القراء من امره حتى اذا فرغت من  
حديثها سألهما المعجوز قائلاً : هل اخبرت القومسيير بكل  
هذا - نعم .

يا للشقاء فقد قضيت عليه القضاء المبرم - وأسفاه  
- وقد وهما بوحمة عار لا تحي - انتم  
- نعم فان مولده سرأ خفياً كمولدك لا استطيع الاباحة به  
فهل تصلين بنصحي ؟

.. هذا لا ريب فيه فاني مدينة لك بجميل لا انساه  
- اني اريد اتفاد جان حذرأ من اقتضاحنا - نعم  
- أن القومسيير سيألك ايضاً نفس الاسئلة التي  
سألك اياها .

- ماذا يجب ان اقول ؟  
فعلها سانت كلير ما يجب .نقله بسرعة حتى اذا تم القاء  
تعاليمه قال لها : أهتمت ؟ قالت : نعم  
- التملين بما اوصيتك - دون شك

وعند ذلك سمع صرير المفتاح في القفل فاسرع الى الاختفاء  
ودخل القومسيير وفرند الى الغرفة فقال لها القومسيير :  
ارجو ان تكوني قد تممت في هذا الأمر الدقيق .

قالت : نعم يا سيدي

قال : اذن فاعطي انك قد اتهمت هذا الرجل تهمة  
عظيمة تقضي عليه بالهلاك اذا ثبتت غير انه يدفع هذه التهمة  
بقوله ان الغيرة قد جعلتك على اختلافها لانها أضلت صوابك ،  
فاذا سكنت لا توالين مصرة عليها كان من واجبي ان اقض  
عليه في الحال : وفي ذلك شين عظيم لعائلة يحترمها جميع الناس  
وانما أقول لك هذه الأقوال كي تعلمي حرج الموقف فلا تقولين  
غير الحقيقة .

فأطرقت برأسها كأنما خميرها يؤنبها وألها فرند قائلاً :

- أوالين مصرة على شكواه - كلا

وقد ذرفت الدموع من عينيها فقال لها القومسيير :

- اذن تعترفين انك كنت كاذبة ؟

فأجابته بصوت خافت قائلة : نعم .

- اهي الغيرة التي دفعتك إلى هذا الاختلاق - نعم

فعض شفتيه ولم يعلم السبب في هذا الانقلاب ولكنه قال

في نفسه : اما أن تكون كاذبة أو هي مجنونة .

وقد يرجع جنونها إذا ذكر ما كانت عليه من الهياج حين

لغيبته اول مرة ولكنه كان لا يزال مشككاً في الأمر .

وفي كل حال فقد سر من هذه النتيجة اذ لم يكن من

مصلحت أن يمادي مثل موريس كولباي فالتفت إلى فرند  
وقال له :

لم يبق علي يا سيدي غير التنحي وقد سررت لهذا الانقلاب  
الذي ساعدني على اجتناب اشدأث امور مزعجة في منزل احترم  
اصحابه كل الاحترام .

ثم قال بصوت منخفض ، ولكن الشك لا يزال يخامرني  
ولديك بضع ساعات فاغتم هذه الفرصة وأعمل ما يوحيه اليك  
ذكؤك فاني قد اضطر بعد هذه المهلة إلى العمل .

فشكره فرند بالنظر وقد فهم قصده والتفت القومسيير إلى  
جانيت فقال لها :

- انا قد نحتاج اليك في التحقيق فهل تمدينني انك لا  
تبرحين باريس .

- نعم .

- اني اعرف اسمك وعنوانك فانت تقيمين في فوكرسور  
ليس كذلك - نعم .

وعند ذلك دخل رجل ومشى تواقاً إلى القومسيير فقال له :

يا اخمن هذه الفتاة ارضى بضائتي ؟

فأخس القومسيير امامه بلاء الاحترام وقال له : كيف لا  
ارضى يا سيدي ضماناً الاميرال دي فيتراي .

- اشكرك فاذا استجتم إلى هذه الفتاة فيا بعد  
فاطلبوها مني .

- لماذا - لانها ابنتي .

- ابتك أنت يا سيد الاميرال !

- نعم لقد اختطفت مني في حادثة لا متسع لذكرها إلى ان لقيتها فهي لا تفارقني بعد الآن .

ثم اخذ بيد جانيت وقال لها تعالي يا ابنتي ولا تخشي لمرأ فان بيرن بوديت قد ماتت وهي تحبني عنك وعن ابنتها تعالي وقد خرج من تلك الغرفة وخرج القومسيير في الزمانيه وبقى جان رودريكوس وفرنند فقال له جان :

- هل رويت ظمأ حقدك يا سيدي .

- كلا لم اروه بعد . - ماذا تريد ايضا ؟

- سأخبرك بنتائج سفري إلى نيو اورليان فاعلم اني ذهبت إليها وعلت هناك أن عائلة رودريكوس كبيرة ولكنها منقسمة إلى اربعة فروع اما الفرع الذي كان منه جان رودريكوس فقد انقرض .

- تريد انه سينقرض بعد موتي الذي لم يتقرر بعد !

- لقد كنت مصيباً لو كنت من هذه العائلة وقد كان يوجه في الحقيقة رجل يدعى جان رودريكوس وله عمرك ولكنه اختفى فقد سافر إلى أوروبا يحمل معه كل ثروته اذ عول على الاستيطان فيها وكان ذلك منذ اربعة أعوام ولكن اخباره قد انقطعت وقد سألتها عنه في لندن فوردت اخبار لا شك انها مزورة . - ذلك ما تقوله على سبيل الطنون ؟

- بل على سبيل اليقين وهذه هي صورة جان رودريكوس الحقيقي فانظر فان الشبه بعيد بينكما كما ترى .

ثم اخرج من جيبه الصورة الاصلية فنظر إليها جان نظرة

سريمة وقال : يمكن أن يكونوا خدعوك .

- كلا فقد اخذت هذه الصورة من اهله وهم يشهدون عند الاقتضاء .

- ماذا تريد أن تعني من كل ذلك ؟

- اعني انك لست جان رودريكوس وانك اختلست هذا الاسم وأن حقدى قد افادك الان بانقاذك من القومسيير ولولاي لكنت الآن في السجن وإذا كنت اردت انقاذك فلاني اردت تسهيل فرارك وليس ذلك لاعتقادي ببراءتك فانه إذا كان سواي يشكك بجرائمك فاني منها على اليقين .

- ما هي براهينك ؟

- أن براهيني في جيبى وكلها تقضي عليك ولكن اتفق لحسن حظك اني مخلص لابنة عمي ماري فاردت أن انقذها من ذلك العار واليأس حين يعلم الناس أن التي احبته حكم عليه بالاعدام ولقد تأخرت يوماً واحداً ولولا هذا التأخير لما عقد هذا الزواج .

- وماذا تريد الآن .

- اريد أن اقترح عليك اقتراح .

- ما هو ؟

- هو اني اساعدك جهد امكاني واعينك على الفرار بشرط أن تعطيني الضمانة اللازمة .

- ما هي الضمانة !

- اجلس عند هذه المكتبة واكتب ما امليه عليك .

- وإذا ابيت ا

- اعدو إلى فندق كائن بين مدينتي جاكسون وتنج في اسبانيا وصاحب هذا الفندق يدعى باولو مورينا وقد ارشدني إلى الحفرة التي دفن فيها جان رودريكوس في طريق قرية وضع اهلها صليباً فوق الحفرة وكتبوا فوقه حكاية مقتل هذا الرجل - ولكنه قتل ببارزة ا

- بل قتل غدراً ثم سلب وعندي البراهين .

فتمن جان في حرج موقفه واقتكر ببعانيت ورأى أنه يعرض عليه الفرار ، أي النجاة والحرية ، بحيث يستطيع أن يرى جانيت بعد ذلك فقبل باقتراح فرنتد وقال له امل علي ما تشاء .

فامل عليه فرنتد ما يأتي :

« انا جان موريس الموقع على هذا الصك اعترف بانني اختلست اسم جان رودريكوس اختلاساً وأن صاحب هذا الاسم اميركي مات في البلاد الاسبانية حين قدومه إلى باريس في فندق رجل يدعى باولو مورينا على اثر حوادث لا سبيل إلى ذكرها ،

« وبالتالي فاني اعترف أن زواجي الذي عقد اليوم زواج ملثى واني ارجع عنه لانه عقد باسم رودريكوس وانا ادعى جان موريس ،

ثم قال له : ضع اسمك الآن .

فردد جان عن التوقيع وحاول أن يمزق الورقة فاقوفه فرنتد بإشارة واخرج امرأ مكتوباً من جيبه وقال له :

اقرأ فهذا الامر يقضي بالقبض عليك اينما وجدت .

فمض جان على شفته حتى كاد يدميها وقال له :

- اية ضمانة لي مقابل هذا الصك الذي املته علي .

- حريتك في مدة اربع وعشرين ساعة فإذا كنت عاقلاً

بلت الماهر في هذه الليلة وسافرت منها إلى حيث تشاء .

فتهد جان تهاداً طويلاً ثم اخذ القلم وكتب في ذيل الصك اسمه الحقيقي .

فقال له فرنتد : انك ارتكبت جريمة افطع من هذا الاختلاس والان فاعلم أن زواجك قد بات في حكم الملثى فارجع عنه من تلقاء نفسك ذلك خير لك لو تعلم .

وبعد أن اخذ فرنتد الصك ووضع في جيبه قال له :

- أني سأفي بتمهدي فإذيع شيئاً من امرك ولم يبق عليك الا أن تسرع بالسفر .

وكان جان قد سمع الاميرال يقول لجانيت ، أن امرته بوديت قد ماتت فقال في نفسه : انها لا بد أن تسهر عليها هذه الليلة وساراما وهي ستأذن لي أن اراها لأنها تحبني دون شك والا فما حملها على الرجوع عن وشايتها غير الحب ؟

ولا ابالي بالقضاء ولا بالحكم فاني اعرف أنت ادافع عن نفسي فما مرجع امري الا اليها . وعند ما انتهى من مناجاة نفسه نظر إلى ما حواليه فوجد نفسه وحيداً فذهب إلى تلك

الغرفة التي كانت فيها جانبيت على رجاء أن يحدها هناك ولكن حين وصل إلى الباب اعترضه رجل فقال له :  
- اني كنت انتظر أن يجئوك بك المكان لاحتلك في شأن خطير .

وكان هذا الرجل الاميرال فيتراي .

كان الاميرال دي فيتراي من المدققين في امور الشرف ولكنه على تدقيقه لم يسمه الا الاشفاق على هذا المجرم الكبير إذ تمثله انه ربي من غير أهل يمتنون بقربيته ودون مرشد يقوم اوده ويديه سواء السبيل فاندفع في مجال الغمي والضلال بلغب اعمال ابيه فكان مجرمًا وهو ليس من المجرمين .

فعمدا لقيه قال له : لدي يا سيدي مهمة صعبة لا بد لي من قضاها إذا تمهدت بها فانك تجهل اسم ابيك اليس كذلك ؟

- اهذا الذي تريد اخباري به ؟ - ربما

- خير لك ألا تخبرني - لماذا ؟

- لأن اسمه سيحج جوارحي .

- الملك تكبره ؟ - كره الموت .

فلم يحبه الاميرال على ذلك فانه منذ ذلك الحين الذي اطلع فيه على تلك الاوراق التي اعطاه اياها بيير لاروش وعرف حكاية جان موريس وقرأ رسائل امه المؤثرة إلى ابيه انكر فطاعة ذلك الاب فلم يعجب لجاهرته ببغضه وقال له بعد سكوت قصير .

- هذه هي الاوراق التي عهد الي أن اطعمك عليها .

- من الذي اعطاك اياها ؟

- لقد وعدت أن اكرم اسمه وأن هذه الاوراق تنبتك باسم ابيك وفيها صك ولادتك ورسائل امك .  
- اشكرك يا سيدي .

- وقد انتهت مهمتي من هذه الوجبة وبقي لدي مهمة اخرى تمهدت بقضاها ايضا فاقراً الآن هذه الاوراق .  
فاخذ جان الاوراق وجعل يقرأها مسرعاً إلى أن انتهى إلى تلك الرسالة التي طالما قرأها بيير لاروش وهي رسالة الام إلى ولدها يوم انتحارها فظهرت عليه علامات التأثر الشديد وانهاالت الدموع من عينيه .

وكان يعلم أن امه ماتت منتحرة وأن اياه طردها اقبح طرد ولذلك تولد كره ذلك الاب الذي لم يكن يود أن يعرفه وهو الان سيعرفه فن عساه يكون !؟

وقد مضى في قراءة تلك الرسالة حتى انتهى إلى موضع منها وصاح صيحة منكورة وقال : هو ... ربه اذلك يمكن !

ولكن امه التي كانت تكتب اليه فكيف يشكك باقوال امه وقد عرف الان أن هذا المشيق الذي اساء إلى امه واهانها ودعاها إلى الانتحار انما كان موريس كولباي . وقد كتبت اليه امه في آخر هذه الرسالة ما يأتي :

- انك متى كبرت وصرت تمر بالشانزليزه بين تلك المناظر الغضبية تجد أباك هناك دون شك .  
على اني لا اريد أن تجهل اسمه ولكني التمس منك يا ولدي

الحبيب أن تغفر له كما غفرت لنا من قبلك .

فاجتهد أن تكون من افاضل الرجال ولا تسر الا في طريق الحق ولا تمس الا من كسب يدك فانه مهما كان قليلا يكتفيك لاجتياز هذه الطريق الكثبية التي يدعونها الحياة .. وإذا رأيت هذه الحياة ثقيلة عليك فتمال الي فاني انتظرك .

ولما اتم جان ثلاثة هذه الرسالة قال يخاطب امه .

- انك امرأة ضعيفة يا امامه لا تستطيعين الانتقام ولكني سأنتقم لك ولا اصفح صفحك . وعند ذلك رأى الاميرال وكان قد نسيه فقال : العمل كولبائي من اصدقائك يا سيدي ؟

- نعم

- الحق انه كان يجب أن تمزق هذه الاوراق وتلقبها في النار ثم تذر رمادها في الهواء .

- ولكنني تمهدت بايصالها اليك .

-- الملك قرأها - نعم

- لا شك أن بيير لاروش اعطاك اياه .

فلم يجب الاميرال ومضى جان في حديثه فقال :

- أن بيير لاروش كان يكره موريس كولبائي كرها عصبيا وهو لم يقل لي كلمة عن هذا الكره ولكني الان ذكرت ما كنت اراه من تهكمه حين يذكر امامه هذا الاسم فقد انكشف لي سر الماضي وأن لوريس كولبائي كثيرا من الاعداء ولكنه لن يحد السن عدائي ولقد كنت عازما على الفرار ومبارحة فرنسا اما الآن فقد رجعت عن هذا العزم لاني اريد

ان ادنسه وارضه بوحمة عار لا تحصى فقد قتل امي ياسا وهي بحب اصدق حب .

حق انها الرصنتي به غيراً ساعة انتحارها وامرنتي انا الشقي اللص اللقيط أن اعفو عنه .

نعم ايها الاميرال اني لا اكرم امرى فاني اريد أن يحاكموني ويحكم علي بالاعدام واشتق امام هذا القصر واصبح ببله صوتي غاطباً هذا الاب العاتي فاقول : انظر ايها الشقي ما صنعت بابنك .

نعم لقد وضع النور لعيني الان وعلقت مراد بيير لاروش من تربيتي .

فقد اراد الانتقام من ابي ولا بد أن يكون حقداه عليه عظيما حتى انه ضحاني في سبيل انتقامه وانا رفيقه وتلميذه وشريكه بل اني بشابة ولده .

وأني غير حاقده عليه اذ يظهر أن الانتقام اعظم ملذات نفس وأي انتقام اشد من أن يزوج ابن عدوه بابنته فيقتلن الاخ باخته والان فلنعد اليك ايها الاميرال فقد قلت أن لديك مهمة اخرى

قال هو ذاك - ما هي .

- أن اساعدك وأن اتقذك إذا كان ذلك بإمكانني .

- ارأيت أن بيير لاروش نفسه هو الذي عهد اليك بايصال هذه الاوراق الي فان هذا المسكين قد اضطر إلى تضحيتي في سبيل انتقامه ولكنه سمى إلى انتقادي فلجأ اليك ؟

- وانا مستعد إلى مساعدتك في كل ما تريد وخرائتي  
وهن امرك .

اشكرك ايها الاميرال - اقبل ؟  
- اية فائدة من ذلك ؟

- انك تنهب إلى انكاثرا أو إلى اميركا وإذا احتجت إلى  
مائة او مائتي الف فرنك اعطيتك اياها .  
- اليس لي اب وهو من كرام الاغنياء و فوق ذلك فانت  
تعلم اني غني ايضا

- ولكن اموالك كسبت من مصادر غير مشروعة ؟  
- بل كسبت بسفك الدماء .

- اذن كيف تستطيع الانفاق من هذه الاموال دون أن  
يقررك خميرك فتكون حياتك حياة عذاب ؟

- بل انفق منها كما ينفق كثيرون سواي فان معارك الحياة  
تشبه معارك الحروب والسعيد فيها من يكون من الفائزين وقد  
فزت وهل تحسب اني انا المجرم الحقيقي ؟ كلا فقد نشأت  
يتيا لنيطاً شريداً فكان مثلي مثل السفينة التي تكون في البحر  
العجاج دون دفة ودون شراع فتتقاذفها الائج إلى حيث نشاء  
العواصف وانما استخدمت هذا التعبير لأنك من رجال البحار  
لهذا تريد أن اكون وكيف تريد أن اكون وكيف تريد أن  
انشأ لا سياً وقد رباني هذا الرجل الفني الذي كان بوسعه أن  
يستخدم امواله للخير ولكنه لم يستخدمها الا في سبيل الاسامة  
إلى الناس فنشأت كما يريد واصبحت من اهل الجرائم .

انه اراد الانتقام فاحسن عملا اذ انتقم لنفسه ولامني  
الشكوة اما جرائمي فقد بت افتخر بها الان لازيد في عار ابي  
وسارويا لجميع الناس .

نعم اني لص بل أن جرائمي فوق ما تظن فان ابنة ابي فتاة  
طاهرة شريفة كأمها ولكني خدعتها وتظاهرت بحبها دون أن  
احبها فاني احب سواها وهي فتاة يجب أن تعبد لا أن تحب  
فاطمين يا سيدي فما هي شريكتي وقد كتمت عنها ماضي حياتي  
لأنني احب أن تحترمني اما ماري فاني لم اكن اطعمها لأنني  
لم اكن احبها بل كنت اطعم بمرها وهو ثلاثة ملايين ، واهرب  
به بعد اقتناع جانيت التي احبها على الذهب معي دون أن  
تلم مصدره .

هذه هي خططي اما خطة بيير لاروش فقد كانت مزدوجة  
اذ كان يريد أن يطعن عدوه بثروته ويقبله فيسلبه ماله ويشقيه  
بشقاء ابنته غير أن الصدفة قد اتت بغير ما يريد أو أن له ماريأ  
أخر بما فعل فانه اوقف خليتي على حقيقة حالي فضل صوابها  
ووشت بي في ساعة بأس بحيث لم يبق لي غير الانتحار أو الفرار  
- ولكن إذا قبضوا عليك ؟

- اكون من الشاكرين اذ يتم انتقامي باقتضاح امر ابي على  
انني استطيت الدفاع عن نفسي اذ لا يوجد براهين تثبت جرائمي  
ولم يكن غرض جانيت من اتهامي الا منع زواجي وقد منعته  
وتم قصدتها فلا تتعرض بعد ذلك لشكواي .  
- اذن أنت لا تخاف شيئا .

- دون شك فانهم يستطيعون اتسامي ولكنهم لا يستطيعون الحكم علي وستكون النضيحة عظيمة ولكنها لا تزهيني فان تبعثها تسقط على رأس سواي .

- ولكن امك قد نصحتك نصيحة يجب أن تعدها بمثابة امر  
- ما هي - هي أن تصفح .

فبرقت عيناه ببارق من الحقد وقال : معاذ الله أن اعفوك وقد اورثت هذا البيت الحجل والمار وما انا بتادم بل اني لا اقف عند هذا الحد .

وفي كل حال فاني اشكرك ايا الاميرال لما تبرعت به علي ولكني لا احتاج اليه فلي من المال ومن الحقد ما يكفيني لاتسام قصدي فاذا لم النجح به بقي لي وسيلة اخرى .

- ولككك مها كنت مجرماً يا بني فانك لا تزال في مستقبل الشباب فاذا نهجت النهج القويم فلا ترم بك بضمة اعوام حتى تنسى ماضيك ولا تذكره الا كما تذكر الاحلام .

وفوق ذلك فانك مستقدم إذا لم تتبع نصح امك وهي من اهل الرشاد كما علقت من رسائلها فتق بما اقول لك يا بني فان الانتقام لا يورث غير الندم وقد ندمت قبلك .

- أنت ؟

- نعم فقد انتقمتم منذ عشرين عاماً ولا ازال معذباً من ذلك العهد فكأنني قد انتقمتم من نفسي .

وقد حاول جان أن يبيح لي ولكنه شغل عن ذلك بدخول

موريس كولباي فانه دخل اليها فقال للاميرال بصوت منخفض : دعنا وحداً فتركها وبقي الابن مع ابيه .

\* \*

وقد جعل كل منها ينظر إلى رفيقه هنيهة دون أن يتكلم إلى أن بدأ موريس الحديث فقال :

- انك شديد القسوة علي كما يظهر .

- الملك كنت تسمع حديثي ؟

- لقد سمعت بعضه .

- اذن لا حاجة لان اظهر لك عواظي .

- كلا فقد عرفتها .

- إذا كان فأية فائدة من هذه المقابلة ؟

- لدينا علائق يجب أن تنظر فيها فانك مها كانت افكارك بشائي فاني أعد نفسي من اهل الشرف واني ما خرجت لحظة عن تلك الشطة المثلى التي يجري عليها المتمدنون ورسومنا بالشريعة .

- اية شريعة تعني ؟

- تلك الشريعة المكتوبة التي لا اعترف بسلطة غير سلطتها والخلاصة اني لا ابحث في ما إذا كنت ولدي أو لم تكنه وإذا كان يجب الاعتراف بك او انكارك فان ذلك يتعلق بضميري علي اني اعترف أن علائقي بامك قيدتي بواجبات لم اقضها حق قضائها ومع ذلك فقد اعطيتها الف دينار حين تركتها .



- انه مبلغ جسم !

- كلا ولكنه كان يضمن لها الحياة عدة اعوام تربى في  
خلاها ولدها ولو اتفق لها ذلك مع سواي لاعطاها اقل من هذا  
المبلغ فاني حين عرفت أن امك كانت تكسب ثمانمائة فرنك في  
العام ولم يكن لها رجاء من مستقبل التعلم وهي تفاصيل دينية  
لا أحب البحث فيها ولكني نهجت كما ينهج كل رجل سواي فانها  
لم تكن الا خلية لي .

- اني اعرف ذلك فلا حاجة إلى اعادته .

- وقد ذكرتها بعد زواجي وكانت كتبت إلي عن ولادتك  
فذهبت إلى القرية التي كانت فيها فعملت انها ماتت غرقاً وبعثت  
عن طفلها فلم يستطع احد أن يبشني بشيء من اخباره .

- ولو وجدتي فماذا كنت تصنع ؟

- كنت اربيك تربية صالحة واطمن مستقبلك .

- مستقبل لقيط .

- كنت اجتهد أن اجعلك في سلك الضباط .

- أو تجعلني مستخدماً في احد المحازن .

- على المرء أن يسمى ما فيه خيره وأن يقضي واجباته نحو  
نفسه ولولا بيبير لاروش لكانت تلك المعجوز التي ربنتك اخبرتك  
باسم ابيك فأتيت إلى مساعدتك بالسر خير مساعدة .

- أكنت تسميني باسمك ؟

- المحسب ذلك واجباً ؟

- وإذا اعترفت بي ألا تكون قد قتت بواجباتك ؟

- أن الآراء مختلفة في هذه الواجبات ولكل رأيه .

- إذن كنت ترفض الاعتراف بي لو لقيتني ؟

- ذلك ممكن .

- وعلى ذلك فأية فائدة لي من الاتيان اليك .

فوضع موريس يده على جبينه وقد هاجت العواطف في قلبه  
ليس من حبه لولده بل لحوفه من هذا العدو الجديد الذي  
فاجأته به الاقدار .

اما جان فانه قال له : لست في حاجة إلى نصحك

وتمايلك فأوجز في المقال وقل ماذا تريد مني .

- اريد انقاذك من موقفك الحرج .

- لست في حاجة اليك فاني اعرف أن اتقذ نفسي .

- جان اني اعلم بانك لا تحبني ولا تحترمني ولكنك لا

تستطيع أن تمنعني عن التعمير عما أسأت به اليك .

- لقد فات الاوان وربما اكون اصبحت من المالكين

ولكن لست أنت الذي تستطيع انقاذي .

- من الذي يستطيع ؟ - امرأة .

- كيف ذلك ؟

- ذلك لا يحكم أن تعرفه .

- صدقك عظيم كما ارى .

- لا احد له فقل ما الذي تريد أن تقترحه علي ؟

- اريد أن اضمن فرارك وامنع البوليس عن مطاردتك

واعطيك ثروة .

- انك لا تكون بذلك من الحسنين بل تكون قد وفت  
ديناً عليك .

- انك من غير اشفاق .

- الملك اشفت علي وعلى امي والان احسب أن قلبك  
هو الذي يدفمك إلى الرحمة ؟ بل هي كبرياؤك فانك وقمت في  
الفخ الذي نصبه لك بيبير لاروش فانت لا تريد انقاذ حريتي بل  
تريد انقاذ شركك لحرصك عليه حرصك على هذه الاموال التي  
تجمعها اكداساً في خزائنك اذ تحشى أن يعلم الناس بان ابنك هو  
هذا الفخ الذي اكتسب امواله بالسرقة وسرق اسم رودريكوس  
بعد أن قتله وانتظم في سلك عصابة لندرا واشترك في قتل  
صمويل روزن .

- اخفض صوتك .

- لماذا ؟

وما اخاف ؟ العلك تفضح سري أنت احرص مني  
على كتابته اقول انهم لو عرفوا أن هذا الشقي هو ابن ذلك  
الوجيه المشرع موريس كولباي المشهور وانه ذلك الغلام الطريد  
الذي القى حبله على غاربه منذ ولدوا انه ابن تلك المرأة المتكودة  
التي اهانها من ادعى حبها وقضى عليها أن تتحجر بأسا وانه ابن  
ذلك الرجل الذي قتل امرأة ضعيفة سنونة بكبريائه كما يقتل  
للصوص بالتحجر وانه ذلك الشقي الذي اقلل باهه في وجه ولده  
وهو من لحمه ودمه ونبذته نبد النواة واللقاء في مهاري الفقر والشقاء  
وعرضه لارتكاب الذنوب .. اقول انهم لو عرفوا ذلك لما

حكوا على ذلك الابن التمس المنكود بل حكوا على ذلك الاب  
الشقي السفاك فكيف تريد بعد ذلك أن اكون من المشفقين ؟  
نعم اني اكرهك كرها لا ينتهي الابالموت لتلك الاهانة التي  
قضت على امي بالموت واني اكرهك لانك كنت السبب فيما  
وصلت اليه ... واني اكرهك لأن دمك قد صب في عروقي والله  
لا اعلم ما يمنني عن الانتقام منك لي ولا مي وأن انوب عن الله  
في قتلك فان الناس لا يعاقبونك .

وقد استل خنجر فحزه بيده وبرقت عيناه كبريقه وهم بقتله  
اما موريس فقد اصفر وجهه من الرعب ولكنه لبث واقفاً  
في مكانه فكشف يديه وقال له :

- اضرب يا قاتل ابيه .

فالتى جان الخنجر إلى الارض ونظر اليه نظر المحترق

فقال :

- كلا لا اقتلك فان الموت يريحك من تربع الضمير ولو  
قتلتك لما كنت آتماً فان ذنب الابن بقتل ابيه اخف من ذنب  
الاب الذي يتغلى عن ابنه ويقتدي بوحوش القفار وأن القضاة  
امثالك يحكمون على الابن ولكن القاضي الاعظم يحكم على الاب  
وهذا القاضي هو الله ... الوداع فقد عرفت كثيراً هذا المنزل  
ولا تحف فاني لن اعود اليه ولكن تذكاري يمل فيه واعلم اني  
لا اغفر لك واني اكرهك لقتلك امي ولانك جعلتني من  
الصوص فاذا لم تحذر انتقامي فاحذر غضب الله .

ثم مشى إلى باب الغرفة فاستوقفه عند العتبة انين صممه

فنظر فرأى في الغرفة المجاورة فتاة لابسة ملابس بيضاء وهي ملقاة على مقعد صفراء الوجه مغمضة العينين وبجربها امرأة راكمة وميشيل سانت كلير ممسك بيد الفتاة .

فوقفت جان وقد راعه هذا المنظر فقال سانت كلير . انظر ماذا صنعت ؟

فقد جان يده مشيراً إلى ابيه وقال له : لست انا المذنب بل هذا .

وعند ذلك اقبل الطبيب فاسرعت ام ماري اليه وقالت له بربك انتقذها .

ودفعت الشفقة جان إلى البقاء ليعلم مصير ضحيته اما الطبيب فانه فحص ماري وسأل أمها قائلاً هل تلتفت خيراً مفاجئاً ؟ - نعم .

فعاد إلى فحصها ثم قال : لا يستطيع أن احكم الآن ولكن يجب الحذر - بما تحذف ؟

- من حمى في الدماغ - ايكون ذلك خطراً ؟  
- ربما ولكنني ارجو لها الشفاء .

وكان ابوها قد سمع قول الطبيب فوقف ينظر اليها نظرة الحزين وقالت له امرأته بصوت اجش :

- انها سمعت كل الحديث .  
وتبولدت بين الاب والابن نظران دلتا على الحقد العظيم

فقال جان لايه  
- لقد بدأت ساعة العذاب واني اشفق عليها وعلى امها

واما عليك فلا .

ثم خرج من ذلك المنزل وسار تواقاً إلى منزله في شارع باسانو فطرق باباً ووالى القراع مراراً فلم يجبه احد ففتحه بفتاح كان معه فلم يجد فيه احداً من الخدم فدخل إلى غرفته فوجد كل امتعته لا تزال في موضعها وعلى نظامها فذهب إلى غرفة استأذنه فلم يجد شيئاً من امتعته وابتقن انه سافر .

وعند ذلك اخذ يفكر بمجoadات ذلك اليوم المائل التي كانت كلها مصائب ونكبات ثم انصرفه إلى التفكير بأمره فقراى له انه لا يستطيع انتقاذه غير جانيت فاذا صدته واستقرته فأية فائدة من الحياة .

غير انه كان لا يزال طامعاً بمجنونها وحبها وقد علم أن مربيته ماتت وانها لا بد أن تسهر بجانبها هذه الليلة فعول على اللهاب اليها في الليل .

وكانت الساعة قد بلغت الثالثة بعد الظهر فأخذ مسدساً من خزائنه ففحصه ووضعه في جيبه ثم خرج من المنزل فركب مركبة وسار بها يتنزه في الشازليزه دون أن ينتبه لمركبة كانت تسير في اثره اينما سار .

وفي الساعة السابعة أطلق سراح مركبته ودخل إلى مطعم مشهور فوقفت المركبة التي كانت تغفو اثره قرب الباب .

- لا تنكري فقد كنت تحسبيني من غير قلب لاني  
تخلت عنك .

- نعم لقد خطر لي ذلك فقد كنت شقية والشقاء يدعو  
إلى الظلم .

- هو ذاك يا ابنتي وكيف تستطيع ام أن تتخلى عن  
مولود اقام بين احشائها فاني لم تكن قر ساعة دون أن افكر  
بك فيها وقد كنت ضعيفة حين اختطفت مني فلم  
استطع الدفاع .

- من الذي اختطفني منك .

- رجل كنت اكرهه والعنه اما اليوم فاني احبه وباركه  
لانه ودك لي .

- اهو الاميرال ؟

- نعم يا ابنتي وهو سيحضر وسأخبرك بكل امري كي  
تصفني عني وثقي بي .

- انا المحتاجة الى صفحك واخاف الا تغفري لي .

- انك عدت لي فلا تفارقيني بعد الآن مها كنت وإذا  
كنت قد اخطأت فان تبعه هذا الخطأ يجب أن تعود على سواك  
واما انا فلن تجدي مني غير حنو الامهات . والان فاسمعي قصتي  
وهنا حكيت لها جميع ما عرفه القراء من امرها دون أن  
تكم عنها امرأ حتى إذا اتمت حكايتها قالت لها : افهمت  
الآن كل شيء ؟

- نعم يا سيدتي .

## الأم والأبنة

عندما اخذ الاميرال دي فيتراي بيد جانيت قال لها تعالي  
ولا تخشي امرأ وسار بها توأ إلى امها وقال لها :

- هذه هي ابنتك فاذمعي بها واهربي من هذا المنزل .

فأسرعت الكونتس فضمته إلى صدرها وخرجت بها  
مسرعة إلى المركبة دون أن تكترث لتلك الحادثة التي جرت  
في منزل كولباي ودون أن تسمع كلام زوجها أو محتاج إلى أن  
يعرفها بابنتها فان خفوق قلبها كان خير دليل .

وقد لقيت اخيراً تلك الابنة التي طالما بكتها فأسرعت بها  
كأنها خشيت أن تفقدها ايضاً حتى إذا وصلت بها إلى المنزل  
دخلت واياها إلى غرفتها وكانت فيها وصيفتها لويز فقالت لها  
وهي تكاد تطير سروراً .

- هذه هي يا لويز . هذه هي ابنتي فذمينا وحدنا الآن  
ثم القت بقبعتها على الارض وفعلت مثل ذلك بقبعة ابنتها  
وجعلت تعانقها وتقبلها وقد غسلت الدموع وجنتيها ثم اجلستها  
بجانيتها على مقعد وجعلت تنظر اليها وتقول :

- يا الله ما اجملك فقد كنت تتمثلين لي هذا الشكل .

فاطرقت المنة بعينها وقالت لها : ماما .

- اواه كم تكونين قد بغضتني .

- اماء ؟

- لا تناديني بهذا اللقب فانا لملك .

- ولكنني غير خليقة بالانتساب اليك ولو علت امري ..  
فقاطعتها قائلة : اسكتني فاني احبك مها كان ماضيك وانما  
اعترفت لك بامري لووثقي من انك كنت تلعنيني ايام شقائق  
والان فاخبريني عن تلك المرأة التي ربنتك .  
- انها كانت من خير النساء .

- اتحيتها .

- كيف لا احبها وقد كنت عندها بمثابة ابنتها وقد ماتت  
اليوم وانا بعيدة عنها فزاد ذلك مصيبة على مصائبي .. دعيني  
اذهب اليها فقد سهرت عليها كل ليلة امس وكنت معها في  
الصباح قبل أن تموت .

- لماذا تركتها ؟

- ستعذريني متى عرفت السبب فقد تركتها لان عشيقتي  
كان يقترن بدموازيل كولباي .  
- عشيقك !

- نعم وهو فتي لا اسم له ولا عائلة مثلي عرفته في شربورغ  
وكان نشيطاً شريفاً ثم لقيته في باريس منذ شهرين وكنت مع  
مربييتي وبنيتها في اشد حالات الشقاء والجوع .

ثم سارت وجهاً بيديها وقد خجلت من تمة الحديث فضمتها  
امها إلى صدرها وقالت لها :

- اتقي حديثك يا ابنتي فان الجوع خير شفيح :

- اني اردت انقاذ مربييتي وبنيتها .

- كيف اتقنتها ؟

- رباه اني لا اجسر على القول فستكرهيني دون شك .

- كيف اكرهك يا ابنتي لانه انا التي جلبتها عليك ؟

- اني خرجت في ليلة هائلة على وجهي من الياأس وقد قطع

قلبي انين المجوز وبكاه ابنتها فدخلت إلى قهوة عومية لانتاس

المال ... افهمت ؟

- مسكينة يا ابنتي

- وهناك لقيت رجلاً منحني بضمّة دنانير منحة المشفق

الكرم وهو ميشيل سانت كلير .

- هو !

- وقد كاد يتقذني لو شاءت الاقدار ولكنها ابت الا

أن تلقيني في وحدة - الشقاء فقد خرجت من تلك القهوة عائدة

إلى المنزل فاعترضني اللصوص واتقذني منهم رجل كان يلعبني

وهو ذلك الرجل الذي عرفته في شربورغ فذهبت في اليوم

التالي لشكره في منزله وهناك عاد الينا تذكّار حبنا القديم فماذا

تريدين أن أقول ؟

- لقد فهمت يا ابنتي فهل كان يجبك ؟

- هذا الذي كان يقوله لي إلى أن علت اليوم خير زواجه

بجفيدة سانت كلير فأسرعت إلى الكنيسة وليست الفيرة التي

دفعتني فاني أنفت أن أغير من هذا الرجل ولكنني اردت

انقاذ جفيدة المحسن علي .

- انقاذها !

- نعم فاتها تزوج فتى غير اهل لها .  
 - ماذا تقولين ؟  
 - انه من اسفل الاشقياء يا اماء فهو من اللصوص  
 - عشيقك !  
 - بل هو سفاك ولم اكن اعلم شيئاً من امره ولكن الصدفة  
 التي جمعتنا كشفت لي اسراره فعرفت حقيقة امره بعد فوات  
 الاوان وبعد أن احببته اصدق حب .  
 - لا تخشي يا ابنتي فان حبي سيكون لك خير عزاء  
 وستلسين ونفسي :  
 - ايمن نسيان مثل هذه الامور فانك لا تنفري في اليوم  
 الا من باب المروءة .  
 - بل من قبيل الحب .  
 - وانك بعد أن تتعمني تعلمي اني شقية الثيمة ما دخلت  
 منزلك الا لاتي فيه الخجل والعار وانني موقنة بانك لا  
 تستطعين محو الماضي ولا استطيع أن انساه .  
 - انك عظيمة وسوف ترين فلا ابالي بشيء في الوجود وأنت  
 معي وقد لبيتك فوجدتك طيبة كريمة شريفة لم تخطئي الا بعد  
 أن أذلك الفخر وصرعك الحب . اني بكيتك كثيراً يا جانيت  
 ولكنني ارى المستقبل يضحك لي وقد رأيتك فأنسى كل ما  
 مضى من احزاني ... انظري الي يا ابنتي وقولي المحببيني  
 بحلاه عما أسألك عنه !  
 - نعم يا اماء .

- المحبين هذا الرجل ؟  
 - لقد احببته من قبل .  
 - ألا تزالين تحبينه ؟  
 - اني اريد أن يكون سعيداً وأن ينجو ويرجع عن  
 ضلالة القديح .  
 - ولكنك ما احببتي جواباً صريحاً فهل لا تزالين تحبينه ؟  
 - مكلاً .  
 - لماذا ؟  
 - لأنني لا استطيع أن احب الا من كان صادقاً  
 خلصاً شريفاً .  
 - أتقولين الحق ؟  
 - نعم يا اماء :  
 - اذن لقد نجوت وربما استطعنا انقاذه .  
 - اني اهب عشرة اعوام من حياتي على ان اراه آمناً بعيداً  
 وعند ذلك وقفت مركبة عند باب المنزل فقالت امها :  
 - هذا هو الاميرال .  
 وبعد هنية دخل الاميرال فقال لجانيت :  
 - اني ادعوك يا ابنتي لانام واجب محزن :  
 - اني مستعدة .  
 - اذن تعالي معي إلى تلك المسكنة التي احببتك كابنتها  
 فقد كان اسمك آخر ما لفظته .  
 قاعترضته امرأته قائلة : انفارقتي وانا لم اكد اراها ؟

- ذلك واجب مقدس لا بد من قضائه ابتها العزيرة .  
ثم التفت إلى جانيت ففتح ذراعيه وقال لها :

- اريدن يا ابنتي أن اكون اباك ؟  
- ولكنني غير جديرة بك .

- بل انك خير الفتيات وانا المسيء اليك فقد حركت في  
مهامه قفراء فهل تلاميذ إذا ضللت السبيل .. انا المخطيء وانا  
المسيء وانا الذي التمس الغفران .  
ثم ضمها إلى صدره بضمه الاب الشفوق وقد سالت الدموع  
من عينيه ويعسد هنيهة كان واياها واماها في مركبة تسير بها إلى  
فوكرسون لوداع الارملة الفقيذة .

### آخر مقابلة

وقامت جانيت مدة طويلة يحانب الارملة تبكيها بالدموع  
العزيرة إلى أن ادخلتها اماها إلى الغرفة التي كانت تبيت فيها  
وتركتها تسرع بالرقاد وذهبت إلى غرفة الميتة :

وكان الليل قد انتصف وفيها هي جالسة تفكر سمعت وقع  
خطوات على السلم فابتغيت أن اللقادم جان وقالت في نفسها :  
ماذا يريد مني وفي أي شأن اتى ؟

اما جان فانه اتى تواراً إلى تلك الغرفة فلما رأى جانيت تنه  
في ارتياح وقال لها كنت اخاف أن لا اجدك ثم جلس على كرسي

وبقيت هي واقفة وقد ظهرت عليها علائم الاضطراب فقال لها:  
انك لم تكوني منتظرة قدومي .

- أنت وحدك هنا ؟

- كلا فاخفض صوتك فان اختي ثائمة وقد ماتت اماها  
والكوتس دي فيتراي سامرة عليها .

- الكوتس دي فيتراي ا

- نعم وهي امي .

- نعم نعم لقد وجدتها اخيراً واني اهنتك فقد آمنت  
الآن الشقاء ، أعرفت أمك حكايتك؟

- لقد اعترفت الآن لها بكل امري .

- انها جرأة عظيمة فقد اذملتها دون شك ولكنها غلطتها  
وفوق ذلك فانك طيبة كريمة الاخلاق لا يمكن لاحد أن يحقد  
عليك حتى انا فاني اساعك .

فسكنت ولم تجبه وقد ذكرت سؤال اماها اياها إذا كانت  
تجبه فقلت انها كانت تحب جان موريس الذي عرفته في  
شربورغ لا جان رودويكوس .

اما جان فقد قال بعد سكوت قصير ، اذن لقد ماتت  
تلك المجنونة المسكينة ؟

- في هذا الصباح .

- اكنت عندها ساعة موتها ؟

- كلا .

- وعلى ذلك فقد اصبحت حرة بعد موتها .

- نعم فلماذا تقول لي هذا القول ؟  
 - لا لشيء ولكنني تمننت في امري منذ بضع ساعات  
 فعلت بعدما بدر منك في هذا الصباح اني لا استطيع البقاء في  
 باريس اما انت فانك قد لا تريدني فراقها .  
 - لماذا ؟  
 - بسبب عائلتك الجديدة فاذا سافرت فاذكري اتفاقنا  
 وهو ان تسافري معي .  
 - اسافر معك ؟  
 - نعم أملك نسيت ؟  
 - كلا ولكني لا اظنك تسالي تنفيذ هذا الوعد .  
 - ماذا يعني .  
 - يمنعك انك أنت لم تف بوعديك .  
 - ارى انه لم يبق لك بي ثقة .  
 - هو ذلك .  
 - وأن زوجي قد اساءك .  
 - لا اخفي عنك اسبابي  
 - كيف عرفت بأمره .  
 - من الجرائد ثم من رسالة وردتني .  
 - من ! - لا اعلم .  
 - انها من اساذي دون شك .  
 - العلة كان يكرهك فيخونك .  
 فهز رأسه وقال : كلا ولماذا يكرهني ولكنك كان يكره ابني

- ابوك ! ماذا تعني بذلك .  
 - نعم ابني وهو موريس كولباي المستشار صهر ميشيل  
 سانت كبير القني الشهير .  
 - ايكن ذلك أن يكون ؟  
 - كما أن تكوني ابنة الكونتس دي فيتراي .  
 فلبت جامدة مبهوتة واستأنف جان الحديث فقال : أن  
 بيري لاروش كان يكره ابني كرهاً شديداً وهو من اهل التصور  
 والاختراع فولدت له قريحته خاطر تروحيجي باختي وانما اراد  
 بذلك الانتقام من موريس كولباي وانا لا اعلم .  
 - موريس كولباي أبوك .  
 - نعم هو بعينه فاسمعي حكايتي : وهنا روى لها كل ما  
 عرفه من امره وابيه وكيف كان اتصاله ببيري لاروش  
 إلى أن قال بعد فراغه من الحديث ، اني علمت اخيراً أن  
 بيري لاروش ما تولى تربيته الا ليستمد مني آلة لتنفيذ انتقامه  
 فأقام كل ذلك للمهد الطويل يزرع في نفسي بذور الفساد إلى أن  
 عرفني بهذه العائلة وادخلني اليوم إلى الكنيسة وقال لابني بعد  
 عقد القران .  
 « هو ذلك ولدك » وعلى ذلك فاكون قد تزوجت اخني .  
 وقد انتفض انتفاض العصفور بللته المياه وقال : اني لا  
 افكر بذلك حتى تهتر عظامي فاني لما خرجت من منزل كولباي  
 كان الطبيب مشككاً بسلامتها من العلة التي فاجأها فكان مثل  
 تلك العائلة المنكودة مثل عش تعث به ايدي اللعان فينقلب



إلى الارض ويكسر البيض والأب والام حول ذلك العش وما يصيغان الصيحات الاليمة

- ألدريك ادلة تثبت أن موريس كولباي ابوك ؟

- لقد ارسل لي بيير لاروش هذه الادلة .

- كيف ؟

- بواسطة الاميرال دي فيتراي .

- اذن أنت غير مشكك بهذه القرابة ؟

- على الاطلاق .

- ولماذا لم يخبرك بها استاذك من قبل .

- لتنفيذ اغراضه لاني لو علمت أن ماري اخوتي لما

اقدمت على زواجها .

وكانت جانيت تتكلم بصوت منخفض خلافاً لجان فانه كان

غير مكثرت لشيء وقد تجهم وجهه وارتج صوته فكان يشبه

تلك النجوم المتلذبة المنذرة بالمصافة .

وعادت جانيت إلى الحديث فقالت : ماذا جرى لاستاذك

- لقد تركني في وسط هذه المعممة .

- أين هو .

- لقد سافر دون شك إلى انكلترا كي لا تصل إليه

يد القضاة .

- اذن لقد خاف .

- لانه من اهل الحكمة .

- يسافر دونك .

- لا حاجة لي به في شيء .

- ولكنه لم يتعلق بك هذا التعلق الا لبيضبك .

- انه كان يحب الانتقام فوق محبتي .

- وماذا قال لك ابوك .

- لقد اقترح علي أن يعطيني مالا فان المال عنده كل شيء .

- لماذا اقترح هذا الاقتراح ؟

- كي اسافر ولا ازعجه .

- اذن هو يريد أن تكون بعيداً عنه ؟

- لو امكنت أن يرسلني إلى القطب الشمالي لفعل .

- ماذا اجبته .

- لم اجبه بشيء .

- على ماذا عزمتم ؟

- على أن استشير امرأة ثم ارى .

فلم تجسر جانيت على الألاح لخوفها من أن تفهم ما يريد

ويهد ان تبينت من لهجته عزيمة هائلة كانت تخشى انفجارها

فأرادت تفسير الحديث وسألته قائلة : ماذا جرى لماري .

- لقد تركتها مغمياً عليها على ما وصفته لك .

- انها كانت تحبك دون شك ؟

- ربما .

- بل هذا لا ريب فيه بدليل رضاها بزواجك .

- قد يكون ذلك ولكنها لم تكن تعلم اني اخوها

- أنت كنت تحبها ؟

- كلا .

- إذن لماذا خدعتها ؟

- بأمر استاذي .

- وماذا كان مرادك أن تصنع بعد الزواج ؟

- أن اهرب بالهرب .

- وحدك ؟

- كلا بل مع المرأة التي احبها والتي لا احب الحياة الا

من اجلها .

- إذن لقد كان هذا الزواج جريمة جديدة تضاف

إلى جرائمك .

- لا انكر ولكنك عرفت مبادئي بشأن معارك الحياة .

- وعودك ؟

- اية وعود ؟

- التي وعدتني بها ليلة اعترافك .

فادني كرسية من كرسيا ولكنها ابتمدت عنه فمض شفته

وقال : ارى انه لا بد ان اقول لك كل شي . فاسمعي . اني

اردت اختطافك والسير بك إلى أقصى مكان فادفن جرائمي في

باريس واعيش واباك سعيدين .

واني كنت ارضى بكل ما تقترحينه علي ما خلا الفقر وما

وراءه من الشقاء ولا اطيع ان اراك شقية منكودة .

وما ضرني إذا اقررت جريمة اخمن بها هناك فاني اكون  
قد اقتديت بكثيرين سواي وهذا الاميرال دي فيتراي الذي  
يعده للناس من كبار اهل الشرف اتعديته بريثاً وقد انتزعك من  
امك عشرين عاماً لينتم وهذا ابي رجل القضاء الفني المشهور  
الاحسبينه مجرماً وقد دفعه البخل والنذالة إلى طرد امي  
والتهخلي عن ولده وهذا هو قضاء الله استطيعين تغيير قضاؤه  
وكل ما حدث لم يكن الا بقضاء منه .

اما انا فقد اقررت جريمة لا اريد بها غير الخبر لسواي وقد  
خاتني اولئك الذين لم ارد خيانتهم وتحملني عن ذلك الذي كنت  
احبه كأبي فلم يبق لي غير ملجأ واحد وهو حبك . وانا اعلم  
انك محتاجين إلى شجاعة عظيمة كي تستطيعي مساعدتي وأنا غير  
مساعد . ليك لشكواي فقد هاجتك اكاذبي وخيانتني فساني الا  
افكر الا بك وبحبك وبينناك وبمستقبلنا وقد جئت اليك  
لأسألك إذا كان هذا الحب قد مات في قلبك فاذا كان ذلك  
تلبت مصيبتني بصبر الشجاع .

ف نظرت اليه نظرة المشفق وقالت له : ماذا تفعل ؟

- ما يريد ابي .

- اتسافر .

- سافراً بعيداً لا رجوع فيه .

- إلى أين تسير .

- إلى مكان بعيد فأجيبني بحلاه أتسيرين معي

- انك لم تف بتعهدك فكيف تريد أن أفي بعهدي .  
- هو ذلك ولكن دعيني احاول اقناعك وتقي بيمينتي  
فهي صادقة واعلمي اني لم اخنك فاني ما احببت سواك ولا  
تكون الحياة الا بالليل إلى غير الحبيب .

فظهر الاضطراب على وجه جانيت وتبين في عينها انها  
لا تميل إلى مشاركة رجل لا تحترمه ولكنها تشفق عليه فقالت  
له بلهجة دلت على الحنو :

- ومق سافرت يا جان أذكون سعيداً على الأقل  
- كل مكان تكونين فيه معي فهو جنان الخلود .  
- وإذا لم اكن معك .

- لا ادري ما يكون مصري وانا غني استطع أن اعيش  
عيش الرخاء فاذا شئت أن لا اعيش من امسوال الجريفة فان  
الاميرال عرض علي ما اشاء من ماله واني عرض علي ثروة بشرط  
ان ابتمد عنه وأنا قادر على اصلاح الماضي والعيش عيش  
الاشراف ولكن ماذا يفيدني كل ذلك . اذن أنت لا تحبينني .  
- لا اعلم ولكنني لا ازال اسمع صوت ذلك اليهودي  
المنكود يرن في اذني .

- اسكتي .  
- ولا ازال ارى دم ذلك الغني الاميركي يسيل امامي .  
- اسكتي .  
- لا استطع نسيان هذه الامور فهي تمنع حاجز بيننا

- اذن لقد قضيت علي القضاء المبرم ؟  
- اني منذرة من ماضيك ولكني لا أطيق أن اراك  
حزينا قانطاً فقد احسنت الينا ايام شقاتنا .  
- لا تخشي علي في من الشجاعة فوق ما تظنين .  
- اصغ الي يا جان فاني لم ارتكب جرائم احاسب عليها  
ولكني ارتكبت زلة لم يكن يجب أن اقدرها فاعلم اني لا اتزوج  
مدى الحياة بل اشعر اني لست من اهل الحياة .  
- أنت .

- نعم فقد اكبرت علي تلك الزلة وفكرت ملياً فلم اجد  
لنفسى عذرا وقد خيل لي اني اورثت تلك العائلة الخجل  
والعار وأنت في مقبل الشباب فسافر واصلح شأنك  
فاذا بقيت حية بمد بضعة اعوام فانثني باخبارك وعواطفك  
وما طراً على نفسك من التغيير فاني لا انسى اني كنت لك  
واني احببتك .

- بضعة اعوام  
- اتحسب ذلك كثيراً !  
- لا اطيق الصبر على هذا القراق فمذابه اشد من  
عذاب السمير .

- وأنا لا اصبر على صبرك !  
- اذن لقد عزمت عزماً اكيداً على البقاء في فرنسا  
- نعم وسأموت فيها فان قلبي مريض ولا شفاء له .  
- وانا السبب في هذه العلة .

- لا انكر ذلك

- لقد اصبت يا جانيت وأنت تريدن برهانا على حيي  
وندمي فدعيني اكتب بضعة اسطر إلى التي سأرافقها فان القطار  
يسافر إلى المافر بعد نصف ساعة وسأذهب فيه .

- اذن اكتب

وقد قامت إلى النافذة ففتحتها ووقفت فيها تتلثم الهواء  
لاضطراب انفاسها وهي تلك النافذة التي طالما انتظرت فيها  
من قبل .

وكان جان يكتب مسرعا وهي تسمع صرير القلم على الورق  
في ذلك السكون .

وفيا هي واقفة سمعت دويا عظيما فالتفت منذرة فرأت  
رأس جان منقلبا على الكرسي وقد اخترقته رصاصة وسالت  
الدماء منه على الارض .

ولكنه تمكن قبل أن يفيض عينيه من أن ينظر نظرة اخيرة  
إلى تلك التي كان صادقا في حبها كما قال دون أن يشير بيده إلى  
الورقة التي كتب عليها .

فاسرعت جانيت لتجدته عليها ترد اليه الحياة ولكن ذلك  
محالا فانه مات وهو يتكلم ويطبق عينيه وهذا ما كتب اليها .

« ايتها الحبيبة .

« لقد عرفت ما أوحث إليك جراثمي من الرعب على أتى  
احبك بملء جوارحي وكان حبك وحده قادرا على انقاذي » .

« اني افارق هذه الحياة غير آسف عليها وكل ما اتناه أن  
يعثر رجل شريف بهذا الكنز الثمين الذي فقدته وهو انت  
ويتملك بما تستحقينه من الهناء .  
« الوداع يا جانيت فاني اموت على حبك وأن عظامي ستهتز  
في القبر لهواك »

« جان موريس »

فصاحت جانيت صيحة منكزة وسقطت منميا عليها بجانب  
عشيقها وكانت المركبة التي تقفو جان واقفة عند باب المنزل فلما  
دزى صوت المسدس خرج منها الرجلان اللذان كانا فيها وهما من  
رجال البوليس السري فدخلوا إلى المنزل واسرعت الكونتس  
بلانش إلى ابنتها فضعتها إلى صدرها وركع الاميرال عند الجثة  
وفحص القلب فوجده لاحراك فيه فالتفت إلى الشرطيين  
وقال لهما .

اخبرا من ارسلكما بما رأيتمه فان هذا الفتى يدعى جارت  
موريس ولا اعلم إذا كانت ذنوبه دعته إلى الانتحار ولكن لم  
يبق للقضاء شأن معه فقد سد ما عليه من الدين .

التقاهة

كان ذلك الزمن الذي حدثت في خلاله حوادث هذه الرواية زمن المعرض العام في باريس وقد غصت شوارعها وفنادقها بالذين قدموا اليها من جميع الاقطار وشغل الناس عن هذه الحادثة بذلك المرض الفعيم ولم يبق غير الجرائد التي تستطيع اذاعة امر هذا الزواج الغريب ولكن فرزند كولباي ابن عم بلانش اسرع إلى ملاقاته الامر واشترى مكوتها كما يقولون ما خلا القليل منها وانقطع الاهل والاصدقاء عن زيارة منزل كولباي فقد اقبل ابوابه ولكن الاهل كانوا يسألون البواب كل يوم عن صحة ماري فيجيبهم بجز رأسه وبالتهد العميق . وقد مضى على ذلك شهر وماري بين الموت والحياة واما مقيمة إلى جانبها الليل والنهار وقد خيم اليأس على هذا المنزل إلى أن تغلب صباحا على العلة وزال الخطر وقد فتحت عينيها ورأت اما بجانبها فتهدت وقالت لها ...

كفى يا امي فانك ستقتلين نفسك بهذا السهر الدائم فاستريحى . قالت اطمئني يا ابنتي فاستريح قريبا .  
- كيف ذلك ؟

- لانك سوف لا تحتاجين إلى عيائتي .  
- أهذا ما قاله الطبيب .  
- نعم فقد زالت المخاوف ودخلت في دور التقاهة فاعرضي عينيك يا ماري واسترحي بالرقاد فان النوم يفيدك .  
- اني لا استطيع الرقاد بل اني اخاف أن اظم .  
لماذا يا ابنتي !..  
- لتلك الاحلام الخفيفة التي تعذبني اشد عذاب .  
- مسكينة يا ابنتي !  
- بل أنت المسكينة يا امي فانك تلقيين اشد ما القى .  
وقد خيافت أن تؤثر عليها فابتسمت لها وغسرت الحديث فقالت :

- اين ابني ؟

- لا اعلم .

- انى لا اراه .

- نعم انه يأتي نادراً ولكنك تعلمين أن اشغاله كثيرة ولم تقل امها هذا القول الا وهي سافنة على زوجها اشد الحنق فان موريس كولباي لم يكن يجيء إلى المنزل الا في القليل التادر وقد ضع اليأس رشاده فان بعض الجرائد التي لم يتمكن من اسكانها نشرت خبر ذلك الزواج مقتضياً مضطرباً اذ لم تكن تستطيع الوقوف على حقيقة السر ولكنها كانت تنشر كل ما يتصل بها مما لا علاقة له بهذا الزواج فنشرت خبر انتحار جان وكان الشرطيان قد اطلعا على الرسالة التي كتبها قبيل

انتحاره فنشرت أيضاً تلك الرسالة وكان بير لاروش يرسل إليها أيضاً من حين إلى حين رسائل تمس موريس اشد المساس ولكن بير لم يفضح السر وانما كان يكتب رسائل توم القراء يقرب افتتاحه فكان موريس ينام خوفاً على احمر من الجمر . وبعد فان خميرة كاد يقتله ألم يكن هو علة كل هذه المصائب وقد نامت ماري وحاولت امها أن تقفو قليلاً على كرسيا ولكنها سمعت وقع خطوات فانتهت فرأت ابعا سانت كلير داخلًا يمشي على رؤوس اصابعه ووراءه فرنند وقد وقف عند الباب .

فقامت إليها والدتها وقالت لها انها نائمة فلنجلس بعيداً عن سريرها وتحدث بصوت منخفض . فقال لها ابوها وقد راعه اصفرارها :

- انك لقيت عناءاً شديداً يا ابنتي .

- نعم يا ابي ولكن هذا العناء قد زال اليوم

- هل جاء الطبيب اليوم ؟

- كان هنا منذ ساعة .

- ماذا قال ؟

- الحظر قد زال ولو سلبني ايها الموت لمت معها

وقال فرنند : أن مدام دي سانت بيران ارسلتني للوقوف

على اخبارها فان الطبيب يخبرها كل لية بما لها ولكنها لا تكتفي بها .

فقال له الشيخ بمازحاً وقد اطمأن على حفيده :

- اذن أنت قادم لحسابها ؟

- ولحسابي ايضاً .

- أن مودتك ظاهرة لا ريب فيها والاميرال .

- انه مسافر غداً إلى برينانيا .

- وابنته ؟

- لقد شفيت تقريباً فتقلب صباحاً .

- ما اعجب حادثة هذه الفتاة لقد جاءت لزابوتي في صباح

يوم وكنت قد خرجت منذ خمس دقائق فار لفتيني لما حدث

شيء من هذه التكببات والان فلتنصرف فاني اخاف أن تستيقظ

ماري لحديثنا .

ولكن ماري استبطلت عند ذلك وذات جدتها قائلة :

- أهذا أنت ؟

- نعم

- ولكنك لست وحدك .

- كلا بل ممي صديق .

اهو فرنند .

- هو بعينه ألا تريدان أن تويه .

- كيف لا اريد أن اراه وهو لم يفارقنا لحظة .

ثم نادت فرنند فدنا منها وهو مضطرب فمدت له يدها

وقالت له :

- اني اعلم بملك تأتي كل يوم وذلك يدل على انك غير

ساقط علي .

- لماذا احقد عليك ايها العزيزة وأنا لا اريد غير هنالك  
بل اني اضحي حياتي في سبيل هذا الهناء .

- اذن انك تستطيع أن تحدمني خدمة جليلة .

- انا !

- نعم أنت .

- ماهي .

فنظرت إلى امها وجددها نظرة التوسلة اليها أن  
يعذراها مقدماً .

ثم قالت لفرند :

- يوجد امر بيا القتون بالحرص على كيتانه عني وأنا  
أحب أن اعرفه .

- سبي ما تشائين يا مساري وإذا كنت قسداً على  
اجابتك اجيبك .

- أي تزوجت منذ شهر في كنيسة السيدة وكان زوجي  
يدعى جان رودريكوس واني اريد أن اعلم أولاً لماذا اتت تلك  
الفتاة اللبسة ملابس السواد بصحبها قوسبير البوليس وماذا  
كانت تريد ثم اريد أن اعلم ايضاً من اين اتيت أنت ايضاً  
يوم العرس .

- سأخبرك عن ذلك فيما بعد .

- كلا بل اريد أن اعلم الآن فلا تكتم عني هذه الاتباء  
يا فرند فان راسني منوطة بها ولا تحددني فقد سمعت قسماً من  
الحقيقة من قه حين كان مختلياً مع اني فان ما استخبرني به لا

يمكن أن يحزنني اكثر مما حزنت بل اني ارفع هذه الاتباء .

فاستثار فرند امها وجددها بالنظر ثم قال لها :

- هل لك قوة تعينك على سماعها .

- نعم .

- إذن فاعلمي أن جان رودريكوس كان غلاماً

انكره ابوه .

- وهذا الاب هو ابي أليس كذلك .

- نعم فان هذا الفقى يدعى جان موريس لا رودريكوس

وقد ترك وشأنه في هذا الوجود فضل سواء السبيل وجمع ثروته  
بالحرام وهذه الفتاة ذات الملابس السوداء كانت مثله في مولدها  
فجمعت الصدقة بينها وتآلف قلب هذا الاثيم مع قلب هذه  
الفتاة التي تستحق الشفقة .

- كيف هو اثم :

- أولاً بزواجه فانه لم يكن يريد منك غير مهرك .

- سمعته قال هذا القول .

- ثم باختلاسه الاسم الذي كان يتسمى به .

- من اخنلسه .

- من فقى اميركي غريب .

- ماذا جرى لهذا الفقى .

- لقد قتل فلا تسأليني عنه المزيد .

- حسناً وابن هو جان الآن ؟

- لا اجسر على اخبارك .

- لقد قلت لك أني أريد أن اعلم كل شيء .  
- إذن فاعلمي انه كان يستطيع الفرار فقد مهدنا له اسبابه  
ولكنه ابى ودفعه اليأس إلى الانتحار !  
فأطبقت عينها وقالت :

- مات اخي .  
- ولبتت على ذلك هنيهة والجميع يراقبونها خائفين ثم  
جعلت الدموع تسيل من عينيها ومدت يدها إلى ابن عمها وهي تقول  
- اشكرك .

فلثم فررند تلك اليد الصفراء ثم انصرف مع جدها فقالت  
- مسكين جان ليفر الله له كما غفرتا ومنصلي من اجله  
ليس كذلك يا اماء !

\*\*\*

مضى على هذه الحوادث شهران شفتت فيها ماري بلانش  
اتم الشفاء ففتحت ابواب منزل كولباي لزواره وعاد اليه ذلك  
الصفاء القديم بفضل فررند وسانت كلير فانها كما لا يفارقان  
ماري حتى ذهب ما بها وعاد التوردي إلى خديها وسادت السكينة  
على أهل المنزل ما خلا موريس فان الهم انهكه فلم يكن يلقى  
غير مطرق حزين فكان بيير لاروش يزور باريس متنكراً من  
حين إلى حين ، لا لفرض الاليمتغ نظره بوجه موريس

المضطرب ويرى تأثير انتقامه فيه .  
ولكنه كان اشد اولئك الضحايا حزناً على تلميذه فقد كلت  
عيه حقيقة كوله .

ولم يخطر له في بال انه سيقدم على الانتحار اذ لو خامره في  
ذلك اقل ريب لاضى انتقامه دون شك ولذلك صرف كل  
قوى عقله الجهنمي إلى الانتقام من موريس فكان كل ما لاحت  
له فرصة صدمة جديدة ابتكر له عذاباً جديداً كاديذهب  
بفؤاده فكان ذلك عزاؤه عن فقد جان .

واما جانيت فانها شفتت من علتها شفاء تاماً ولكنها كانت  
تلقى من الحزن واليأس اشد ما يكون ولم يشفع حب الاميرال  
وحنو امها بتكبتها فكانت إذا رأت امها تحاول اخفاء ياسها  
فتبتسم ابتسام حزن يزيد ذلك اليأس ظهوراً فلا يخفى عن تلك  
الأم المسكينة ولا عن ذلك الاميرال الشريف .

وكان قد تبناها اصلاً خطأً للقدم فباتت من اهل النسب  
وصارت تدعى جانيت دي فيتراي فكان ذلك غريب عامل  
للتوفيق بين الزوجين .

فعاد الي قلبيهما ذلك الحب القديم وعاشا اعتناً عيش لو لم  
ينفض عندهما حزن جانيت الدائم فانها كانت لا تزال تعتقد انها  
غير جديرة بالانتساب إلى هذه العائلة وأن الاميرال لم يتبناها  
الا ارضاء لامها أو من باب الاحسان .

ولكن الاميرال كان يعتقد غير اعتقادها وبحسب أن هذا  
الحزن لم يتمكن من قلبها الا لانها فجمعت يحمان فاتفق مع



زوجته على السياحة بها والابتعاد عن باريس على رجاء أن يساعدها هذا البعد على السلوى فأعد معدات السفر وسافر في اليوم التالي مع زوجته وجانيت وماري ابنة ارملة بوديت وقد جعل الاميرال هذه الرحلة قاصرة على التجول في الريف لجمال مناظره الطبيعية واتفق أن المركز دي كروجر : وهو قتي من اعيال الريف : كان عائداً من باريس إلى موطنه في بريطانيا قرب صخرة مورجابت فتمتع بالاميرال واسرته وكان رفيقهم في هذه الرحلة يسير واياهم في طريق واحدة ويقع واياهم في فندق واحد وهو اهل السلامة والذوق فكان لهم مؤانسة في الطريق .

وما زالوا يتجولون حتى دخلوا إلى ولاية بريطانيا وتجولوا في بعض قرأها فسأل المركز كروجر جانيت يوماً قائلاً :

كيف رأيت بلادنا يا سيدتي ؟

قالت : اني لم اجد بها شيئاً مفرحاً إلى الآن .

دون شك فانها لا تعادل باريس والفرق بينها بعيد

بلى انها تفضل عن باريس مراراً في كل شيء .

اذن أنت لا تحبين العاصمة يا سيدتي .

على الاطلاق ..

أيمكن ذلك يا سيدتي أن يكون !؟

بل اني اؤثر أن اقيم في اسقر القري التي اجتزناها على أن

اقم في باريس .

ماذا تقولين يا سيدتي ؟

— اقول حقيقة ما اعتقد به .

— إذا كان ذلك فخير لك أن تقسمي بيننا .

وقد نظر اليها نظرة ارتعشت لها فان عينيه اشبهتا بهذه النظرة عيني جان شيئاً عجيباً اختلج له قلبها فاطبقت عليها كأنها لم تستطع مقابلة حدة النظرة .

ورأت انها تأثر هذه النظرة فاشتركت في الحديث كي تعين ابنتها على اخفاء اضطرابها .

وكان المركز يحمل كيساً صغيراً فسأله الاميرال قائلاً

— ما هذا الكيس ايها المركز ؟

— انه يحتوي على بعض حبوب من القمح اربرد تجرية زراعتها قاني في ايام الحرب كنت قائداً في الجيش الاحتياطي واما في زمن السلم قاني من المزارعين ليست هاتان المهنتان خير المن ؟

— هذا لا ريب فيه فانك ستواصل السفر معنا اليس كذلك

— نعم إذا اذنت فلم يبق لدي غير اربع مراحل وكذلك

انتم فستصلون اليوم قاننا شبه جيران .

— الا تزال عازياً ايها المركز ؟

— نعم ايها الاميرال ...

— العمل ذلك لعدم رغبتك في الزواج .

— كلا ولكني لم اجد إلى الآن فتاة تروق لها عيشتي الريفية فان فتيات اليوم لا يحلن الا بباريس واظن اني سأموت عازياً .

واختلف الحديث بينهم إلى أن دنت ساعة السفر فركب  
الركيز مركبته ووعد الاميرال أن يزوره وسار الاميرال  
بأمرته فوصل عند الظهر إلى قصره المسمى بقصر فيتراي فدخلوا  
اليه وقال الاميرال لجانيت بصوت يرتجف من الخوف .

- انك الآن في منزلك يا ابنتي ورجائي أن تمنحك هذه  
المناظر الطبيعية على النسيان وأن تذكرني أن هناك موقوف  
على هناك .

كان قصر فيتراي من اجل القصور الريفية تكتنفه الاشجار  
والغابات من جهاته الاربع وقد افرغت عليه الطبيعة جواهرها  
فكان الاميرال والكونتس رجوان الشفاء لجانيت في وسط  
هذا الحلاء الهادي من علة نفسها كما شئت من اعتلال جسمها .

وكان فصل ربيع فكانت الكونتس تذهب كل يوم بابقتها  
إلى الحقول والبساتين والغابات والاميرال يقضي اكثر اوقاته  
بزيارة مجاوريه واخصهم المركيز كروجر غير انه كان يلاحظ  
جانيت بظرف خفي فيرى أن حزنها لا يزال بادياً وانها تبذل  
جهداً عنيقاً كي تتمكن من اخفاء تلك الاحزان ومع ذلك فان  
جميع الناس في تلك الجهات الثالثة عن باريس لم يكن احد منهم  
يشكك بولدها وكانوا يعلمون انها ابنة الاميرال حقيقة - وانها  
للوريثة الوحيدة لتلك الثروة العظيمة والجهد الربيع فيحترمونها

اجل احترام ثم أن جمال الطبيعة وتلك العزلة وذلك البعد عن  
العاصمة وما كانت تلقاه من الخوف في المنزل ومن الاحترام في  
خارجها كل ذلك كان يجب أن يبينها على نسيان حادثة الكنيسة  
وحادثة الانتحار ولكن الاميرال كان يعرب رعباً شديداً حين  
يباغتها في خلواتها ويحدها مسترسلة إلى الحزن والتفكير .

وقد اتفق يوماً أن المركيز كروجر وكاهن القرية كانا  
مدعون عند الاميرال للطعام وبعد انصرافها طلبت جانيت إلى  
امها أن تأذن لها بزيارة قبر ارملة بوديت فقد كانوا نقلوا  
جثتها إلى هذه القرية التي ولدت فيها ودفنت في تربتها .

فأرادت امها أن ترافقها في هذه الزيارة فألحت عليها أن  
تأذن لها بالذهاب وحدها فلم تجد بداً من الاستئذان لها بعد  
الاطحاح ولكنها لم تستطع أن تتخلص من اختها ماري فأتها  
تعلقت بثوبها واصرت على مرافقتها .

وكان الاميرال حاضراً وقد نليه لاطحاح جانيت في أن  
تكون وحدها وخامره الشك فلما خرجت مع اختها ماري  
وهي تركزض إلى يمينها ويسارها كما تركزض المهرة وراء الفرس  
خرج في أثرها تسفرة الاشجار الكثيفة حتى وصلت إلى القرية  
فوضعت الازهار على ضريح موبيتها وركعت فصلت صلاة قصيرة  
ثم نهضت فقبلت بلاط الضريح ونظرت إلى السماء فتشهدت تنهداً  
طويلاً كأنها تودع هذا الضريح الوداع الاخير .

كل ذلك والاميرال غتبيء وراء السندبانة يراقبها وهي  
لا وراه .

وبعد أن فرغت من قضاء هذا الواجب عادت مع اختها  
فأنتفاها الاميرال وهو موجس خيفة لما رآه من اضطرابها حتى  
دخلت باختها إلى حديقة القصر وهناك امرت اختها أن تصعد  
إلى المنزل فامتثلت وصبرت إلى أن رأتها دخلت وتنهدت تنهد  
ارتياح إذ باتت وحدها .

هناك خرجت مسرعة من الحديقة فوضعت اناملها على فمها  
وارسلت قبلة إلى جهة الضريح ثم سارت في طريق بين الاشجار  
يؤدي إلى النهر .

ولم يكن للظهر طريق غير هذا الطريق فوجف قلب الاميرال  
من الروع واسرع الخطى حتى ادركها عند الشاطيء ونادها  
فالتفت الفتاة منزعجة واطرقت برأسها كي تخفي احمرار وجهها  
تتظاهر الاميرال بالاطمئنان وقال لها :

- لقد رأيتك تسيرين في هذا الطريق الجميل فتبعتك يا  
جانيت لان لي ما أقوله لك على انفراد فتوكأي يا ابنتي على  
ذراعي ولتنتزه في هذه الغابة .  
فأذعن جانيت له وشعر الاميرال باضطراب ذراعا تحت  
ذراعه فقال لها .

- انك تعذبين كثيراً يا ابنتي وانا كنت السبب في كل هذا  
العذاب ولذلك لا أزال خائفاً من حقدك علي .  
- انا اسعد عليك ..

- لا تتكثري يا ابنتي فان حقدك طبعي معقول ولكني  
أرجو مع الايام أن استميتك إلى فأنيسك هذا الحقد وأدعك

تجيبيني حسب الالب الشفوق فاني لا يهتأ لي عيش الا متى ابقت  
من صفحك .

- ولكني ما حقدت عليك لحظة بعد أن عرفتك .  
- ذلك يدل على طهارة قلبك الذي عرفته حق العرفان  
فكليني يا ابنتي ببلء الجلاء .  
- ماذا تريد أن أقول لك .

- انك الآن بعيدة عن باريس ، اي بعيدة عن تلك  
الاماكن التي تنير احزانك وستمحوها الايام .  
- وأسفاه .

- بل انه لا يمضي الزمن القليل حتى تصبح تلك الحوادث  
شبه احلام وهذا شأن الناس فقد فطروا على النسيان وستسين  
ما عوملت به من الشر ولا تذكرين إلا الحير الذي طبعت عليه  
نفسك الكريمة لا سيما وأنت الآن واهرة الفنى تستطيعين  
الاحسان قدر ما تشائين على المساكين وفي ذلك شيء من العزاء  
بل هو العزاء كله فلا يمزي عن اسامة الناس غير الاحسان  
إلى الناس .

ولا بد أن تعلمي يا ابنتي أن كل ما صنعه لك لم يكن غير  
تكفير اسماقي الماضية فاني انا أيضاً كنت من المجرمين باختطافك  
ولكني ارجعت اليك ما سلبتك اياه وأنت الآن ابنة الاميرال  
فيتراي لدى القانون ولدى الناس بل انت ابنتي حقيقة فانك  
تحلين خير مكان في قلبي ولا هم لي ولا همك غير هناك فسلي ما  
تشائين فانت الحاكمة المطلقة علينا وعلى قلوبنا .

فلم نستطع جانباً أن نجيبه بكلمة ولكنها ركعت على  
العشب أمامه فانهضها وقبل جبينها وعاد إلى السير معها بين  
الغابات وهو يعزيبها أجل عزاء ويسط لها آمال المستقبل  
ويشرح لها ملذات الاحسان وقد كلمها عن المركيز كروجر  
فأبدع في وصف اخلاقه الكريمة وذكر لها أنه لا يطلب له عيش  
إلا بين الفلاحين الذين يكادون يعبدونه لحسن بره بهم .

فأطبقت جانباً عينها وهي لم تكن تفكر بالحلم بل انها  
علمت أن هناك لا يكون الا بمنزل هذا العيش مع مثل  
هذا الرجل .

ولكن هذا الرجاء كان بعيداً عنها واين لها أن تحققه على ما  
فيها فانها كانت تدعى حقيقة جانباً دي فيتراي ولكن هذا  
الاسم لم يرد شرقها المفقود منها بلغت ثروتها فهل يحبو اصفرار  
الذهب سواد هفوتها وإذا كان جميع المحيطين بها قد نسوا زلتها  
فهل تنساها هي وأن هذا الاميرال الذي لم يتبينها الا للتكفير  
عن ذنبه بانتقامه الهائل هل يمكن أن ينسى حقيقة اصلها؟  
وقد مرت بمخيلتها هذه الافكار كلها بسرعة التصور فاهتمت  
لها وتقدمت تنهداً طويلاً ثم ارادت تغيير الحديث فسألت  
الاميرال قائلة .

ماذا جرى للدموازيل ماري .

قال ، انك تستطيعين الوقوف على اخبارها من المركيزة  
سانت بيران صديقة أمك .

— أهي هنا !

كلا ولكنها ربما حضرت غداً .

— عجباً التطبيق الاسفار وهي قد بلغت حد الهرم ؟  
— انها من هذه البلاد وهي تريد أن تراها لآخر مرة .  
— وهي بلاد جميلة وحسبها جميلاً انها بعيدة عن هناك ..  
ثم ابتسمت وقالت له لي رجاء التمسك منك ولكني لا  
أجسر على التماس .

— سيلي يا ابنتي ما تشائين فان رجاءك امر .

— اريد أن أرى صخرة مورجابت .

فارتعد الاميرال وقال :

— اتذهبين إلى هذا المكان الذي لا فائدة منه غير زيارة  
التذكريات القديمة .

— ولكنها تذكارات قديمة كما تقول فلماذا ترفض ملتصبي  
— لا أرفض لك طلباً يا ابنتي فلا رجاء لي ولأمك غير  
تحقيق امانيك ولكن هذا المكان لا يصلح للزفة وكل ما فيه  
يدعو إلى الانقباض .

— لا سبيل إلى الانقباض فيه لاننا نكون هناك .

فعجب الاميرال لرغبتها بزيارة هذا القصر الموحش ولكنه  
لم يسمه مخالفتها وقد بات يحبها كما تحبها امها فاجابها قائلاً :

— ليكون ما تريد يا ابنتي .

— متى نذهب اليه ؟

— بعد اسبوع إلى أن ارسل من ينظم المنزل فقد هجرناه  
عشرين عاماً .

فشكرته وعادت إلى المنزل وهو يقول في نفسه .

لا بد أن يكون لها مآرب خفي من ذهائها إلى مورجابت  
كنفس ماربها اليوم من ذهائها إلى النهر ولكن سأراقبها هناك  
كما راقبتها هنا .

وقد خاف الاميرال عليها خوفاً شديداً وابقن انه لا يشفيها  
من هذا اليباس الذي ملأ فراغ قلبها غير دوائن احدما الزمن  
والآخر الحب .

وكان المركيز كروجر قد مال اليها كل الميل فان الشاب  
يحن إلى الشباب حين الشراع إلى الرياح فلم يكن يدع فرصة  
تقربه منها الا اغتنمها فيفرغ مجوده في مباسطتها وتسلتها من  
احزانها التي لم يكن يعلم شيئاً من اسبابها ولا يزال يورد لها من  
النكات والنوادر المضحكة حتى يظفر بإقسامه .

ولكن بين الميل والحب مسافة قصيرة وقد اجتازها المركيز  
فلم يخف حبه عن عين الاميرال الساهرة .

وقد عرف القراء شدة تعلق الاميرال بأهداب الشرف  
وتمسكه بالواجبات .

فلما وثق من حب المركيز تمل له واجب لم يجد بدأ من  
قضائه فنذهب اليه في منزله وهو يقع في قرية تجاور القرية التي  
يقع فيها الاميرال وقال له :

- اني قادم اليك لأذهب وإياك إلى بوانتيبي .

قال : لماذا ؟ ..

- للمستقبل المركيزة سانت بيران فقد جاءت لزيارتنا

فهل تصحبي .

- دون شك .

- وفوق ذلك فاني اريد عمادتك في شان خطير .

فذهل المركيز وقال له :

- اني رهين امرك يا سيدي الاميرال فتفضل وقل ما اريد

- سأخبرك بما اريده في الطريق فاهل بنا .

وقام الاثنان فركبا مركبة سارت بهما في طريق بوانتيبي  
وبدا الاميرال الحديث فقال :

- المحسبي من رجال الشرف ايها المركيز .

- إذا شككت في ذلك اكون وحدي بين جميع الناس

- إذن فأعلم أن لدي واجباً يقضي علي الشرف أن اقوم

به لديك فانك صديقي وأنت والفق من عطفي عليك فيا اظن

- هذا لا ريب فيه .

- ولقد كان ابوك من اخلص اصدقائي وكانت صداقتنا

تتد من أيام المدرسة .

- اعرف ذلك حق العرفان .

- وعنى ذلك فلا شك عندك بانني اسر سروراً

عظيماً بزيارتك لي ولكن زيارتك هذه قد يتولد منها خطر

لا اريده .

- اي خطر هذا ؟

- ستعرف قصدي ولكنني لا استطيع وقايتك من هذا

الخطر الا بعد أن اعترف لك بأمرى فقد لاحظت ايها الصديق

انك في زيارتك كنت كثير الميل إلى الاجتماع بابنتي .  
فتجهم وجه المركيز وانقبض صدره وحاول أن يجتج  
ولكن الاميرال قاطمه فقال :

- لا تحاول الدفاع يا بني فاني اعد نفسي سعيداً بهذا الميل  
واقنخر بصامتك لانني احترمك كل الاحترام غير اني ما كنت  
احذر من الاسترسال إلى هذا الحب لو لم اعرف بان فراقكما  
بحال فاصفر وجه المركيز ومضى الاميرال في حديثه فقال :  
- أن جانيث آية من آيات الجمال وأنت زين الشباب فاذا  
مال كل منكبا إلى الآخر فليس بمعجب ولذلك احببت أن  
ارري لك سكاية هذه الفتاة فتعلم انه يوجد بينكما هوة  
عظيمة لا يمكن اجتيازها .

وكان المركيز جزور الاميرال في كل يوم ويحتمع يجانيث  
فاحبها حباً صادقاً ولذلك انقبض صدره لما سمعه واخذ يصفي  
إلى حديث الاميرال بلاء الانتباه . اما الاميرال فانه قص عليه  
سكاياته وسكايتها منذ سادثة صخرة مورحات إلى آخر  
سكاية جانيث وقد بسط له كل تاريخها فذكر ما عانته من الشفاء  
وانه لا بد لها من العناية العظيمة لشفاء نفسها بحيث عرف  
المركيز كل امرها حتى علاقتها بجان رودريكوس وانتحاره في  
منزلها ، حتى إذا اتهم سكاياته كتف يديه والى رأسه على  
وسادة المركبة إلى الورا وتنهت تنهت ارتياح كأنه ارتاح من  
قضاها لوجب كان يشغل عليه . وكذلك المركيز فانه اطرق  
مفكراً في ما سمعه فقال له الاميرال بمد سكوت قصير .

وخلاصة ما تقدم أن ابنتي جديرة بالاشفاق والاحترام  
لجهادها خير جهاد في معارك الحياة ولأخلاصها المعجب ولكنك  
لا تستطيع بعد عرفانك سقيحة امرها أن يخطر لك تحقيق  
نلك الاماني التي قد تكون جالته في خاطرک وقد اعترف لك  
اعترافاً تاماً بمس كبريائي لاني انا المذنب الوحيد في كل ما  
حدث ولكني كنت مديناً لك بهذا الاعتراف فلم اجد بدأ من  
وفاء الدين .

وكانت المركبة قد وصلت إلى المحطة فخرجنا منها إليها  
وجاء للقطار وجاءت فيه المركبة المعجوز فمررها الاميرال  
بالمركيز كروجر وععاد الثلاثة إلى منزل المركيز لتناول  
الغداء فيه .

وكان الاميرال قد اغتمت فرصة واخبرها بالحالة وبعترافه بها  
للمركيز فلما فرغوا من الطعام دارت المحادثة بينهما وبين المركيز  
فقال له :

- لقد اخبرني الاميرال عن صداقتك وایاه وذكر لي  
شيئاً من عاداتك فملت انك تحب بلادك .

- قال : بل اني مشغوف بها يا سيدتي .

- اتجد نفسك سعيداً فيها ؟

- كالارنب في وجاره .

- كيف تقضي الوقت هنا ؟

- بالزراعة والصيد .

- وهذا السبب في ما اراه من حسن صنعك خلقت

لقتيان باريس .

- أن هذه العاصمة لا تحظر لي في بال وفي اعتقادي انه يمكن الاستغناء عنها

- ولكن ماذا تصنع في الشتاء ؟

- لا انكر أن لياليه طوبى ولكن لدي كتي يا سيدتي

وهي خير انيس .

- انك من الفلاسفة انها المركيز :

- أن الضرورة تدعو إلى التفلسف .

- وأنت حسن الحال كما اخبرني الاميرال .

- بجمه الله

- وإذا كنت على ما أنت فيه من الوحدة والصحة والغنى

والشباب فلماذا لم تتزوج إلى الآن ؟

- لاني اجد بالزواج صعوبة لا تغلب فقد عرفت من عاداتي

اني رجل من اهل الغابات أكاد اكون وحشياً في عيوت

الفتيات فأين أجد فتاة تشاطرنى هذا العيش وترضى بعمادتي

وقتيات اليوم لا يملن الا بالبهجة والزينة والمسارح والحفلات

فاذا قيل لاحدهن انها ستقيم العمر في ارض كروجر تحسب

نفسها سحينة وقد تؤثر الانحار ولذلك لم اجسر على خطبة

فتاة كي لا اعرض نفسي للفشل .

- ولكن قد يمكن الاقامة بعض العام في الريف وبعضه

في المدن .

- لا استطيع أن اعد بذلك يا سيدتي اذ يعز علي أن

افارق بعض العام تلك العائنة المنظمة التي تميش ممي وهم  
اولئك الفلاحين الذين يحرثون أرضي فاني اعدم عائلتي حتى  
اني احسن إلى المواشي التي استخدمها في ارضي ولو رويت  
لك يا سيدتي حكايات رفقاتي الذين اغوهم زخارف باريس  
لاخذك العجب ورثت لحالم فان بعضهم اسيبوا بالدمار التام  
وبعضهم خسروا شرفهم ايضاً في تلك العاصمة الجهنمية التي  
اكرها كل الكره فلا تذكرها لي يا سيدتي اذ لا يمكن أن  
اقم فيها .

فغيرت المركيزة الحديث فجأة وقد عرفت ما ارادت أن  
تعرفه فقالت له :

- اذهب غالباً إلى فيتراي ؟

- بل اذهب كل يوم فنحن متجاوران .

- كيف رأيت الكونتس بلانش .

- من خيرة النساء .

- اني اعرف ذلك ولكن هل هي فرحة ام منقبضة  
بعد قدومها .

- هي بين الامرين ..

- انها اصيبت بحزن شديد من قبل .

- لقد عرفته يا سيدتي .

فسألت عند ذلك هذا السؤال الذي كانت تحاول أن تسأله  
اليه منذ بدء المحادثة وتبسط له المقدمات فقالت :

مضى على ذلك اسبوع كان المركيز يزورهم في خلاله كل يوم فلا يعود الا بعد انقضاء السهرة وقد خطر للمركيزة يوماً أن تنتزه في البساتين وكانت الكونتس جالسة مع جانيت في غرفة مطلة على البحر وجانيت شاخصة إلى تلك الامواج التي دفن ابوها وامها تلهي ببعض الاشغال اليدوية .

وفياهما على ذلك دخلت خادمة وقالت للكونتس : أنت المركيزة تقترح على سيدتي زهرة البساتين قبل العشاء .

قالت : حسناً فأني اذهب ولتفتت إلى ابنتها فقالت لها :

- الا تذهبين معنا يا جانيت ؟

- قالت كلا يا اماء فاني اؤثر البقاء هنا .

فماقتها بلهفة وخرجت إلى حيث كانت تنتظرها المركيزة فلبت جانيت تنظر إلى امواج البحر نظرة الحزين المفكر فانها كانت لا تزال تمتدق انها لا حق لها بالاقامة في هذا المنزل بل قد تجسم عندها هذا الحاطر حق باقت تحسب انها تجني على شرف الاميرال باقامتها في هذا المنزل فما هي الا فتاة شريفة طردت بله القسوة والاحتقار حين ولادتها ثم ردها الاميرال إلى امها متصدقاً كما يتصدقون على ابناء السبيل المساكين بل انه لم يرددها الا استرضاء لامها التي لا يزال يحبها وهي بنت الجريمة التي عذبتة عشرين عاماً ويرضى أن تسكن في منزله ذلك المهل الذي كان يجب أن يسكنه اولاده لا اولاد سواه .

أن هذه العاطفة التي حملته على ردها إلى امها لا تلبث حتى تتلاشي فيعود إلى تذكر اصلها وهب أن المروءة والكرم

- وكيف وجدت ابنتها ؟

فارتش المركيز وقال : المدمازيل جانيت ؟

- نعم جانيت فانها تحمل على الاشفاق

- هي يا سيدتي آية الجمال والدعة ومكارم الاخلاق

- انها حزينه دون شك .

- فهز المركيز رأسه وقال :

- نعم فان حزنها شديد .

- انها لاقت في حداتها وشبابها ما لم يلقه بشر

اعرفت تاريخها .

- لقد رأى سيدي الاميرال أن الواجب يقضي عليه

بأن يرويه لي .

- اليس تاريخها محزننا ايها المركيز ؟

- وقد نظرت اليه نظرة الفاحص فظهرت على وجهه

علائم النار الشديد وقال :

- بل انه يقطع القلوب من الاشفاق ثم انك تشيرين علي

يا سيدتي أن اسكن باريس بعد تلك النكبة ؟

- اذن أنت تشفق عليها ؟

- اشفق واجلها واعجب بها .

- وهنا غيرت المركيزة الحديث وقد عرفت كل ما ارادت

أن تعرفه وبعد هنيهة ذهبوا كلهم إلى منزل الاميرال .

••



حلاء على النسيان فأين لها هي أن تنسى ما هو السح لا يزال  
قريب العهد منها مائلا كل حين امام عينيها فاذا كان ابوها قد  
دفن في امواج صخرة مورجابت فلماذا لا تدفن هي ايضا في  
المياه فيضمها قبراً واحداً .

هذه هي الافكار التي كانت تحدث نفسها بها بينما كانت  
امها والمركيزة قد خرجتا من المنزل وكانت الكوتس تخاف  
مفارقة بنتها بعد أن اخبرها الاميرال بمحادثة النهر فلما وصلت  
إلى الطريق التفتت إلى النافذة التي كانت واقفة فيها جانباً ورأتها  
تبتسم لها فاطمأنت وسارت مع المركيزة ولكنها كانت مخطئة  
بهذا الاطمئنان اما جانباً فأنها دخلت إلى غرفتها وجلست عند  
متضدة تكتب بعد أن تنهدت تنهداً طويلاً فانها كانت تود  
الحضور إلى صخرة مورجابت لترى ذلك المنزل الذي ولدت  
فيه ذلك البحر الذي دفن فيه ابوها فتودعها كما ودعت ضريح  
مريبتها ثم لانها عرفت من وصف ذلك المكان انه يسهل لها  
الغايه التي لم تكن تفكر الا بها بعد نكبتها فكتبت بسرعة  
ما يأتي :

امي العزيزة .

« أسألك الصفح عني لما عزمت اجرائه فاني منذ رأيت  
هذا البحر الذي يبلغ الطرف مدهاء كنت اخال أن هدبر  
امواجه يدعوني اليه ويشهد الله اني احببتك بل جوارحي وبقدرة

ما كنت اكرهك في ايام شقائي وانا اعلم ما ستلاقيه متى  
عرفت مصيري الذي لم ينقذني منه حنوك واعرف مروءة  
الاميرال ارجوك أن تظهر لي له صادق امتناني ولكن لا بد لي  
من أن اظهر لك حاله نفسي »

« أن هذه النفس قد اصيبت بعمه شديدة لا سبيل إلى شفائها  
بتقدم الايام بل انها كانت تزيد استفحالا كل ما مرت  
بها الايام .

« وقد فرحت في البدء حين لقينك ورجوت ان نفسي  
حنوك ونطف الاميرال ورخاء العيش ذلك الماضي وحوادثه  
الهائلة ولكن كل ذلك الرجاء كان باطلا فقد وجدت التباين  
عظيماً بيننا وأن ارتفاع منزلة أُمِّي في ذلك المجتمع الانساني  
وفخامة ذلك الوسط الذي اعيش فيه واحترام الناس لتلك  
الاسرة التي نسبتني اليها كل ذلك كان يحقرني في عيني نفسي  
فاجد أُمِّي غير جديرة بهذه الام الطيبة وتلك الاسرة الشريفة .  
« أن الاميرال قد تفصل من كرمه بأن يدعوني باسمه  
ولكنه حين اخبرني بذلك ارتعدت فرائصي ووطدت العزيمة  
على تنفيذ خطتي المهزنة اذ لا بد للاميرال أن يحجل قريباً لهذا  
التبني وهو يعرف من انا .

« التحسين اني استطيع نسيان تلك الحادثة الهائلة التي  
قادنتني إلى ذلك الموقف الرهيب الذي وجدته في ؟  
« وبعد فما يقول الناس حين يروني مع الاميرال فيقولون  
هذه هي ابنة الاميرال دي فيتراي التي كانت تجول في

سيدتين لوليتيني قبل فوات الأوان ولكن ذلك الماضي  
قتلني فالوداع يا أماء إلى الأبد ،

## جانيت

ولما فرغت من الكتابة كانت دموعها قد بللت الرسالة  
فمنوتها باسم أمها ورضتها على المتضدة بشكل ظاهر ووقفت  
وقفة المتردد إلى قصدها بين الخيال فتخاف وتنتظر إلى صباحها  
بعين المستقبل فتندعر بما هي قادمة عليه ولكنها كانت تسمع  
أقوال الفتيان الذين كانوا يشارلونها في قهوة الفردوس وبرن في  
أذنيها صوت ذلك اليهودي المنكود الذي قتل في منزل حبيبها  
جان ثم تسمع صوت المسدس وترى نللك الرصاصة التي  
اخترقت دماغه فتجن من اليأس وتحتقر كل ما تراه أمامها من  
زهو الحياة وزخارفها .

وعند ذلك توطدت عزيمتها فقامت إلى المنسة فسلت  
وجها أخفاء لاضطرابها وخرجت من المنزل فذهبت إلى صخرة  
عالية كانت تتأطعها الأمواج وهناك خلعت بعض ملابسها  
ونظرت إلى تلك الأمواج الزاخرة دون أن تخافها فقد طالما  
تعودت حين كانت تعيش في جرساي وتمثل لها أن صوت هذه  
الأمواج إنما هو صوت أبها يدعوها إليه ليضمها إلى صدره  
فنظرت إلى الأرض آخر نظرة ثم صاحت صيحة الفانطين والقت  
نفسها إلى المياه .

وفي تلك اللحظة سمعت صيحة أخرى من احد مشارف

هذه هي ابنة الاميرال التي انتحر بسببها فلان وهي  
عشيقة هذه التي كانت تنلس ببع نفسها حين كانت تجول في  
الشوارع أفنحسبين أن جميع الناس من أهل المروءة والكتبان  
ولنفرض أن انتسابي إلى الاميرال ومجده اللامع ومقامه  
الرفيع يخدم هذه الأشاعات فإذا تقولون لو جاءكم رجل  
وخطبني اليكم بل ما عساي أنا أن أقول ؟

و انه لم يبق لي يا امي العزيزة غير طريقين اسلكهما وهما  
طريق الدير وطريق القبر .

و اما الدير فهو لا يبيلني قصدي من تخفيف عذابني فاني  
احبك كثيراً فإذا رأيتك بأكية لفراق فقد لا استطيع مقاومة  
دموعك وفوق ذلك فان تلك التذكرات مطبوعة على قلبي فلا  
تحوها سكني الدير وابقى على ما انا فيه من العذاب .

و اما القبر فهو خير ضامن للراحة الابدية وهو قد يسرك  
ايضاً فانك تربيه في كل يوم وتضعين عليه الأزهار وتحبينه وقد  
طالما فضلت يا أماء خبر موتي على انقطاع اخباري حين كنت  
طائمة شريفة بل طالما خطر لك اني شقية فأهية جانمة فكنت  
تؤثرين موتي على هذا الشقاء فأنا الان ميتة ولكني خلفت  
لك تذكاري .

و استودعك الله يا أماء واوصيك خيراً بما ري فهي بمثابة  
اختني بل هي بنتي فانا التي ربيتها وارجو أن تذكريني لديها  
و الوداع يا أماء واصفحي عني فاني احبك كثيراً وكم كنا

البحر واكتنبا صبيحة هائلة بل صبيحة أم والهة ترى ولدها قد  
لقى بنفسه إلى هوه الموت واليك ما حدث .

أن امها حين ذهبت مع المركيزة للزفة في البساتين كما تقدم  
لم تكادا تتوغلان حتى ثارت الهواجس في قلب تلك الام  
المتكوذة فأخبرت المركيزة بما خاسرها من الخوف على ابنتها  
وروت لها حادثة النهر فاضطربت المركيزة لما سمعته ولامنتها  
لمارقتها اباها واسرعت بالعودة معها إلى المنزل .

وهناك دخلت الكونتس إلى غرفتها فلم تجد ابنتها حيث  
تركها ولكن قلبها كان يحدثها بحدوث نكبة وقلوب الامهات  
تصدق في مثل هذه الاحاديث كما تصدق الغيوم بالدلالة  
على العواصف .

فأسرعت الى غرفتها فلم تجدها ولكنها وجدت تلك  
الرسالة فقرأتها في لحظة وكادت عيناها تخرجان من وجهها  
لرعبها فوثبت والهة إلى المشرف المطل على البحر فما رأت  
شيئا في البدء ثم نظرت إلى جهة الصخور فرأت جانبيت قد  
ودعت الارض آخر وداع والقت بنفسها إلى البحر فصاحت  
تلك الصبيحة الهائلة التي لا تستطيع وصفها الاقلام وكأنما  
جانبيت خافت أن يملوا بأمرها ويحاولوا انقاذها فجمعت تسبح  
سائرة إلى عرض البحر ليس بقصد النجاة بل بقصد الهلاك فانها  
عولت على ان تتوغل بحيث لا يستطيعون ادراكها إلى أن تغلبها  
الامواج ويضمف قواها التصب فتفرق .

وكان الاميرال والمركيز دي كروجر يتنزهان تحت المنزل  
قرب تلك الصخور التي ذهبت اليها جانبيت وقد مرت بالقرب  
منها وهي لا تعلم انها هناك فلم يرانها لتسللها  
وانشغالها بالحديث .

فلما صاحت بلانش تلك الصبيحة ذعر الرجلان ونظروا إلى  
مصدر الصوت فرأيا بلانش واقفة في المشرف ويداها ممدودتان  
إلى الجهة التي سقطت فيها بنتها .

فادرك الاميرال سر النكبة وقال للمركيز . اسرع إلى  
القارب ولكن المركيز لم يسمعه فقد كان ابتعد عنه راكضا  
اذ علم من موقف بلانش نفس ما عله الاميرال .

اما الاميرال فانه ركض ايضاً إلى تلك الصخور ونظر  
نظرات رجل بحري يمرن إلى البحر فرأى جانبيت تسبح على  
سطح المياه فأسرع إلى خلع رداؤه والقى نفسه إلى البحر .

وقد التفتت جانبيت حين سمعت صوت سقوطه وادركت  
قصده فامعنّت بالسباحة وكانت المسافة قد بعدت بينها غير  
أن جانبيت مها كانت بارعة في السباحة لا تعادل فيها اميرالا  
قوياربي في البحار .

فلم تكن غير هنيئة حتى ادركها وقد انتهكت قواها كل  
ذلك والكونتس واقفة في المشرف تنظر إلى ما يجري ونفسها  
طائرة شعاعاً .

اما جانبيت فانها لما رأت انه لم يبق بينها وبين الاميرال غير  
بضعة امتار وهي موقنة انه لا بد أن يتغلب عليها ادركت انه

يمكنه أن ينقذها فغطست تحت المياه كي تغرق نفسها فغطس  
الأميرال في الرها واقترب المركيز كروجر بقاربه وصعد  
الأميرال إلى سطح المياه وحده وصاحت بلاتش من المشرف  
مثل صيحتها الأولى وهمت أن تلقي بنفسها من ذلك العلو  
الشاهق لو لم تمنعها المركيزة .

ولكنها لم تكن غير لحظة حتى صاحت المركيزة صيحة  
فرح وقالت : هذه هي وثلاث قوى الكونتس، فسقطت  
منمياً عليها ذلك أن الأميرال صعد إلى سطح المياه وهو يعض  
بأسنانه على ثياب جانيت وقد حملها أيضاً بيديه وهي شبه جثة  
وكاد يفرق وإياها لو لم يسرع المركيز إلى انتشالها واصمدها  
إلى القارب .

وقد صحت جانيت من اغماؤها ووجدت نفسها بين يدي  
الأميرال منقذها وأنها لا تزال في قيد الحياة فذعرت ولكن  
الأميرال همس في أذنها بملء الحنو قائلاً :  
- أرجو أن لا تشكي بجنوني بعد الآن ألسب ابنتي وقد  
أصبحت مدينة لي بالحياة ؟

وبعد هنيهة كان الجميع في المنزل وقد استفاقت الكونتس  
من اغماؤها فدفق إليها الأميرال ابنتها فنظرت إليها الكونتس  
نظرة حب صادق قرأ فيها آية الفجران الأكيد . وهمت الأم  
بنتها إلى صدرها وقالت لها : والآن ألا تزالين تريدين الموت ؟  
فاطرقت بعينها وقالت : اماء .

قالت : اتقسين لي بالحرص على حيائك ؟

فما نقتها جانيت ثم عانقت الأميرال وقالت له : انك ما  
زلت تعتقد أنني جديرة بالحياة فأحيا من أجلك ومن أجل أمي  
وكانت المركيزة ترى هذا المشهد فوضعت يدها على كتف  
الأميرال وقالت له :

- لقد كنت من البواسل أيها الأميرال ولكن لا بد لك أن  
تعلم أن الهناء في هذه الحياة لا يكون إلا بالمرين .  
- ما هما ؟

- هما الحب والفرح هما السعادة المشتركة هما الحب  
والفرح .



مضى على ذلك عام حدث خلاله ما قد يتوقعه القراء فان  
موريس كولباي اصيب بسويداء تشبه الجنون تمكنت منه بعد  
انتعار ولده فلم يعد يحتم بشيء من امور منزله ولا يلقى غير  
هائم مفكر .

وانقطع لاروش عن مطاردته فاكتفى بما عاقبه به وانصرف  
إلى اعماله في تلك الشركة الانكليزية الهائلة فبات من مديريها  
واصبح من كبار الاغنياء .

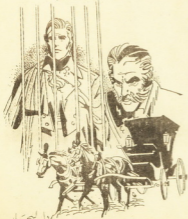
وتزوجت ماري ابن عمها فرتند اذ لم يكن يعارضه في هذا  
الزواج غير عمه موريس لفقره وقد بات مشغلاً بهواجسه  
عن هذا الاعتراض .

وتقلب الأميرال وزوجته على جانيت فمضى حنوها تلك

صدر حديثاً

## سجين زندا

إنكليزي - عربي



دار البعث

الآثار المحزنة من قلبها وتمكن المركيز كروجر من استئثارها إليه بحبه الصادق فأحبته مثل حبه وكان هذا الحب خير معين على النسيان فتزوجت به واقامت معه في ارضه كما يريد وتريد على اننا حال .

وعاد الصفاء والهناء إلى منزل الاميرال فنسيا ذلك المذاب القديم ورزقها الله مولوداً ذكراً كان خير مكافأة عن اساءة الدهر في تلك الاعوام الطوال .

وعادت جانيت إلى زهوة جمالها وفتحت قلبها إلى زوجها الحقيقي وقالت له إن قلبي لك ، بل تبرع على عرش قلبي فإن الحب والإخلاص هما الثمن ما لدى الإنسان .

تمت